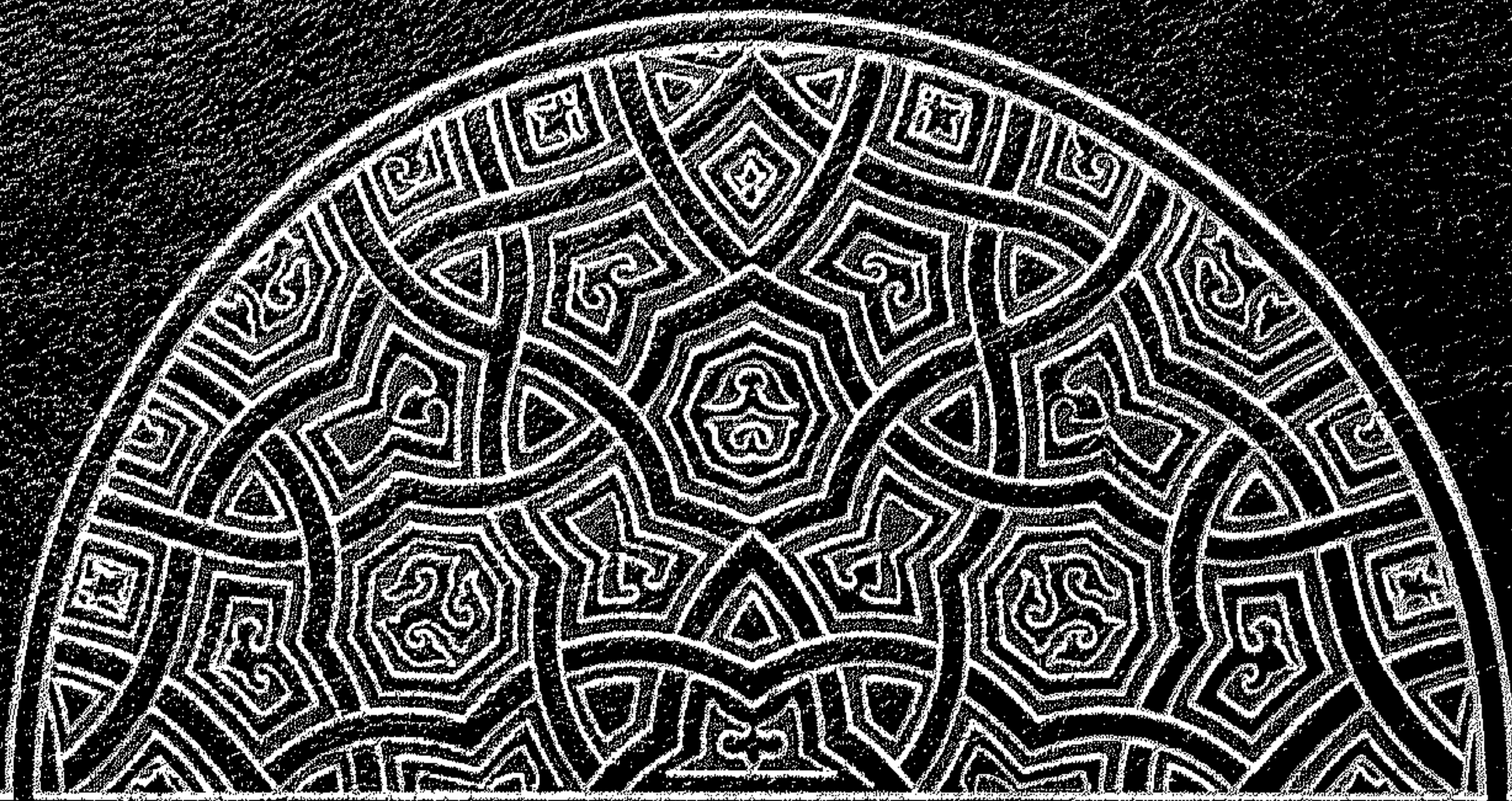
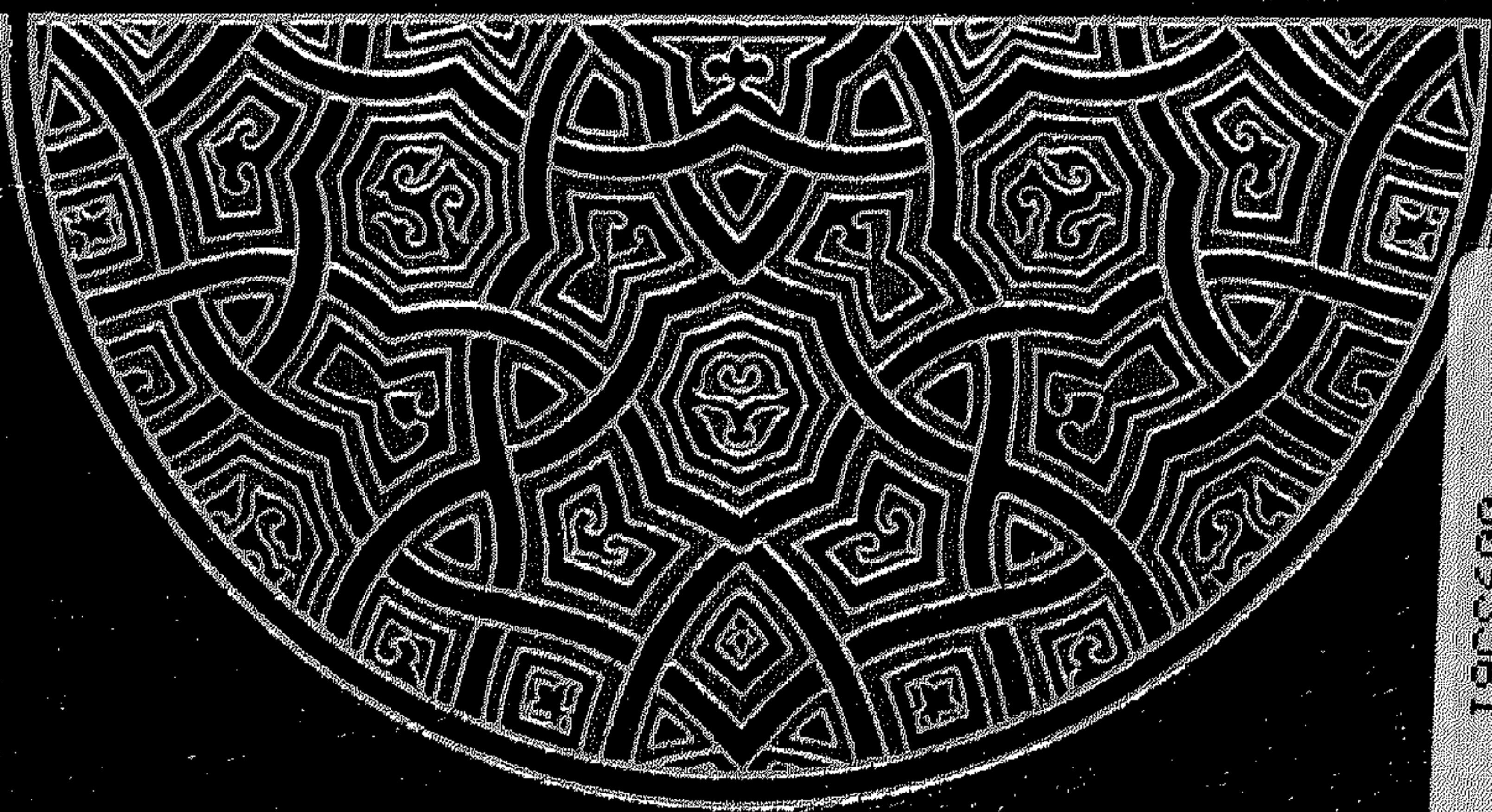


موسوعة الحكومة العالمية المجلد ٢٠

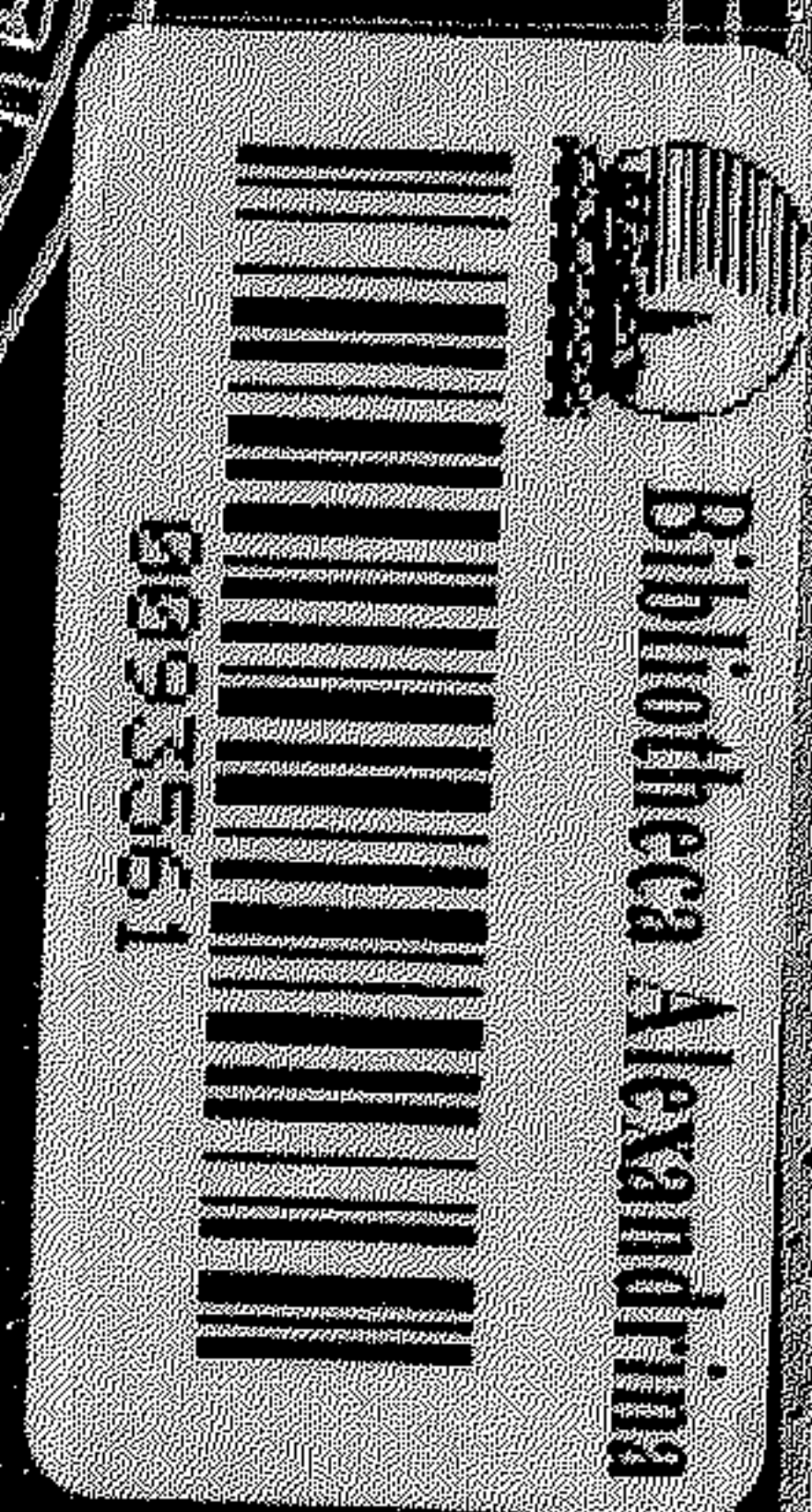


القانون الأساسي للحكومة العالمية المثلى الطبيعي والاجتماعي

تأليف
د. محمد عبد الحليم



دار الأضواء



القانون الأساسي
للحكومة العالمية المثالي الطبيعي والاجتماعي

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

دار الأضواء
للطباعة والنشر والتوزيع

حارة حريك - شارع دكاش - صرب، ١٠٢٥ / ٤٠ - برقيتا، غبيري - حسنكو - بيروت - لبنان

موسوعة الحكومة العالمية المثلى
«٢»

القانون الأساسي للحكومة العالمية المثلى الطبيعي والاجتماعي

تأليف
د. جمال جعفر الخليلي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بسم الله الأحد الصمد ، والحمد لله على ما ألهم وأمد ، حمداً لا يحصيه وصف ولا عد ، والصلاة والسلام على خاتم رسله المؤيد ، وآله الميامين الطاهرين وصحبه الأوفياء المناصرين ، وزوجاته الحافظات لودّه والمخلصات لعهدّه ، ولعنة الله على أعدائه من كل كافر وملحد ومنافق ، وظالم معاند وفاسق .

وبعد فقد أهابتني الأنباء والحوادث العالمية القائمة ، والمنازعات والمخاصمات الدائمة ، فولجت سبلها ومحصت عللها ، وإذا بي أهتدي لسرّ عساه أن يكون علة العلل في النزاع ، وغاية الأمل لوقف الصراع ، هو انحراف البشر عن جادة الطبيعة والفطرة ، وتنازع الشهوات والآراء في فكره وسيره ، معرضاً عن سبل مثبتة ، ووالجأً أخرى لشمله وقراره مشتتة .

فوضعت كتابي الحكومة العالمية المثلى في خمسة فصول، كان الفصل الأول عن الحياة الطبيعية ، والثاني عن أهل الآراء والأديان ، والثالث ربط الماديات بالمعنويات ، والرابع حكومة النحلة والنملة والأرضة ، والخامس : التابعة والجنسية ، وأما هنا ، فهذا هو القانون الأساسي الرابط بين حكومة الطبيعة والحكومات الاجتماعية والتي أرى اتباعها على شرط أن تكون هناك حكومة عالمية واحدة ، وعندها يصبح البشر كله في قرار وأمان وينجو من الاضطراب والهوان ، أن اتبع سبيل الفطرة ، واتخذ من الماضيات خبرة وعبرة .

الباب الأول

القانون الأساسي

— تمهيد .

١ — القانون البشري .

٢ — الصراع الصليبي مع المسلمين .

٣ — تطور الاستعمار .

٤ — الحكومات الأولى .

تمهيد

لكي نوضح ماهية القانون ، علينا مبدئياً تحديد معنى القانون ، وماذا يقصد به عند إطلاقه ، ثم البحث عن أنواع القوانين . وهل أن للبشر :

- ١ - وضع القوانين طبق مقاصده وأهدافه .
- ٢ - أم أن القانون موجود وعليه كشفه ثم السير عليه . وما هي الفروق بين القانونين القانون الموضوع والقانون الفطري الطبيعي^(١) .

ولنقرب المعنى إلى ذهن القارئ الكريم نعود نلمح إلى ما لمحنا إليه في كتابنا الحكومة العالمية المثلى ، وحكومة الفطرة « حكومة الطبيعة » وبمعنى أعم حكومة الأحد الصمد المبدع الخالق المهيمن خالق الأكوان ، وموجد نواميسها في جمادها وحياتها في عناصرها ، ومركباتها في جواهرها وذراتها ، وضع لكل منها نظاماً وقواعد وأصولاً وقوانين لا تحيد ، فعلماء الفيزياء لا يعزب عنهم دقة تماسك تلك الأصول وضوابطها عند البحث في شتى القوى المودعة في الطبيعة من قوانين الجاذبية وقوانين النور وما تحويه الذرة من الأسرار والطاقات الهائلة المتسقة وغيرها .

(١) ﴿ سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾ صدق الله العظيم ، وقال تعالى في كتابه المجيد : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله الذي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم . . . ﴾ الخه من سورة الروم الآية ٣٠ .

وعلماء الكيمياء يقفون مدهوشين في شتى النواميس والقوانين المتسقة في اتحاد العناصر والمركبات ، وعلماء الأحياء يقفون حيارى أمام الخلقة المنظمة الهائلة في كل جسم حي صغيراً وكبيراً .

هؤلاء العلماء يعرفون حق المعرفة أن نظام الكون لم يخلق عبثاً قوانين وأنظمة عشوائية ، بل لكل منها أصول وفروع وقواعد لا تحيد قيد شعرة في كل صغيرة وكبيرة ، ليس لإرادة البشر منها نصيب إلا على مقدار ما يحمله هذا البشر من العلم والتجربة المودعة فيه إذا كان عاقلاً أو غريزة تحركه إليه في غيره من الأحياء هذا العلم أو الغريزة التي لا يتحداها متحد إلا ونتج عن تحديدها أمر مقرر حتمي يعرف نتائجه ان وقف على أسرارها وان جهله قال صدفة وحاشا لنظام الكون من العشوائية المطلقة ، فكل شيء مُدبر ومُقدر ومُنظم وله أصل وقاعدة ثابتة هو قانونه .

وقوانين الكون وأسراره لا تعد ولا تحصى ، تَوَصَّل البشر إلى النزر النزر منها ، وسجلها وأدرك اتقانها في الطبيعة ، وهناك منها ما تحكم شؤونه الاجتماعية من : سياسية واقتصادية ، إدارية ، فنية ، علمية ، أدبية ، أخلاقية ، نفسية وغيرها . .

ولهذه النواميس أثرها في حياة الفرد والجماعة ، من هذه القوانين منها المتآلفة مع بعضها ، ومنها المتنافرة المتخالفة ، إرادية وغير إرادية سيان منها في الفرد أو الجماعة ، فالمرء مختار لحد ما فيما يعلمه ، وهو القليل وهو غير مختار فيما يجهله وهو الأكثر ، فالآفات السماوية والأرضية من الطاقات الموجهة من خارج الأرض والحر والبرد والأمطار والزلازل والسيول ، ومنها ما اتخذ لها حيلة ووقاية ، ومنها ما أخذته على حين غرة ، ومنها الأوباء والأمراض ، وما لها من آثار اقتصادية وغير اقتصادية ، لكل منها أثرها في الحياة ، بيد أن العلم في كل منها له أثر فعال للوقاية ، ودرء الأخطار ، وإذا استطاع الإنسان كشف أسرار الطبيعة من نواميسها كما اكتشف بعض أصولها فأمكنه من درء الأخطار ، لو أمكنه التوصل إلى

جميع ما هنالك من قوانين طبيعية واجتماعية مادية ومعنوية والرابطة الأصلية بينها لاستطاع التحكم في حياته ، ولا يكفي ذلك العلم متى تغلبت الغرائز على العقول وحرفت عنها عن جادة الصواب .

فهل ترى اليوم أن الدول العظمى في العالم كيف تتحكم وتتخبط في سيرها رغم علمها في كثير من الحقائق لمحض أن الغرائز تتحكم على عقولها ، كغريزة حب الذات ، وغريزة حب المال ، وغريزة حب الظهور ، ضاربة بكل القيم والمثل الأخلاقية الإنسانية المثلى عرض الحائط ، وكل منها تتمشى باتجاه معاكس للآخرى بزعمها لجر نفع ودرء ضرر، ناسية أنها تعيش في مجتمع إنساني حي واحد إن أصيب هذا لحقه الحيف والضرر ، ناسية أن اتجاهها في السلوك غير الطبيعي ، السلوك غير الإنساني ، السلوك المخالف لنواميس الكون هو علة شقاء بني نوعه الذي هو عضو فيه ، وإن الكارثة تعمه متى عمت غيره ، وعوض البحث عن قوانين الكون الحقيقية لاتباعها ، كل يوم يصمم ويضع قواعد وانظمة قوانين جديدة وضعها لمجرد غاياته الشخصية لا تركز إلى حقيقة واقعية من نواميس الكون الواقعية ، وهذه المخالفة هي العلة لشقائه وشقاء بني نوعه .

والحق إن شاء إدراك السعادة أن يجد كاشفاً عن قوانين الكون ونواميسه واتباعها دون تعويض واستبدالها بتوافه تخص أهدافه الشخصية يسميها بقوانين ، وما هي بقوانين ، فالقانون في الواقع هو الناموس القائم في الخليقة منذ الفطرة والنشأة الأولى الثابت الدائم الذي لا يحق لمخلوق التلاعب به ، واتباعه يضمن السعادة والسلامة في جسم المجتمع الإنساني كالأصول والقواعد الموجودة في البدن الحي تلك التي لا يجوز التلاعب بها .

فالإنسان هذا الجسم الحي يحمل شتى القوى المادية والمعنوية طي جسمه ونفسه لكل منها له مفعوله فيه ويجب رعايته في حدوده بحيث لا تطغى على الأخرى ولا تتقاعد عن سيرها ، وفي كلا الحالتين يولد تخلفه

عنها فيه علة ، بل ولا يجوز فرض تجاوز هذه على تلك أو تلك على هذه أو خضوع إحداها لسلطة خارجة عنه ، ففي هذا المجتمع الإنساني وما يجري فيه ينطبق على البدن الإنساني وتناسق أو تنافر قواه وما يؤل إليه من سعادة وشقاء .

فإذن لنذكر السلوك السوي وسعادة الحياة علينا البحث عن نواميس الحياة الواقعية واتباعها كأصول في حياتنا وقوانين في سلوكنا لا نمد لها يد التبديل والتغيير ، بل تطبيقها حذو النحل بالنحل إن شئنا الحياة الرافهة المنظمة ، كما نجد ذلك في حياة الأحياء مثل النحلة والأرضة والنملة المار ذكرها في كتابنا الحكومة العالمية المثلى ، بل وأعظم ما بحثناه عن الحكومة العالمية القائمة في بدن الإنسان .

ولقد مرت على هذا الإنسان السنين والأحقاب وهو يسير متخبطاً في سيره على خلاف الفطرة ، وكلما ابتعد أكثر كان شقاءه أشد ، حتى ظهر ذوو الآراء من الحكماء والفلاسفة للإهابة به وهديه إلى حياة أقرب للاعتدال أمثال أفلاطون في جمهوريته المارة الذكر ، والفارابي في مدينته الفاضلة ، كما ظهر غيرهم .

كما ظهر فيهم مصلحون أمثال كوفوشيوس وبوذا بغية تهذيب النفس البشرية بالعظة والنصائح ، وخير من ظهر من القادة الحقيقيين إنما أولئك الرسل المهيين بالإنسان والإنسانية للعودة إلى الحياة الفطرية الطبيعية الواقعية ، من أولي العزم من الرسل ، وأشدّهم كفاحاً ونضالاً هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتمهم محمد عليه وعليهم جميع الصلاة والسلام .

يتجلى لك ذلك الحق الناصع عنهم عندما تتلو بعض الآيات في القرآن الكريم^(١) .

(١) سورة الشورى / ١٣ ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذين أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ .

وفيهما يعلن أن الإسلام إنما هو أصل الأديان الذي دعا إليه أولو العزم^(١) . وأن هذا الدين هو دين الفطرة الذي فطر الله الناس عليه ، ولا تبديل له في الخلقة^(٢) ، وإنهم جميعاً يدعون إلى الله الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد^(٣) .

تلك كانت مقدمة موجزة عما يراد به من القانون ، ان يكون ناموساً فطرياً قائماً ثابتاً منفذ الفطرة في كل المجالات أدعوتَه قانوناً أساسياً ، جزائياً ، حقوقياً ، اقتصادياً ، أو غيره . وإن لكل هذه النواميس القائمة الدائمة لها أثرها في حياتنا الفردية والجماعية فراداً ومشاركة ، ومنها ما أوتيناه من عقل وغرائز شتى كل لها أثرها في الحياة ، فليس لفرويد أن يقول : إن الغريزة الجنسية هي المسيطرة على حياة الفرد ولا لجماعة آخرين أن يقولوا : إن السيطرة المتحركة في الفرد والمجتمع إنما هي الحالة الاقتصادية ، وقد ثبت خلاف هذا ، فربما أن تكون حالة نفسية وعقيدة تسبب التحكم في ظروف مواتية لم يبلغها الوضع الاقتصادي ، ويكفي نظرة بسيطة تاريخية إلى حياة الجزيرة العربية لقرون وأحقاب متطاولة ، وهي تسير في وضع اقتصادي واجتماعي بدوي منحط علمياً واقتصادياً وأخلاقياً لم تثب إلا حينما اهاب بشعوبها ذلك اليتيم الأمي الفقير بعقيدته الفذة بالدعوة للتوحيد ، لوحدة الخالق ووحدة العقيدة ويعني

(١) سورة آل عمران/ ١٩ ﴿ إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ﴾ ، و٨٥ منه : ﴿ ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ .

(٢) سورة الروم/ ٣٠ : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

(٣) قوله تعالى في سورة آل عمران/ ٦٤ : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﴾ .

الفطرة ووحدة الحقوق ووحدة النفوس والوحدة في كل المجالات ، وخلق نفسٍ مؤمنةٍ مريدةٍ مجاهدةٍ ممزوجةٍ من الماديات والمعنويات ، وإذا به يوجد من الضعف قوة ومن الفتات كتلة ، ومن الوهن همة ، ومن العناء نعمة ، ومن الشتات لمة يفتح بها القوى المسددة ويدك الحصون والقلاع المشيدة ، ويهزم الجيوش المنضدة ، لا تمنعها ثرواتها الدائرة وخزائنها الوافرة ، ونفوسها الماكرة ، وعلومها وتجاربها الغابرة والحاضرة .

خرّت جميعاً صاغرة مطيعة أمام قوى الإيمان وحكومة الفطرة ، ولولا العودة إلى القهقري عن تلك العقيدة ونبد الحقائق إلى الماديات القديمة ، وترك الأصول السليمة لعمت الأرض الحياة الرغيدة .

فالحياة الفطرية الطبيعية هي منبع السعادة في الحياة وقوانينها هي القوانين الأصلية التي يجب علينا البحث عنها لتطبيقها وهي علاج الأدواء الاجتماعية والقائمة دواء النكبات الدائمة .

نجدها عند البحث والتنقيب في أحضان الطبيعة الوداعة ومنقوشة على صفحات الكتب السماوية الرائعة في متون التوراة والإنجيل الأصلية الضائعة وما جمعه القرآن من حقائق ناصعة .

فالقرآن أهداها سبيلاً وأقومها دليلاً وأجمعها أصولاً ، والإسلام يقر بالأديان ورسّلها جميعاً وينزه أنبياء الله وكتبه صنيعاً ، ومعجزة من معاجز الصنعة والاتقان ، ومفخرة من مفاخر الحكمة والبيان ، تدلل به العقبات وتشغره النكبات ، وخير دليل لسبل النجاة ، فلدينا مصدران لاستقاء القوانين الطبيعية الثابتة :

١ - الكتب السماوية المنزلة التي يمثلها القرآن كتاباً ، والإسلام أمةً وشريعة ، وما سنّه أنبياء الله أخصّ محمداً صلى الله عليه وآله .

٢ - العودة لمصادر الطبيعة والاستقاء من الجماد والنبات والحيوان كما مر وذكرنا نبذاً منها .

تمهيد

وما هو القانون الأساسي بعرف قانون الفطرة ، في عرف أهل الآراء ، وأهل الأديان ، والقانون الأساسي القائم في نظام الطبيعة من الجماد والأحياء ، والقانون الأساسي الذي وضعه البشر لتنظيم حياته الاجتماعية؟ ولا بد لنا للوصول إلى الهدف وتوضيح الحقائق البحث إما عن المبادئ الطبيعية الكونية القائمة منذ الخلقة لهذا القانون والسير بها تدريجياً إلى ذوي الآراء والأديان ، وأخيراً الحضارات الحديثة القائمة . أو العكس ، أن نبدأ بالقائمة ومنشدها ثم البحث عما سبقها من أزمان وأحقاب ، ثم المقارنة بينها وتمييز الحسن من القبيح وانتخاب ما يصلح لهذا البشر واقعياً لبلوغ الحياة السليمة الممتعة ودرء السقيمة المفزعة .

لذا نقسم القانون الأساسي بل وبقية القوانين إلى قسمين (فصلين) :

١ - ما وضعه البشر وغير وبدّل فيه في مراحل وأزمنة كل حسب أهدافه وآرائه ومقاصده وغاياته وعقائده المتضاربة وأغراضه المتكالبة ، تسيره الأهواء والشهوات والغرائز المتضاربات .

٢ - ذلك القانون الأساسي الأصيل من روح الطبيعة والفطرة والعدل الإلهي ، ما أشار إليه ذوو الآراء السليمة من الحكماء وأقره الأنبياء المرسلون من أولي العزم في كتبهم السماوية وسنتهم ، وما نجده من فطرة الله في خلقه .

١ - القانون الأساسي - البشري الموضوع

« الصادر من أهوائه وغاياته »

منذ مستهل التاريخ البشري حكمت الشعوب في الشرق والغرب دكتاتوريات يتزعمها ملوك ذوو سلطة مطلقة ، استخدموا الأهواء في سبيل بسط نفوذهم في الداخل والخارج ، لا يقف دون غايتهم الغريزية حكمة جامحة ، وعقول ناصحة ، وضمان للحق صادحة ، يتحكمون في الداخل طغاة جبابرة ، وفي الخارج ذئاب كاسرة ، فالقانون في أقوالهم وأعمالهم ما داموا قائمين هو النافذ حتى بلغ بهم إلى دعوى الربوبية ، يتجلى ذلك لمتصفح التاريخ القديم في مصر ، وبابل وآشور ، ثم في الصين وفارس واليونان والرومان .

وقد بلغ الظلم مبلغاً كان الإنسان الحاكم أشد ظلماً على أخيه الإنسان من الضواري الكاسرة في تعذيب بني نوعه من الأحياء من فنون التعذيب والتنكيل ، مما دعا إلى ظهور ذوي الآراء من الحكماء كما ظهر في بلاد اليونان أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم ، ومعلمين حكماء في الصين والهند أمثال : كونفوشيوس وبوذا وبلاد فارس وروما ممن وضعوا المبادئ الإنسانية والقانونية وأدلووا بالآراء لحد سلطة الحكام وتقنين درجات للحكم تجاه المذنبين والمجرمين .

وقارن كل ذلك قيام الأديان السماوية الداعية إلى الله وتساوي البشر

في الحقوق والعدالة الاجتماعية مما وردت في التوراة والكتب القديمة والإنجيل والكتب الحديثة .

ثم تجلت الحقوق البشرية والنهضة الإنسانية والعدالة والمساواة على لسان خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (ص) ، وكتاب الله المجيد القرآن الجامع لأسس القوانين البشرية الحكيمة العادلة مقرونة بِأَرْقِّ العواطف من البر والإحسان ، وأسمى الخلق الفاضلة في الروح الاجتماعية الرفيعة التي بلغت أقصى ما تدعو بالبشرية إلى المنطق السليم وروح الرأفة والمحبة والتعامل والتضحية الفردية والجماعية ، الفرد للفرد والجماعة ، وإعلان حقوق الإنسان الواحد للآخر والأسس المتينة من الروابط^(١) التي يستند إليها فكراً وقولاً وفعلًا في الكتاب والسنة ، في الآية ٩ و ١٠ و ١٣ من سورة الحجرات حين يقول : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ، ويقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَ خَيْرًا مِنْهُنَّ * وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ . و ١٣ منه قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا * إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ .

ترى كيف جاء بهذه الآية من التساوي بين كافة الأمم وطوائف البشر من ألوانها وعقائدها وأجناسها ودرجاتها ومختلف طبقاتها من روح التساوي الأصيل مستدلاً بالأصل الواحد الذي بدأ ويؤل إليه من آدم ثم من التراب وإليه وما في هذه السورة سورة الحجرات من العظات والآداب والنصائح ، وما اشتمل عليه القرآن من روح الاجتماع والسلوك الأرفع ،

(١) راجع القرآن والسنة أخص سورة الحجرات وخطاب محمد (ص) في حجة الوداع وعهد مالك الأشتر ونهج البلاغة .

ويدعو إليه من الروح الإنسانية الراقية ، وكيف يدعو لتهذيب النفس في الصلاة فكراً وعملاً والجد للوقوف على روح الإنسانية والعدالة الاجتماعية والتساوي في المعاملة ، ودرك حقائق التعامل البشري بين الأغنياء للتواضع في مراسم الحج ، ذلك الموقف النزيه الرفيع عملاً ، تلك الأصول الإنسانية والحقوق البشرية المتجلية في التفكير والأقوال والأفعال لصاحب الدعوة نبي الإسلام وأهل بيته الأتقياء وصحابته البررة المقتدين به والداعين إلى دينه ، تجدهم قدوة في سلوكهم ومعاملاتهم وأقوالهم وأفعالهم .

نعود إلى موضوعنا القانون الأساسي البشري . الذي تجلّى بآدء ذي بدء في أوروبا :

القصد من القانون الأساسي :

والقانون الأساسي يقصد به :

- ١ — أساس منهج الحكومة .
- ٢ — ومدى سلطاتها .
- ٣ — وما هي الحقوق التي تتمتع به أفرادها وما هي وظائفهم .

الحكومة؟! هل هي حكومة دكتاتورية مطلقة ذات ملكٍ مطلق السلطة غير محدود ، مثل الحكومات الانقلاية العسكرية الموجودة فعلاً تلك التي لا اختيار للشعب في تقرير مصيره ، أم ملوكية دستورية ، ذات ملك غير مسؤول يتولى سلطته طبق قانون يحدد مدى سلطته في دولة دستورية لها مجلس أو مجلسين .

- ١ — سلطة مقننة هي السلطة المقننة .
- ٢ — سلطة مجرية هي مجموع الوزراء المحددين بسلطة القانون .
- ٣ — السلطة القضائية : كالدول الملوكية في أوروبا مثل : إنكلترا وهولندا وبلجيكا والسويد واضرابها .

أم هي جمهوريات واقعية ذات سلطات مقننة ومجرية وقضائية وهي متنوعة ، في دول رأسمالية مثل : أمريكا وفرنسا وألمانيا والنمسا تستمد سلطاتها من روح الشعب ، أم جمهوريات اشتراكية أمثال روسية وهي تختلف فيما بينها من قوة السلطات المقننة والمجربة والقضائية وكيف استمدوا النفوذ والقدرة من مجموعة أفراد الشعب .

والحق يقال : إن هناك الجماعات الثورية في هذه الدول هي المتحكمة المستبدة والمتغلبة على مجموعة أفراد الشعب ، وهذه تختلف قوة وضعفاً في تحكمها الذاتي ، كما في روسيا والصين ويوغوسلافيا ورومانيا ، أو هي مسيرة ومكبلة تحت نير سلطة خارجية رغم أنفها وأنف شعوبها ، ولا يمكننا أن ننسى أو نتناسى ما حدث من اتجاهات قهرية في سير الحكومات والسلطات المجرية والحاكمة في المجر وبعدها في تشيكوسلوفاكيا بعد الحرب العالمية الثانية وللآن .

ويوجه النقد نفسه إلى الكتل الرأسمالية أيضاً فهي رغم قيامها على الحكومات الديمقراطية أي حكومة الشعب نفسه بنفسه بيد نجد اختلافاً بيناً في واقع الأمر ، فأمريكا الرأسمالية الديمقراطية تجرها الشركات العظمى الرأسمالية ، وتتحكم في مصير الانتخابات لأعضاء المجالس المقننة والسلطة المجرية ، وتختلف دول الاسكندنافية ديمقراطية بأنها أطوع لإرادة الشعب ، وهناك دول أوروبا الأخرى المنقسمة بين الكتلتين الديمقراطية والشيوعية تختلف شدة وضعفاً لسلطة الشعب المطلقة والمنحازة قهراً أو شبه قهر إلى سلطات خارجية عن إرادة الشعب ، وأما الدول والشعوب القائمة في أمريكا الجنوبية وآسيا وأفريقيا فمهما أطلقت عليها ديمقراطية أو شيوعية فقلما تجد لإرادة الشعوب وسلطانها إلا نفوذاً ظاهراً ، وتكاد تكون جميعاً مسرحاً لتلاعب الدول الكبرى الرأسمالية والشيوعية الأمريكية والأوروبية .

تلك حقائق لا يمكن إنكارها ، ذكرناها ذكراً خاطفاً ، وسنذكر شيئاً

من أدوار الحياة الديمقراطية (حكم الشعب نفسه بنفسه) في بعض الشعوب ، ومتى بدأ وتبدل الحال من عهد إلى عهد حتى اليوم .

في إنكلترا : —

ربما كانت إنكلترا في طليعة الدول الأوروبية منذ أوائل القرن الثالث عشر وثبةً نحو الديمقراطية والحد من دكتاتورية الملوك والحكم المطلق هناك ، وذلك للتقدم الصناعي اليدوي ونفوذ رجال الدين والأمراء آنذاك مما أمكن اتحاد العناصر الثلاثة هؤلاء الكتل الثلاث كان لهم الأثر الكبير من الحد والحكم الاستبدادي لملوك إنكلترا كما صادف هؤلاء الملوك ضعفاً واندحاراً في جهة ما من جهة ارتفعت كفة أولئك وتغلبوا ووضعوا للملوك حداً يقف دون سلطتهم المطلقة على الشعب ، حتى نرى سنة ١٣٢٥/٦/٢٥ ميلادية وما حصل من اندحارات داخلية وخارجية وقف فيه ممثلوا الصناع ورجال الدين والسيورية مكونين جبهة قوية تجاه الملك وحددوا كثيراً في سلطاته في تشريع مكتوب كان أهم المقررات الأولى لبناء الديمقراطية ، وأهم ما ورد بها أمور سنذكرها أدناه بها تعرف من مفهوم المخالفة كيف كانت للملوك من السلطات الجائرة على أفراد الشعب من التعرض الجائر لهم ، والتلاعب بأنفسهم وأموالهم وعقائدهم ، وهاك بعض ما ورد في ذلك العهد المسلوب من الملك :

- ١ — لا يجوز توقيف أو تبعيد أحد إلا بقانون وحكم صادر من المحكمة .
- ٢ — لا يجوز فرض ضريبة إلا بعد تصويب مجلس الأساقفة والأمراء (المشكل من الكونتات والسيورية) .
- ٣ — ليس للملك حق للمداخلة في الأمور المذهبية وانتخابات الكنيسة بأي وجه من الوجوه .
- ٤ — لا يحق للملك غصب ملك من صاحبه إلا بشرط ويقانون وحكم محكمة وبعد دفع ثمنه .

٥ - على الملك دعوة رجال الدين والأشراف للمجالس العليا وأمور المملكة المهمة .

٦ - لا يحق سلب مالكية من مجرم إلاً بحكم قانون وحكم محكمة يصدر بالغرامة إلى السلطة المجرية .

٧ - للثقة من حسن إجراء ما مر أعلاه ينتخب ٢٥ فرداً من رجال الدين والأشراف المار ذكرهم يكون لهم الحق متى جاوز الملك تلك الحدود استعادة الحق المسلوب من أمواله بالوقت الذي نفس الملك وأفراد عائلته في صيانة كاملة من أي تعرض .

ترى أي سلطة كانت للملوك آنذاك وكيف جددت وكانت هذه حقاً نواة للحياة الديمقراطية ، بيد هل خضع سلاطين إنكلترا لتلك وظلوا يحترمونها؟ لا أبداً ونحن عندما نتصفح التاريخ نجد ذلك بدء المعركة بين الملوك والشعب من رجال الدين والأشراف وأقطاب الضياع والملأك ، فطوراً يتغلب الملوك وترتفع كفتهم ويشتد استبدادهم ، وأخرى تتغلب الكفة الأخرى وضلت هذه الكفتان في صراع مستمر حتى القرن السابع عشر ١٦٨٩ وبعدها ، وقف خطر ذلك الاستبداد المرير لملوكها واكتفوا بمقام الملوكية تاركين كثيراً من نفوذهم الاستبدادي المباشر . بيد لم يتركوه للشعب بالصورة الديمقراطية العادلة بين أفراد الشعب ، بل تركوه لسلطات أخرى من الرأسماليين وعلماء الدين والأشراف ، أولئك المتنفذين في الحياة الاقتصادية والسياسية الاجتماعية هناك . وعندها نرى تقدم نفوذ ذوي رؤوس الأموال وقيام الأحزاب وكفاحها لإحراز الأكثرية الحزبية ، ومتى تغلب أحد الأحزاب على الأخرى بأصواته ومجالاته الاقتصادية والسياسية نال زعيم ذلك الحزب مقام رئاسة الوزارة مرشحاً من قبل الملك حيث يعين هذا أعضاء الحكومة والسلطة المجرية المحافظة على منافع ذوي رؤوس الأموال .

هكذا أسس القانون الأساسي والقوانين الأخرى الفرعية لنفس

الغرض والغاية ، ويحق أن يقال لها دولة ذوي رؤوس الأموال المتنفذة التي تسير جميع الأمور وتضع الأحكام والقوانين التي تحفظ منافعها وأهدافها، وهذه الدولة تتميز بقدرة بدرجة الثراء الذي تتصف بها الكتل والجماعات من الأفراد والجمعيات ، وكلما زادت ثراءً زادت بسطة في نفوذها وسيطرتها ، وكلما قلت قلت حتى ترى أكثر أفراد الشعب محرومين من اعطاء الرأي وكسبه . حتى محرومين من أبرز المميزات الإنسانية .

هكذا استمر هذا القانون الديمقراطي الناقص حتى سنة ١٩٢٨ حيث وضع قانون خير من سابقه نسبياً ، وأكثر عدالة فقد أعطيت المرأة المحرومة فيه من أن تساوي الرجال في حقوق الانتخابات منها أن تُنتخب وأن تُنتخب ولم تدرك المرأة هذا الحق إلا بعد كفاح مرير ، كما ألقى صورياً شرط الثراء للمنتخبين ، بيد نراه يضع قيوداً جديدة محورة ، فلا يجوز للمنتخب إلا بلوغ الواحدة والعشرين من السن ، وعلى أن يكون عاقلاً ، وغير محكوم عليه بجنحة أو جنائية ، وبموجبه يعطى للبعض حقوقاً أوسع في الانتخابات ويحرم آخر حيث نرى اعطاءه البعض حق رأيين ، فهو يمنح له رأياً في محل سكناه وآخر عن حرفته وعمله ، وهذا العمل يجب أن يكون مسجلاً في قائمة العمل الخاص به كما يشترط أن يكون لمكسبه وتجارته قيمة مالية محددة لا ينقص عن ذلك الحد ، وشروط أخرى لسكناه مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر في محل الانتخاب ، وتعتبر للبعض الجامعات الإنكليزية باعتبار مركزها الراقى لأفرادها حق رأيين مثل جامعة اكسفورد وجامعة كامبريدج بينما الجامعات الأخرى ليس لها سوى حق رأي واحد .

وتوجه انتقادات كثيرة إلى الديمقراطية الإنكليزية بإنكلترا بنفوذ ذوي الثروة على المعدمين منها لعدة أسباب ، فعدى عن قدرة ذوي الثروة من نشر الدعايات على أجهزة الراديو والتلفزيون والصحف ومراكز النفوذ بشتى الوسائل التي يسهلها المال . ترى أن هناك شروطاً مفروضة على الناخبين

من تقديم ١١٠ جنيه للمأمور الموكل بمراكز الانتخابات قبيل إعطاء الرأس وهذا المبلغ لا يسترد إلا بشروط منها إحراز انتخاب العضو لمجلس العموم أو إحرازه ١/٦ الآراء العامة ، وغير هذه مما ترى أن كثيراً من الحوزات الانتخابية الكثيرة الأعداد يقل فيها المنتخبون لفقرهم المادي بينما يتقدم عليهم أقلية قد تقل إلى النصف أو أقل عدداً ليكون نوابها في مجلس العموم أضعاف الأولى كما حصل سنة ١٩٣٥ حيث انتخب تسعة نواب من منطقة انتخابية عددها مليون ونصف المليون ، بينما انتخب ٢١ نائباً من منطقة عدد سكانها ٦٣٠ ألف نفر .

هذا نقد يوجه إلى طرز الانتخابات ، وهناك انتقادات موجهة إلى الفروق القائمة في نواب مجلس العموم المار ذكرهم مما يجب أن ينتخبهم أفراد الشعب بالتساوي وشروط عادلة ، نجد مجلس اللوردات تقوم فيه الانتخابات على شروط وراثية ، ورئاسة مجلسهم تحت سلطة وزير العدلية ويؤخذ على مجلس اللوردات نفوذه في الخارج والداخل ووقوفه غالباً حجر عثرة للقيام بكثير من الإصلاحات التي يجب أن يؤخذ بها رأي الأغلبية من الشعب . هذا وإن أعضاء المجلسين عند ارتكابهم جنحة أو جناية لا يخضعون لقانون الجزاء العام ، وتتوقف محاكمتهم على موافقة مجلسهم الذي ينتسبون إليه .

نرى أن ما مر ذكره في كثير يُنافي العدالة الاجتماعية وحكم الشعب نفسه بنفسه ، وهناك كثير من الأجحاف والنقص وادعاءات كاذبة في تطبيق حكم المساواة وحقوق البشر .

فرنسا : —

كانت فرنسا إلى أواخر القرن الثامن عشر لا تزال تعاني الحكم الاستبدادي المطلق الجائر ، وقد كانت على أهبة انفجار شديد تبدل مجرى حياتها السياسي والاقتصادي والاجتماعي لتضافر العلل المهيئة لهذا

الانقلاب العظيم الذي بدّل مجرى حياتها رأساً على عقب ، وهزّ صدها كل شعوب العالم ، وكان إنذاراً لانبثاق انقلابات مماثلة .

وعلى سبيل الإيجاز نذكر أدناه العلل الموجبة لهذا الانقلاب : -

- ١ - تأثير الحركات التحررية القائمة في إنكلترا المار ذكرها .
- ٢ - تردي الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، الباعث على الاستياء العام .
- ٣ - ظهور عديد من الكُتّاب المصلحين المهيبين بضرورة الإصلاح وأثرهم على الوعي العام .

فالحركات التحررية المار ذكرها في إنكلترا وتحديد سلطة السلاطين المستبدين في إنكلترا أخص في أواخر القرن السابع عشر كان حافزاً ومحرّكاً لأولئك المضطهدين أخص المثقفين الأحرار والكتاب الواقفين على البون الشاسع في أصول الحكم في داخل فرنسا من تمايز الطبقات البرجوازية من عمّال وفلاحين من الطبقات الفقيرة المستغلّة من أقلية حاكمة ومثرية ، والبون الشاسع في الحكم والثراء بين هاتين الطبقتين حيث ترى أكثر من ٩٠ في المائة في أسوأ حال من الناحية المالية ، فقر متقع رغم أنهم الطبقة العاملة الكدودة ، ترهقهم الضرائب ، وتحدهم وتغلّهم أظلم القوانين المدنية والجزائية والمالية ، وتمايز الولايات والمحافظات عن بعضها البعض في الضرائب الداخلية والخارجية وأصول الجمارك والقوانين على اختلافها ، وتحديد المهن والحرف والتجارة وقيود تكاد تكون موروثه من الآباء للأبناء ، وكثيراً ما نرى فرض العقوبات والضرائب غير عادلة على طبقة دون طبقة ، ومدينة وأخرى ، كما تختلف في فرنسا المقاييس والأوزان ، وتمنع بعض الطبقات بالوظائف والمناصب دون غيرها . كلها وكلها لا تجد فيها وفي أي جهة أي أثر للعدالة والمساواة ، بل على الخلاف كلها كيفية مأخذها القوة والسلطة والتحيز وتلاعب الحكام والأمراء بشروة البلاد ، حتى ليبلغ الاستبداد من يد السلطات إلى الملكيات

الخاصة ، بعد أن تشف خزانة الدولة من إسراف الملوك وأعوانهم ، وذوي المناصب ، وكلما مرّ زمان زادت الطبقات الكادحة فقراً واضطهاداً ولحق بهم المقهورون من الملاكين الصغار تحت مطاردة الأكبر والأثرى ، والتحق بهم في الفقر والفاقة جماعات من صغار رجال الدين المعدمين .

النتائج : - فكانت نتائج كل هذه المظاهر الانقلاب الفرنسي الكبير ، وتحطيم كل ذوي النفوذ من ملوك وزعماء وأمراء وأنصارهم ومعاونيهم ، وما جرته شبوب تلك النيران من حرق كثير من الأغصان اليبانة إلى جنب اليابسة ، ومن أبرياء إلى جانب الأشقياء ، وتوجيه التهم مما يحمله أفراد ضد آخرين والنكال بهم . وكم مرّت من أهوال الأزمنة على الشعب الفرنسي حتى عاد إلى السكينة وتحديد القوانين والأنظمة وتطبيقها بصورة أكثر عدالة ومساواة حتى كان من نتائجها إعلان حقوق الإنسان . فقالوا :

١ - بأن الإنسان ولد حراً ويعيش حراً مدى حياته ومساوياً أفراداً بعضه لبعض في كافة الحقوق ، ولا ميزة بينهم إلا فيما يسديه الفرد للجامعة من خدماته .

٢ - الإنسان مصان نفساً ومالاً وله حق الحماية من الظلم .

٣ - السلطة والحكم للشعب ولا لفرد أو أفراد ذلك إلا عن مجموع الشعب .

٤ - تعني الحرية أن للفرد القيام بما يشاء بشرط عدم الإضرار بالآخرين ، ولكل حدود يعينها القانون .

٥ - لا يمنع القانون سوى ما يضر ، وكلما لم يمنعه القانون مباح ، ولا يلزم أحد على عمل إلا بحكم القانون .

٦ - القانون مظهر من إرادة مجموع الشعب ، ولهم جميعاً الحق في

وضع قانون عادل بالتساوي لكل منهم بدون ميزة سوى التقوى واللياقة .

٧ - لا يجوز اتهام أو توقيف أو حبس أي فرد إلا بصراحة ونمط قانوني ، وكل محرك أو مشوّق أو أمر أو منفذ لأمر غير قانوني يلزم مجازاته وعلى من أحضر أو وقّف قانوناً يلزم الطاعة له .

٨ - لا يحكم قانوناً إلا فيما هو ضروري ، فلا يصدر حكم على أحد إلا بموجب قانون معين من قبل ومنطبق على الجريمة .

٩ - لا يقال الفرد مجرم إلا بعد ثبوت الجرم .

١٠ - كل العقائد حرة إلا المخلة والمصرحة قانوناً .

١١ - من الحريات القيمة الإنسانية حرية الفكر والعقيدة في القول والكتابة والطبع إلا ان أساء التصرف بصراحة قانونية .

١٢ - يلزم لحفظ وضمان الحقوق البشرية العامة إيجاد قوى عامة .

١٣ - ولتأسيس القوى العامة يلزم فرض ضرائب متناسبة للقوى المطلوبة وثروة أفراد الشعب .

١٤ - وللعامة أو نوابهم تعيين الضرائب ونسبتها والتحقيق والمحاسبة عليها .

١٥ - يحق للشعب محاسبة القوى المجرية وعمال الدولة رأساً أو بوسيلة نوابه .

١٦ - كل شعب يفقد فيه تعيين الحقوق لأفراد الشعب ويفقد استقلال السلطات الثلاث يفقد القانون الأساسي .

١٧ - الناس مسلطون على أموالهم لا يجوز أخذها إلا لمصلحة عامة يخولها القانون على أن يعطي صاحبها بدلها عدلاً .

القانون الأساسي الفرنسي : —

القانون الأساسي وضع في ١٥/٩/١٧٩١ وبموجبه استعيض عن الملكية المستبدة والسلطة المطلقة إلى سلطة عامة ، وبه احيلت السلطة المقننة للقرانين لمجلس قوامه ٧٤٥ نائباً عن الشعب يتم انتخابهم لستتين لا يحق للملك حله .

بيد لم تجري الانتخابات بصورة عادلة لفرض ضرائب على الناخبين وفرض شروط مالية وثروات خاصة ، وادخلت تعديلات في سنة ١٧٩٢ و١٧٩٣ حيث الغيت الملكية وأبدلت بحكومة جمهورية ، وينتخب مجلس للسلطة المقننة أمده سنة غير أنه نرى شروط مالية للمتخبين في دورتين في الدورة الأولى تفرض ضرائب مباشرة وفي دورة الانتخابات الثانية فرضت على أن يكون الناخبين من ذوي الأموال الغير المنقولة ، وفي هذا ما فيه من الاجحاف بالمعتمدين .

وتغير القانون الأساسي سنة ١٧٩٩ على أثر الانقلاب النابليوني وبه أقيمت أربعة مجالس لتهئية وتدوين القوانين وغُيّرت شروط الانتخابات ، ولكنها سنة ١٨٠٢ نرى تبديل القانون الأساسي واستبدال النظام الجمهوري بامبراطورية نابليون ، ونصب نابليون امبراطوراً ، وفي سنة ١٨١٤ سقط نابليون من الحكم وتبدل نظام الحكم والقانون الأساسي وشكل للسلطة المقننة مجلسين ، مجلس الأعيان والمجلس النيابي ، وفرضت للناخبين والمنتخبين قيود مالية وظلت حتى ١٨٤٨/٢/١٤ حيث تغير نظام الحكم عند خلع لويس فيليب ، وبه الغيت الملكية وأقيمت حكومة جمهورية ، وأصبحت السلطة المقننة خاضعة لمجلس واحد ينتخب لثلاث سنين ، بيد لم تدم طويلاً واستعيض النظام الجمهوري بالنظام الامبراطوري وتعيين لويس نابليون امبراطوراً واستمر هذا النظام حتى سنة ١٨٧٠ حيث عاد النظام الجمهوري ولم يدم سوى من ١٨/٤ حتى ٣٠/٥/١٨٧١ في هذه الفترة استلم زمام الحكم العمال في باريس ، وأقاموا حكومة لم تدم سوى

شهرين وبضعة أيام . سنة ١٨٧٥ بعد اندحار حكم العمال وضع قانون أساسي جديد بموجبه وضعت السلطة المقننة في مجلسين هما الأعيان والنواب ، فيشكل مجلس النواب نواب المحافظات والمستعمرات عن كل ٢٢٥ ألف نفر نائب والمجلسان متساويان بالحقوق .

في الحرب العالمية الثانية : تغلب الألمان وعادت فرائسه تحت سلطة المانيا يديرها مارشال بيتن حكماً مطلقاً تحت سلطته السلطة المجرية والمقننة ، واستمر الحكم المطلق من ١٩٤٠ - ١٩٤٦ وفي إبريل من ١٩٤٦ بعد خروج النازيين تشكلت الجمهورية الرابعة بعد استفتاء عام ، وقام المجلس التأسيسي لتدوين القانون الأساسي المؤقت حيث بُدِّل في ١٩٤٦/٩/١٩ ، ووضع القانون الأساسي بعد الاستفتاء العام في ١٩٤٦/١٠/٣ وبه قرروا احترام حقوق البشر المار في ١٧٨٩ مع شروط جديدة اضيفت له منها تساوي حقوق النساء بالرجال ، تلك النساء اللاتي كنَّ إلى ذلك الحين محجورات ولأبائهن أو أزواجهن كالطفل له حق القيمومة على تصرفاتهن حتى في أموالهن^(١) .

كما أضافت لحقوق الإنسان السابق إضافات فلكل إنسان طلب العمل الحر ، ودعوة المطاردين من الأجانب للحياة الحرة بفرنسا ، التعليم المجاني ، والانتماء الحر في طبقات الأصناف ، وللأفراد حق الاضراب ، كما لكل فرد الاطلاع على المعاهدات وشؤون الدولة الاقتصادية ، وتتعهد فرنسا عدم التجاوز في الخارج على حقوق الاغيار ، بيد نراها عملاً ظلت القاهرة .

وجاء في القانون الأساسي أن نوع الحكومة جمهورية والسلطة

(١) بينما نجد المرأة في الإسلام لها جميع الحقوق المساوية للرجال ، وإن قلت في ارثها فقد امتلكت حقوق مضاعفة سيأتي ذكرها في وقته ، فقد كانت حرة في تصرفاتها ومالها وحررة في عملها .

للشعب والأفراد يتمتعون بالتساوي فرادى وجماعات ، وحل الأمور طبق موافقة الأكثرية وللمرأة حق الانتخاب كالرجل ، ثم كَيْفَت أعمال السلطة المقننة المشكلة من مجلسين ، وتشكيلها طبق شروط يمثلون أفراد الشعب ويتخب رئيس الجمهورية لمدة سبعة سنوات بواسطة المجلسين : المجلس النيابي والمجلس الجمهوري ، ولا يكرر انتخابه أكثر من مرتين ، ولرئيس الجمهورية اختيارات محدودة تحت إشراف السلطة التقنيية ، وتأييده بعد تقديم الطلبات من هيئة الدولة (هيئة الوزراء) .

وهكذا نرى كيف أن القانون الأساسي الفرنسي أصبح العوبة بيد الحوادث والأغراض البشرية في تذبذب وفي تقديم وتأخير وصعود ونزول ، وهذا الشر كله ناتج عن تلاعب البشر وتلاعب الفرائز والعواطف فيه وانحرافه عن المنطق السليم والأصول الفطرية الطبيعية ، وما يدرينا ما سيحدث من تغيير فيما بعد .

أمريكا (الولايات المتحدة) : —

هذه الحكومة الرأسمالية العظمى المتنفذة بشركاتها التريست المهيمنة على أعظم اقتصاديات العالم ، زعيمة الجبهة الديمقراطية التي كانت حتى سنة ١٧٧٦ إحدى مستعمرات بريطانيا العظمى . هذه التي نصبت تمثال الحرية عند مدخل ميناء نيويورك أعظم مدن العالم وتزعمت الجبهة المدافعة عن حقوق البشر ، وقبلها أعلنت في عهد أحد رؤساء جمهورياتها إبراهيم لنكولن حرية الجنس الأسود وتساويه بالبيض ، ومنع شرائهم وبيعهم ومعاملتهم كأرقاء ، هؤلاء سوف نرى نوع حكومتها الجمهورية وآثارها في الداخل والخارج .

مشروع التحرر : — سنة ١٧٧٤ انعقد في مدينة فيلادلفيا أول محاولة للحد من فرض ضرائب قامت بها إنكلترا على بعض المواد في مستعمراتها وهذه كانت نواة لحركة الاستقلال والتحرر تفاقمت من ذلك الحين إلى سبعة سنين حتى أعلنت استقلالها في ١٧٨٢ متضامنة بمعونة

بعض الدول أخص فرنسا . ولم تكن بين ولايات أمريكا الشمالية ما نجده اليوم من الوحدة ، بل كانت وسائل المعيشة والنظم والقوانين في كل ولاية والحالة الاقتصادية مختلفة ومتباينة والفروض الجمركية بين الولايات من المشكلات المثيرة التي طالما أدت إلى حروب وشجار بينها .

نواة القانون الأساسي الأمريكي : - تلك الاختلافات أدت لاجتماع ١٣ ولاية في فيلادلفيا ووضع النواة الأولى للقانون الأساسي بأن حكومة الولايات المتحدة جمهورية كل منها مستقلة داخلياً وواحدة خارجياً في الدفاع وحالة الحرب والناحية المالية تستمد سلطتها من الحكومة المركزية والقوانين الصادرة من مجلس الأعيان والنواب .

ولم يتجاوز عدد السكان حتى سنة ١٧٩٠ في الولايات عن أربعة ملايين بيد انضمت لها بعض الولايات وزادت الهجرة واشترت ما كان يعود لفرنسا من ولاية لويزيانا كما اشترت من اسبانيا والمكسيك بعض المستعمرات ، فزاد عدد السكان وهكذا اشترت من روسيا السكا سنة ١٨٦٧ اشترتها بما يعادل سبعة ملايين دولار .

تحرير العبيد : - كانت الولايات الشمالية من البيض وقلما تستعين بخدمات السود بعكس الولايات الجنوبية التي كانت السود عبيداً أرقاء في مزارعهم ، وكل خدماتهم ، والدعوة إلى تحرر السود أقام حروباً طاحنة بين الشمال والجنوب وبعد قتلى تعد بـ ٧٠٠ ألف جندي تغلب الشماليون على الجنوب لتحرير السود بزعامة إبراهيم لنكولن رئيس الجمهورية ، وقد ذهب هذا الداعي لحرية العبيد مقتولاً ضحية دعوته ، ورغم الدعوة لتساوي السود بالبيض ظل السود يعيشون في كل شؤونهم في التعليم والمعاملة والمعيشة والحالة الاجتماعية وحتى القضائية لليوم بصورة غير عادلة ، وهي من أبرز الموارد التي يؤخذ عليها الشعب الأمريكي^(١).

(١) راجع (رسالة العودة من أنازونا) تأليف الكاتب الروسي الشهير اليا اهرنبورك .

أصل مونرو : - مونرو هذا أحد رؤساء جمهورية الولايات المتحدة على أثر طلب الاتحاد المقدس الأوروبي الاستعماري لمد نفوذه إلى أمريكا أعلن أن أمريكا للأمريكيين وحذرهم من المداخلة في شؤون أمريكا ، ومهد السبيل لمد نفوذ أمريكا أخص واستطاعت الولايات المتحدة من فتح قناة بنما التي بدأتها فرنسا ووصلت الشرق بالغرب ، وتحسنت أوضاعها السياسية على أثر توسعها الاقتصادي وبدت زعامتها في الحرب العالمية الأولى يوم دخولها الحرب بجانب الحلفاء والظفر بهذه المداخلة سنة ١٩١٨ وهكذا نرى أمريكا تتحدى نفسها أصل ما قال به مونرو وتتخطى ما استطاعت للمداخلة في كافة شؤون العالم ، حتى نراها طبق اقتراح مارشال تبسط نفوذها حتى على أعظم دول أوروبا من إنكلترا وفرنسا وألمانيا وغيرها.

ولا نرى من يقف دون هذا النفوذ سوى الدول الشيوعية . وكم رفعت أمريكا صوتها بالعدالة الإنسانية وحقوق البشر ، وقالت وتظاهرت كما مر حين وضعت تمثال الحرية على مدخل نيويورك ، وقالت : بحد لاستعباد السود والحر من البشر، غير أنه لم يصح هذا الإدعاء عملاً في سلوكها وسيرتها منذ نهضتها في الداخل؟ ولا زال السود والحرر مقهورين منفورين في شتى شؤونهم السياسية والاجتماعية حتى التعليمية وحتى أمام القانون .

أما في الخارج فسل عنها الشرق والغرب ، سل اليابان في هيروشيما ونيازاكي والكوريين في كوريا والويتناميين ، وسل عنهم الشرق الأوسط في إيران وكافة البلاد العربية ، أخص تحكمها باسم إسرائيل الصهيونية والمذابح والمجازر المستمرة في جنوب لبنان والحروب العديدة في شرق فلسطين وغربها ، وسل عن اسطولها المهدد الداعم لشركات التريست ومداخلاتها المستمرة في شؤون أمريكا الجنوبية ومختلف بقاع أفريقيا ، ودول أوروبا حتى أعوانها وأياديها في إنكلترا وفرنسا وفرض سيطرتها في

أواسط أوروبا سياسياً واقتصادياً ، وحركاتها الانقلابية في شتى أنحاء العالم تارة تحت ضغط شركات الترسن وتارة لفرض مواردها الاقتصادية ونتاج معاملها الحربية ، وأخرى لاستغلال موارد البلدان الأضعف من نفط ومعادن .

وأنت إذا ما تحققت وجدت اليوم العالم في حرب دائم وصراع قائم منذ أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها بل قل منذ أن استفحلت شركات أمريكا وكلما ازدادت قوة ازدادت كيداً وطيشاً تكيل للعالم باسم الإنسانية كل حيف وظلم واجحاف ، وهل يستطيع العالم المتحضر والعقول المفكرة أن ترخي من أستارها على هذه الكتلة الغاصبة المتجاوزة في فلسطين لمحض إلتهام ما في الشرق الأوسط من الذهب الأسود ومعادنها وإقامة حصن لدك المدن والنفوس الوادعة وشل دفاعها عن نفسها ومالها وثرائها غير خائفة ولا هيابة! أحقاً أنها تدافع عن حقوق البشر؟ وهذه لبنان تدمر وتقتل أبنائها بأسلحة أمريكا وأيادها ، وتلك إيران وأعمال الجاسوسية الأمريكية ومستشاريها في السلب والتدمير والقتل والفتك بالنفوس البريئة الآمنة . ومعاهد العلم ومعامل التربية ، هل تتساءل أمريكا هذه الحكومة الديمقراطية الداعية إلى حقوق البشر لمن تصنع هذه المخترعات الفتاكة والأسلحة المدمرة ، أنفسها أم لبني جنسها من أبناء البشر ، أليست أنها تركت الشركات العظمى من الترسن تتحكم لا في مقدراتها بل في مقدرات العالم الحر وإن ذلك سيعود عليها نفسها بالويل والثبور بعد حين .

وليس ما أقوله عبثاً فقد أحرزت أمريكا قبيل الحرب العالمية الأولى قصب السبق في إنتاجها الصناعي وظل يستمر حتى ساوى ما تنتجه إنكلترا وألمانيا وفرنسا ، ثم زاد وظل يستمر من ٢٢٪ من منتج العالم الصناعي ، وزاد في الحرب العالمية الأولى وبعده حتى بلغ سنة ١٩٢٩ ٢٤٤,٢٪ من منتج العالم ، وخلال له أصيب بنكسة قوية وحذار ذلك فقد وجدت أمريكا

أن خير وسيلة هو إثارة وتقوية ألمانيا الهتلرية بيد نراها في ١٩٣٨ كادت تهوي في سقطة كبيرة من حيث الناتج الصناعي ، ولم يُنجها من ذلك الأمر إندلاع الحرب ودخولها منتصرة بعد أمد وهي تنتج أضخم المصنوعات الحربية ولكي لا يعود لها الاندحار الصناعي وتكثر البطالة ظلت تثير أقصى ما تستطيع من الاضطرابات والحروب هنا وهناك بتحريك شركاتها الضخمة أنخص الصانعة للأجهزة الحربية تلك التي أثارت الحروب بعد الحرب العالمية الثانية هنا وهناك ومنها في فيتنام وأشد في الشرق الأوسط وإلقاء النفاق بينها من جهة وبينها وبين من خلفته في فلسطين باسم إسرائيل ، سالبة موارد النفط الضخمة من جهة وملزمة تلك الدول المسكينة الإسلامية بشراء أضخم ما تستطيع بتلك الموارد من الأسلحة الفتاكة وإشعال نار الحرب فيما بينها لتدمير تلك الأسلحة وتجديدها ، وهكذا نرى الولايات المتحدة أعظم مثير للقلق والحروب في العالم .

القانون الأساسي وتطوره : - اتفقت الولايات الـ ١٣ لأمريكا الشمالية بتاريخ ١٧٧٨ في فيلادلفيا أنها تحتفظ كل ولاية بشؤونها الداخلية ولها مجالسها المقننة ، بيد ترسل ممثلاً يمثلها في المجلس العام ، الذي يمثلها في الخارج ، وله صلاحيات كما مرّ وكانت هذه الصلاحيات محدودة في إعلان الحرب ، وتجهيز القوى البحرية ، وحل الاختلافات بين الولايات ، بيد بتاريخ ١٧٨٧/٥/١٤ أقاموا قانوناً أساسياً أوسع من سابقه لدولة ديمقراطية ذات ثلاث سلطات : مقننة ، مجرية ، قضائية .

(١) السلطة المجرية : يجعل المجلس الأعلى تحت إشراف رئيس الجمهورية (بواشنطن) ، وهو رئيس السلطة المجرية .

كيف ينتخب رئيس الجمهورية : يرى لكل ولاية انتخابات لرئيس الجمهورية وينتخبون نواباً بدورهم ينتخبون رئيساً للجمهورية لأربعة سنين ، ومن هؤلاء يتقدم ممثلون لمركز الجمهورية الأم لانتخاب رئيس

جمهورية الولايات المتحدة يجري ذلك تحت إشراف رئيس مجلس الأعيان ، وهذا تحت إشراف أعضاء مجلس الأعيان والنواب يبادر بقراءة الآراء ومن أحرز الأكثرية المطلقة كان رئيس جمهورية الولايات ، وهذا يعتبر رئيس السلطة المجرية في البلاد مع العلم أن في الولايات المتحدة ثلاث سلطات مستقلة الواحدة عن الأخرى .

حدود اختيارات الرئيس : —

- ١ — تعيين الوزراء وذوي المناصب العالية بموافقة مجلس الأعيان بيد له وحده عزلهم .
- ٢ — له حق تعيين قضاة الدولة المتحدة بيد لا يجوز تغيير مناصبهم إلا بموافقتهم ، وفي بعض الجمهوريات ينتخب الأهالي قضاتهم مباشرة .
- ٣ — المعاهدات السياسية والتجارية تخص رئيس الجمهورية سوى ما يلحق ذلك من عهود مالية على كاهل الدولة يلزم فيه أخذ موافقة المجلسين .
- ٤ — إرسال وقبول الممثلين السياسيين يخص رئيس الجمهورية .
- ٥ — لا يحق لرئيس الجمهورية إعلان الحرب إلا بموافقة المجلس النيابي .
- ٦ — إصدار اللوائح القانونية من اختصاص المجلسين .
- ٧ — لرئيس الجمهورية العفو وتخفيف المجازات سوى عن الوزراء وموظفي الدولة ، ووظائف وزارة المعارف تخص الولايات نفسها ، كما أن وزارة المستعمرات تخص وزارة الداخلية .

٢) السلطة المقننة : وهو البرلمان المشكل من مجلس الأعيان ومجلس النواب ، فمجلس الأعيان يتشكل من الأعيان ، فلكل ولاية حق انتخاب عشرين لمدة ستة سنوات (بدون قيد عدد السكان) بحيث كل

ستتين تجدد انتخاب أعضاء مجلس الأعيان ، بينما ينتخب النواب حسب عدد الأفراد من كل ولاية .

أما السفراء والقضاة فيجري انتخابهم بترشيح مجلس الأعيان ، ورئيس مجلس الأعيان هو نائب رئيس الجمهورية .

التغيير في القانون الأساسي : بموجب المادة ٥٥ منه يجوز باتفاق ثلثي المجلسين تغيير مواد القانون الأساسي على شريطة أن تعرض على المجالس التقنية للولايات وتوافق $\frac{3}{4}$ على ذلك .

الحريات في القانون الأساسي :

ومن أبرز ما نشاهده في القانون الأساسي للولايات المتحدة : حرية العقيدة والطبع والنشر والاجتماع ، بيد عملاً نجدها جميعاً تحت سيطرة قهارة من عدة سلطات ، منها شركات التريست العظمى والأحزاب المساقة لأغراضهم ، حيث تجدها تسيطر على المطبوعات والنشر والطبع والإذاعة ، فهي باسطة يدها بالإغراء وإلاً بالتخويف والإرهاب ، بما تبذله من مال وتحريزه من قدرة إرهابية بوسائل علمية وفنية لا يعوقها عن اغراضها قانون وضمير ووجدان ، فهي ترى كل شيء مجاز لإدراك غاياتها الشريفة أو الدنية . (الغاية تبدد الوسطة) .

في الحين التي تنشر أباطيل وأكاذيب وتزيف الحقائق وتخفيها بشدة سيان منها في الداخل أو الخارج ولو بالقتل والتنكيل وسلب الحريات الفردية والجماعية ونشر الفساد والتدمير لبلوغ خططها وغاياتها ، وكثيراً ما تحيق بها كما حصل في فيتنام وإيران ، ولا بد وأن يحصل ذلك إن قريباً أو بعيداً في فلسطين ، إنها اليوم تركز قواها بيد أفراد كل همّها القوى المادية والثروة الآنية بعيدة عن المعنويات والخلق الإنسانية الرفيعة ، أمثال الأقليات الدينية والأقليات الأخرى التي تسخرها لبلوغ مأربها حتى إذا طغت يوماً ما دمرتها دون رحمة أو شفقة ، كيفما تقضي بذلك مصالحها ،

فهي ومن تخالفه ينطبق عليها الآية القرآنية : ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقون ﴾ ، فما كان لله ينمو وما خالف الطبيعة والفطرة الطبيعية فلا بد أن يندحر ، ولا بد لهذا الجسم الإنساني وهذا المجتمع الإنساني أن يشد إزر بعضه بعضاً ، ويراعى بعضه بعضاً ليسعد ، ومتى سار لمقاصد وأغراض شخصية فلا بد له مهما بلغ من القوة أن يشقى ويندحر وينهار إن لم يكن من الغير ، فمما يحصل فيه نفسه من الفساد والآفات ، وهذا ما يجب إصلاحه قبل فوات الأوان . ولا يحق المكر السيء إلا بأهله . وهذه أمريكا الغنية المتقدمة في العلوم المادية متأخرة معنوياً وخلقياً وبحاجة ماسة للإصلاحات المعنوية .

روسيا : —

مرّ وذكرنا السير الديمقراطي (حكم الشعب نفسه بنفسه) في الدول الرأسمالية . وذكرنا أهمّها . والآن نشرح أم الدول الاشتراكية الشيوعية كنموذج وكيف كانت وانتقلت إليه ، وكيف تطور فيها هذا القانون الأساسي وحتام يتطور . ونحن نستعرض أوضاع هذه الدولة من قبل الشيوعية ومن بعدها وعلينا أن نقارن بين الوضعين ، وما هي عليه اليوم ومقارنتها مع الدول الأخرى الرأسمالية ، والغاية المرجوة في هذه التطورات في حياة البشر وأي الأنظمة هي أصلح بعد المقارنة مع بعضها ، وما يؤخذ على كل منها من النواقص بعدما امتازت به على غيرها .

روسيا قبل الحكم الشيوعي : - حتى سنة ١٩٠٥ كان الحكم في روسيا حكماً استبدادياً مطلقاً ، والقياصرة الروس يفعلون ما يشاؤون ، وكل الحقوق الفردية والجماعية مضاعة ، وكل الحقوق العقائدية في القول والرأي والنشر والطبع مفقودة ، وقد وجدنا الوعي العالمي في إنكلترا وفرنسا وتقدم العلوم والصناعات كما رأينا العالم الجديد في الولايات المتحدة ، - والنهضة الفكرية في الشرق والغرب ، ومهما كانت روسيا في حالة انعزالية فصلتها بأوروبا العالم المتحضر المتقدم وما ينشر

ويقال من الكُتّاب والمتحضرين أهّاب بالشعوب الروسية أن تستيقظ وتستعد ، وحينما اندحرت روسيا في حربها مع اليابان في الشرق هذا الضعف سرى إلى أداة الدولة ورفع كفة المخالفين والمتحررين والمطالبة من حد استبداد القيصر ، وإعطاء بعض الحقوق للشعب ، وإقامة مجالس مشابهة لتلك التي تأسست في إنكلترا وفرنسا وغيرها . واعتمد الأحرار على العمال والمزارعين المستضعفين وتأزمت الأوضاع حتى لم ير القيصر إلّا الحد من سلطاته وإعطاء بعض الحقوق للشعب ، فأعلنت حرية الأديان والطبع والنشر والاجتماعات والمجالس ، وبعد سنة ١٩٠٥ تعهد الامبراطور أن تكون وضع القوانين وفرض الضرائب حسب ما يرتأيه نواب مجلس الطبقات المختلفة . وسنة ١٩٠٦ اضطر من تشكيل مجلسين في هذه الفترة طالب النواب بالحد من نفوذ الاشراف وتقسيم أراضيهم بين الفلاحين ، وهذا أدى لتعطيل إحدى المجالس تحت نفس السلطة الاستبدادية السابقة بتحريض الملاكين من الأشراف بعد ٨٢ يوماً من فتحه وإحلال مجلس آخر ، إلّا أنه نرى غلقه لقيامه بنفس الدعوة للإصلاح بعد أيام قلائل ، صمم القيصر في صم أفواه الأحرار وتعديل القانون الأساسي بحيث حدد كثيراً من الحريات ، وحرّم كثيراً من حقوقهم ، ومنع كثيراً من إعلان آرائهم ، وحتى من دخولهم كناخبين ومنتخبين ، وحرّم ولايات كثيرة من ذلك مثل سكان تركستان وازبكستان وتركمنستان وتاجكستان وقازاخستان وقرقزستان ، هذه سببت قيام الأحزاب المعارضة قياماً أكثر جدية وصلابة أخص المجامع الماركسية والجماعية الديمقراطية ، كل هذه مرت تشد أخص في عهد الحرب العالمية الأولى حتى القيام الشيوعي الكبير سنة ١٩١٧ حيث حطّم جميع العناصر المستبدة القديمة وأبادها وأقام على انقاضها نظاماً جديداً في العالم .

وفي كانون الثاني من سنة ١٩١٨ وضع أول قانون أساسي يحفظ به حقوق الكادحين من قبل مجلس الأمة ، وظلّ هذا القانون الأساسي يحكم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للشعوب الممتمة لروسيا يتقدم نحو

التكامل حتى تم في ١٦/١/١٩٢٣ فكان أهم مصدر ومآل للهيئات المحلية الروسية الشيوعية منها الهيئة الاجرائية المركزية ، والمجلس أو الهيئة ، ويتشكل من مجلسين : الأول يتألف من أعضاء وكان آنذاك ٣١١ نائباً ينتخبون حسب عدد أفراد الولايات التابعة ، ومجلس آخر ينتخبون بالتساوي عن الولايات الروسية ، وضلّ هذا القانون ساري المفعول حتى سنة ١٩٣٦ ، ثم عُدّل وأضيف له بعض الإصلاحات في ٢٥/٢/١٩٤٧ ، ولا زال لليوم ساري المفعول .

وينص بمادته الأولى أن هذه الدولة دولة شيوعية جماعية للعمال والمزارعين ، وفي المادة الثانية أنها تتشكل من نواب العمال والمزارعين القائمة على انقراض حكومة المالكين وذوي رؤوس الأموال ، وفي الثالثة أن الحكومة تخص الكادحين في المدن والقرى ، ويمثلهم النواب . والمادة الرابعة : تبين أن الملكية ملكية جماعية ، وكلّ ما في الدولة ملك الجميع (وليس فيها كما مضى ملكية فردية) بما فيها من منقول وغير منقول على اختلافها . ويشرح في المواد الأخرى أن الفرد يستحق على مقدار كدحه ويحدد الملكيات والعمل ، ويحدد ثروة الأفراد من منقول وغير المنقول ، والشروط المفروضة وان العمل احدى الأصول لإدامة وسعادة الحياة ، وبه يحدد عدد الجمهوريات الروسية إلى ١٦ كما يحدد بهذا القانون حدود وحقوق الدولة في الداخل والخارج .

القوى المقننة : يتشكل من مجلسين كما مرّ ، ويشكل أعظم قوة في الدولة ، ومدة انتخابها أربعة سنين . ولكل جمهورية على انفراد لها قانونها الأساسي ، ومجالسها على نفس الشاكلة أعلاه ، والمجلسين يعتبران أهم مرجع للدولة .

القوى المجريّة : هم هيئة الوزراء وهي مسؤولة أمام القوى المقننة وتتألف من ٣٨ وزارة عامة .

القوة القضائية : المرافعات القضائية علنية إلا في موارد خاصة ، والمحاكم محاكماتها تدار من القضاة ومختاري المحلة . وتعتبر الهيئة العليا لاتحاد الجماهير للدولة أرفع مقام قضائي في المراكز القضائية للأشراف والتفتيش وتعيين المدعي العام لسبعة سنين ، ويشرف على تطبيق القوانين في أنحاء الجمهورية ويعتبر مستقلاً استقلالاً كاملاً على شريطة اتباعه القانون .

وينتخب القائمون على إدارة المحاكم الوطنية على العموم بصورة مباشرة وعلى نمط واحد بتصويت لخص لثلاث سنوات ، وللمتهم الحق الكامل للدفاع .

الانتخابات : يشترط في الناخبين بلوغ الثامنة عشر ومتساوين رجالاً ونساء ، ويشترط في المنتخبين بلوغ الثالثة والعشرين ، ولا تختلف الشروط نفسها بين العسكريين كناخبين أو منتخبين . والانتخابات عامة وسرية ، ولا يشترط فيها عقيدة أو عنصرية أو الدرجة العلمية ، ومركز الإقامة أو الثروة المادية ، عدد مجلس النواب ٦٥٦ ومجلس الولايات ٦٣١ ومدة انتخابهم أربعة سنوات ، وكل يشكل مجلساً وكلاهما تشكل الهيئة العليا لاتحاد الجماهير ، وهو أرفع مقام يشرف على السلطة المجرية ووضع القوانين .

حقوق أفراد الشعب : محفوظة لمطالبة العمل لقاء راتب معين مناسب لنوع العمل ، كما لهم الحقوق الصحية للمعالجة والاستراحة والتقاعد والتعليم الابتدائي مجاني .

الحريات : حرية العقيدة ، الحرية البدنية ، وحرية المطبوعات والمخابرات والمراسلات بيد لا تقرر الدولة بالدين ، فهي عيلامية ، وتعليم الدين غير موجود في المدارس أو المعابد ، وهذا من الموارد المهمة المأخوذة عليها ، أخص وان حرية الفكر وأخص نقد جهاز الدولة عملياً محذور ومخوف .

الصفات المميزة : يختلف الحكم الشيوعي ان كل شيء من أرض ومنابع طبيعية ومعامل من منقول وغير منقول ، كلها ملك الشعب ، والأصل العمل ، فالعمل هو الثروة الفردية ، وعلى قدر علمه وعمله يستفيد ، وليس للملكية الفردية والرأسمالية أثر يذكر ، وهذا أصل من أصول القانون الأساسي ، ولا نكاد نطلق على الأفراد أسماء مختلفة عدى اسم المكافحين من عمال ومزارعين وكل فرد مهما بلغ ، فهو يدخل ضمن هذا الاسم مهما بلغ من مقام وسلطة ، هذا ما يعنيه القانون الأساسي ولكن هل صح ذلك عملياً في جميع شؤونه من الحريات والتساوي ونزع الطبقات والتساوي العادلة؟ .

وهل أن الديمقراطية الحقيقية وتساوي الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية مؤمنة بصورة عادلة؟ .

لقد مرّت السنوات الطويلة على الدول الشيوعية والفرد فيها كآلة مسخرة عاملة كادحة يكاد يكون محجوزاً عليه ، مكمود الأنفاس ، تسيّره كتلة تكاد تكون مستبدة ، ويكاد يكون لا حول له ولا طول ، وليس له حق الفكر والقول والكتابة والطبع والنشر والنقد والعمل الحر والنقل والانتقال والتجارة الحرة ، بل كل شيء مسلوب منه سوى منهج مخطط ومحصور لا يحق له أي للفرد ما نراه من الحرية في الدول الرأسمالية ، ورغم ما نسمعه ونراه عملاً وفروقات بين الشعوب الرأسمالية التي وجهنا لها انتقاداتنا المرة نرى الدول الشيوعية ، تحكم الأفراد باسم العدالة الاجتماعية حكماً استبدادياً ، حكماً مغلقاً مقيداً على الأفكار والأبدان ، يفقد فيه الفرد ذلك الطموح والنهضة والرغبة والنزعة الحرة ، ونرى الدول الشيوعية تنقسم على نفسها وتستعبد القوية الضعيفة ، وتستغل نشاطاتها ، ونرى رغم ما يؤخذ على الدول الرأسمالية من نواقص مارة أن أفراد هذه الدول الرأسمالية أسعد حظاً لذا لا نرى أفرادها يوماً من الأيام تحاول الانحياز إلى الكتل الشيوعية كما تهوي أفراد الكتل الشيوعية من كسر القيود والهروب إلى الدول الغير الشيوعية ، رغم ما نجده من الدعاية الشيوعية الواسعة .

والعيب الكبير في الدول الشيوعية أنها تحرص على التقسيم المار بزعمها أنها تنقذ البشرية من ويلاتها ناسية أن السعادة مقسمة بين الماديات والمعنويات والسعادة والشعور بها إنما هي معنوية نفسية أكثر منها مادية ، فلا بد من إعطاء الفرد الحامل لشتى الطموحات والغرائز المجال للسعي وإعطائه المجالات الحرة ، والعمل والتفكير الحر .

الواقع أن الرأسمالية والشيوعية كلاهما بحاجة إلى تعديل وتقريب وإصلاح ومزج وتفكيك واعتدال وانتقال إلى النظام الفطري الطبيعي الذي هو خير السبل وأسعدها وأجمعها ، والذي سوف نتحدث عنه كما أشرنا له فيما مضى .

القانون الأساسي في الحكومات الإسلامية :

لا شك أننا سوف نبحث مفصلاً في القانون الأساسي في الإسلام ، وأما الآن فنريد أن نذكر القانون الأساسي الذي بدأ في انكلترا وفرنسا وسار في البلاد الأخرى بعد أن كانت تطبق فيها الحكومات الاستبدادية ، وقد مررنا وذكرنا نمطين من تلك الحكومات التي سارت بعد الحكم الاستبدادي إلى الديمقراطية أعني حكومة الشعب ، ووضع حدود لحقوق الشعوب وقيام السلطات التقنية التشريعية والسلطة المجرية والسلطة القضائية ، ورأينا كيف انقسمت إلى قسمين ، الحكومات الرأسمالية التي قوامها الحرية الفردية ولها الاختيار في التملك وباقي الحريات الجسمية والفكرية والمالية و... الخ . والحكومات الاشتراكية الشيوعية وقوامها ملكية المجتمع وكفاح الفرد وكل منها تشعبت إلى أقسام وحدود في سلطان الفرد وأثره وسلطان الشعوب وحدّها من فرض القوة والسلطة .

أما الآن فنتكلم كيف سرى ومتى سرى الحكم الديمقراطي الحديث بين الشعوب الإسلامية ، والشعوب الإسلامية لا تتعدى الثلاث :

١ - الامبراطورية التركية التي كانت تحكم الشعوب الإسلامية أخص البلاد التركية والعربية على اختلافها .

- ٢ - الامبراطورية الايرانية ومن كان تحت سلطانها المستبد من الشعوب .
- ٣ - الشعوب الإسلامية الأخرى التي خضعت لسلطات أخرى كالجمهوريات الإسلامية التي تخضع اليوم إلى روسيا الشيوعية يوم كانت محكومة مقهورة تحت سلطة القيصر المطلقة ، والأخرى في البلاد الأخرى .

ولقد كانت لصدى الثورات والانقلابات التحررية في الدول الأوروبية الواحدة تلو الأخرى وما نشره الكتاب المتحررون ، وامتداد الحكومات الأوروبية سلطانها في الشرق والغرب ، وما كانت تعانيه الشعوب الإسلامية من ظلم السلطان في تركيا نفسها والقضاء على النزعات الإصلاحية وقيام الأحزاب التحررية في سوريا ومصر وجور بعض الحكام كجمال باشا في سوريا ونزعة الحكام الآخرين للتحرر كمدحت باشا في العراق وغيرها .

ومحمد علي باشا في مصر واستقلاله وقيام رجال مصلحين للكلمة وطلب الوحدة ، وبث الوعي العام في الشعوب الإسلامية من خطب وكتابات كسيد جمال الدين الأفغاني (الأسد آبادي) وآثاره في بلاد فارس والبلاد الإسلامية أخص مصر وغير الإسلامية^(١) . وقيام رجال الفكر في تركيا وإيران ومصر وسوريا والعراق . وأهابتهم بهذه الشعوب المستضعفة الخائعة المستكينّة الراضخة تحت قيود ونير السلطان العثماني الجائر المستبد وشاهات إيران الغشم ، وما أدت إليه سلوك هذه الملوك إلى أعظم الفجائع من الفقر المتقع والجهل الضارب أطنابه في طول البلاد وعرضها ، وتفكك عرى الأقطار والمدن والقبائل وحتى في المدينة الواحدة والقرية الواحدة في تفرقة ونفاق خلاف ما ورد في الكتاب والسنة بأن المؤمنين إخوة .

ولا نرى للولاء والحكام والأمراء سوى إرضاء شهواتهم واطماع

(١) ترى بعض آثاره الكلامية في العروة الوثقى

سلاطينهم لغرض الاحكام والضرائب مهمى نتج عن ذلك من الخراب والدمار والأمراض الاجتماعية والأوباء الجسمية والعقلية ، فكنت لا ترى أثراً للعدالة الإسلامية وسلطان أحكامها ونصوص الكتاب والسنة ليست جارية إلا اسماً ولا قوانين مدونة ولا حرية فردية أو جماعية في كافة مجالاتها العامة والخاصة . فالسلاطين وما شاؤا وفرضوه لا يقف دون أمرهم ونهيهم أبداً شيء حتى الدين لأن الدين في البلاد الإسلامية العثمانية تسيروا السلطات الغاشمة لسلاطين آل عثمان الذين أسبغوا على أنفسهم اسم الخليفة ، فهم أولوا الأمر المطاعون ، وهم الذين ينصبون علماء الدين وأئمة الجماعة ويقسمون بينهم مقاماتهم ومساجدهم وقولهم لا يجوز بحكم شريعتهم مخالفتهم ، فهم أولوا الأمر بعقيدتهم المزيفة ، وبلغوا ما بلغوا من الظلم والغش والإلحاد .

ولم يبق من علماء الدين المعتدين بأنفسهم المستقلين عن البلاط القائمين على حراسه الدين سوى علماء الإسلام الجعفرية الفارسيين في الاحكام العدالة واتباع الشريعة ، وإذا كان السلطان في بلاد فارس يعلم بمقامهم كان إما جلب رضائهم الذي هو رضا العامة أو وضع فاصلاً وحائلاً بينه وبينهم ، وتقريب من صالحه وأقره ، وربما محاولة إدخال ما هو خارج عن أصول الدين من فروع لا تمس تزكية لأعمالهم وأقوالهم ، أو إطاعة أئمة الدين بما لا يمس كرامتهم . وكان الجميع من السلاطين والاحكام في كلا البلادين العثمانية والفارسية لا يتمشون مع الأحكام الإسلامية ولا يخضعون لقانون يقيدهم ذلك قبل سرا به الحضارة الأوروبية الجديدة وظهور القانون الأساسي ، لذا ترى هذا الحكم الاستبدادي يتبدل من شدة إلى خفة كلما اسندت الوزارة إلى صاحب كفاءة وضمير ودين أو ظهر عالم ديني قدير مسيطر على المجتمع مطاع أمره يهابه الملوك ، ربما عدل نسبياً في سيرته وقلل مظالمه .

وكانت جباية الضرائب من أشدها جوراً على الشعوب إذ لم تترك

إلى قانون ونظام ، وما يعود بها للشعب من نفقاتها العامة في شتى المجالات سيان منها للمعوزين وفي سبيل بعض الإصلاحات العامة والخاصة كما نراه اليوم في العمران والصحة والتعليم وغيرها كل ذلك لا ينقاد لنظام أو قانون بقدر ما يعود لعلم وضمير السلطان والحكام والأمراء والولاة الذين ينصبهم وهكذا جبايتهم وروح القدرة والغلبة والقهر مظهر من مظاهر السلطان .

ولا تجد بين الوزراء والقواد والولات والجباة إلّا من يهتم أولاً بمطامعه ومقامه ثم إقناع أولي الأمر الذين فوقه دون رعاية حق العامة ، وسيأتي شرح ذلك في صدر الإسلام ، وكيف أن الإسلام لم يبق منه إلّا اسمه فقد كان بيت المال العائد للخدمات العامة بيتاً خاصاً للسلطان وما يجبي من الأموال للخدمات العامة والمعوزين والإصلاح العام ، إنما كان يفرض بدون قيد وشرط لصالح الطغمة الحاكمة فحسب ، ولا نجد في ذلك قصداً إصلاحياً أو جباية دينية بقصد البر والإحسان الذي جاء به الكتاب أو فرضته السُّنة أو تحت عليه الإنسانية والفطرة أو العقل السليم .

وهكذا ترى الملوك دوماً تعين في المناصب أشد الحكام أمثالاً وأنزعها لجمع المال وفرض الأوامر وقهر الرعية دون قصد عدالة أو مساواة اجتماعية أو وجدانية أو دينية من كل ظالم جائر ، مكار محتال ، أشدهم مكيدة وأعظمهم جشعاً وأشدهم حرصاً وأوفرهم جمعاً للمال إرضاءً لسيده وثم لنفسه ، هذا على قدر سخاءه وطاعته للسلطان وأعوانه أقربهم إليه وإليهم .

يقول السيد محمد طباطبائي أحد رجالات إيران مخاطباً بها الملك القاجاري مظفر الدين شاه ابن ناصر الدين شاه : « المملكة خربة والشعب حيران ومستعطي ، ايادي الحكام وجور المأمورين على أموال وأعراض ونفوس الرعايا ممتدة ، وظلم الولاة والأمراء لا يحد فيما شاؤ انتزاعه من أموال رعاياهم ، قهرهم وغصبهم وشهوتهم كيفما شاؤا من ضرب وقتل وبتر

مطيعون ، من أين جمعت هذه العمارات والأمتعة والنقود والأموال في أقصر مدة . . السنة الماضية غصبوا النبات من محافظة قوجان حيث أعوزهم دفع الضرائب القاسية وباعوهم إلى التركمان وأرامنة عشق آباد (الداعائهم) باعوهم بأبخس الأسعار ، عشرات آلاف من رعايا فوجان من شدة الظلم فرُّوا إلى أرض الروس .

هناك لا نجد قوانين وأنظمة تحد من هذه التجاوزات وتحفظ حقوق الشعوب الإسلامية ، نعم كلما نجده من حياة غابرة وحاضرة ومستقبلية إنما يرتبط بما يحمله السلطان وامراءه وولاته وحكامه وجباته المسيطرون على أفراد الشعب .

هذه الكوامن الداخلية ، وتلك النوازع الخارجية دعت الأحرار والمفكرين والكتّاب إلى النزعة والتحرر والإهابة بالشعوب والقيام في وجه طغيان هذا الاستبداد المرير ، إلّا أننا كما ترى الملك الطاغى وأعوانه الخونة يشتدون كلما وجدوا حركة إصلاحية أو دعاة للتحرر حتى نجد أحد وزراء البلاط الفارسي في عهد الصدارة العظمى (رئيس الوزراء الإيراني) عين الدولة يخاطب أعوانه الذين يريدون الانصياع لطلب الأحرار لإقامة ديوان تجري فيه أحكام العدالة يقول : « إن انصياعكم لطلب الأحرار هذا إنما تريدون إقامة محكمة يتساوى فيه الحكم المفروض على ولي العهد وابن بائعي الفواكه على حد سواء وعندها سوف لا يستطيع حاكم أن يجبي ضريبة »^(١).

ولقد كانت الثروات الكبيرة من أرض وغلة ومال إنما هي احتكار المالكين وذوي الضيعات من ذوي رؤوس الأموال ، ولذا بسبب احتكار هؤلاء للغلات كانت تصاب البلاد من حين لآخر بالقحط وزج الشعب في انكد وأتعس الحياة المريرة .

(١) راجع تاريخ المسروطة لكسروي وهو كاتب فارسي متحرر .

وكان الكادحون من العمال والمزارعين والمعوزين من الطبقات الفقيرة الأكثرية من الشعب لجهلهم وفقرهم وتفرقهم وعدم إحاطتهم بوسائل الانقاذ وقلة الوسائل السائدة اليوم من صحف ونشريات وإذاعات من راديو وتلفزيون ووسائل النقل المقربة والمواصلات كل ذلك كانوا في عزلة عن بعضهم ، وكان من أشد موجبات ضعفهم إلا أنه كلما زادت تلك وكلما ظهر من الأحرار والمصلحين وفشت الحركات التحررية في العالم المتحدث وطرق سمعهم حرّضتهم بهم ذوي الفكر من الرجالات لتوحيد كلمتهم ولتستفزهم للحد من حكم الطغاة المستبدين ، وفرض حياة عادلة أو أقرب إليها ، ولقد بدأ تجار الصادرات والواردات لما كانوا يقاسوه من ضرائب المكوس والكمارك ولوقوفهم أكثر من سكان القرى والمزارعين على الحركات الإصلاحية وتثبيت اقدام اخوانهم من الصارخين بالإصلاح الاجتماعي من ذوي الفكر .

ومن عوامل النهضة التحررية من البلاد الإسلامية ، عدى قيام الكتاب وذوي الرأي من المصلحين في البلاد الإسلامية قيام الكثير من رجالات إسلامية من الكتاب والتجار والسياسيين الذين اختلطوا بالشعوب الناهضة الأوروبية وأشرفوا على النهضة التحررية وتقلص الاستبداد ، ودخول كثير من رجالات الغرب من الفرنسيين والانكليز في شمال أفريقيا بعنوان غزو أرض أو غزو مالي لعرض بضائعهم وشراء المواد الخام منهم أخص في عهد نابليون وما اعتور البلاد العثمانية في تلك الأزمان تلك البلاد المجاورة لأوروبا وما برز في شبابها من اليقظة ومثله الشباب العربي في مصر وسوريا والعراق ، وما حصل في بلاد إيران من اليقظة على يد رجالاتها السياسيين والتجار والكتّاب ، وما دخلها من رجالات الغرب لغزو تجاري وسياسيين ومد خطوط المواصلات أخص الإنكليز الذين وجدوا في بلاد إيران خير سبيل لربطها مع أهم مستعمراتها أي الهند ، ومن جهة أخرى بدء الاستفادة بعد ذلك من وقوفهم على المنابع الطبيعية للنفط وتنظيمهم طرق المواصلات البريدية واللاسلكية ، وامتداد مواصلات حديدية

بين أوروبا وآسيا وتزايدها وتقاربها من حين لآخر .

وبالتالي البعثات الدراسية القليلة التي قام بها ذوي اليسار ومحبي العلم من الطلاب ، والمرسلة من قبل الحكومات الإسلامية لما تقضيه الضرورة في هيئة الدولة أو التجارة أو المصانع القليلة الحديثة التي بدأت تنشأ في البلاد الإسلامية المشتراة من أوروبا الصناعية والتي تحتاج إلى خبراء في عهد الخلفاء العثمانيين المستبدين والمصريين في عهد محمد علي باشا وبعده وفي إيران في العهد الفاجاري أخص في عهد بعض المصلحين من رجالاتها مثل أمير كبير رئيس وزراء إيران في العهد الفاجاري الذي استخدم معلمين أوروبيين للتعليم ، وفتح المدارس وأرسل دورة تعليمية من الطلاب الإيرانيين إلى أوروبا وتأسيسه مدرسة دار الفنون والسماح بنشر جرائد في البلاد العثمانية والإيرانية والعربية ، ولقد رأينا بطش الخليفة العثماني عبدالحميد بالأحرار في تركيا وخارجها على يد ولاته وكذلك بطش السلطان الفاجاري ناصر الدين بوزيره المصلح اميركبير وقتله في فين كاشان لمحض طلبه إصلاح الوضع وتحريض ذوي النفوذ من السلطات الأجنبية والإيرانية تلك التي كانت إنذار لتقلص نفوذهم وبقصد القضاء على روح النهضة الإصلاحية ، غير أن تدفق وسائل الإصلاح المتزايد إلى الشرق والنهضة الفكرية رغم ما قاست من المعارضة ظلت في تزايد ، أخص بفتح المدارس والمعاهد والطبع والنشر يوماً بعد يوم تلك الوسائل التي أزاحت الظلام السدامس من الأقطار المتحجرة وأزالت النكدات وأدخلت آمال وأماناً جديدة أخص بعدما وقفوا على ما كانت عليه أوروبا في نفس النكبات وكيف تحرروا ، بدأت هذه الحركات التحررية أخص بعد انبثاق الثورة الفرنسية ووصول صداها إلى أحرار ومفكري الشرق الإسلامي فكانت بادرة إصلاح في كل الشؤون السياسية والاجتماعية والتعليمية والاقتصادية .

تلك كانت نواة لوضع القانون الأساسي في جميع الدول الإسلامية

والتقرب من الحكم الديمقراطي وتقليص نفوذ السلاطين والملوك وفرض
إرادة للشعوب ، وإقامة قوانين وحدود لتلك السلطات المطلقة الجائرة .

وبالوقت الذي كانت الحكومات المستبدة وأعوانهم تستنكر إقامة
حكومة ديمقراطية في البلاد الإسلامية كانت تؤيدها الأيادي الخارجية ذات
المنافع الخاصة في هذه البلاد من إنكليز وفرنسيين وتلتها إيطاليا وألمانيا
وبالتالي الولايات المتحدة الأمريكية ولا ننسى روسيا القيصرية والشيوعية
وما كان يدور تحت الستار بينها وبين الدول الأوروبية . أخص انكلترا
وأحزابها وتكالبها على التهام الشيخ المريض ومستعمراته العربية (الدولة
العثمانية) ، وبلاد فارس ، وما قام من المعارك في مصر في عهد خلفاء
محمد علي باشا وقبله بعد الثورة الفرنسية في عهد نابليون وبعده وكيف
بسطت فرنسا نفوذها على شمال افريقيا في مراكش والجزائر وتونس
وبالتالي إيطاليا بعد الحرب العالمية الثانية على ليبيا والحبشة ، وكم كان
لهذه الغزوات والمحاولات من أثر في الدعوة إلى الحرية والتحرر والنزعة
من الحكم الاستبدادي الغاشم الوطني والأجنبي .

ثم نعود فنرى نجاح الحكم الديمقراطي وإقامة قوانين أساسية ومدنية
وحقوقية وجزائية ومالية وفرض سلطات برلمانية ومجرية وقضائية قبيل
الحرب العالمية الأولى وبعدها في البلاد العثمانية والعربية وبلاد فارس
وتنازع هذه القوى التحررية مع الملوك المستبدين ومن خلفهم من الحكام
المستبدين مع الأحرار الذين بذلوا الغالي والرخيص في سبيل تلك
النهضة ، إلا أن هذه المرة دخول طغاة غازين من الخارج لسلب ونهب
خيرات البلاد بشتى أنواع الاحتلال في تركيا قبل الحرب العالمية الأولى
وبعدها وفي إيران وسوريا ومصر والعراق والجزيرة العربية وشمال افريقيا ،
والملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها فمرة محتلين غاصبين وتاركين مندوبين
عنهم لحكم البلاد كما جرى في بلاد الجزائر وتونس ومراكش ومصر
وسوريا والعراق أو استحوذهم بالنفوذ على البلاط الملكي والجمهوري في

تركيا وبلاد فارس ، وافساد كل ديمقراطية نهض بها أحرار البلاد وغذوها
بدمائهم الطاهرة تذهب سدى بتشكيل نظام ديمقراطي زائف أمر وأتس مما
كان في عهد الحكومات الاستبدادية الغابرة ، تنصب بزعمها السلطات
لحكومة دستورية في وقت يتنفذ بها ويقوانينها وسلطاتها سلطان لا حول له
ولا قوة ، وكلما هناك مستشارون من الدول المستحوذة تفعل ما تشاء من
قتل وتعذيب الأحرار وزجهم في قعر السجون والفتك بهم بأبشع ما تمجه
الضمائر أشد فتكاً من الضواري المفترسة باسم الحرية والاصلاح كما
فعلت في كافة البلاد الإسلامية وألقت الفتن بين هذه الدول دون جدوى
وخلفت لهم مصائب لمحض امتصاص ثرواتهم ومدهم بالأسلحة الفتاكة
التي تخرب ديارهم وتثير النزاع والفرع بين شعوبهم في الداخل والخارج
وتشغلهم عن الاتحاد والوحدة والقوة ، وخلقت لهم من أنفسهم أعداء
الداء باسم الدين والقومية وإذا اليهود والمسيحيون والإسلام في العرب ومن
نسل واحد وأب واحد يتناحرون تناحر أشد الأعداء ضراوة يفتك الواحد
بالآخر فتكاً يتشفى به دون وعي ودون أن يفكر أن هناك من بني نوعه هذا
الإنسان الذي يدعي الحضارة والمدنية هو المحرض الوحيد بغية سلب هذه
الثروة الطبيعية التي وهبه الله إياها من نفط ومعادن ، ليسلبها ويعيضه
بأسلحته المدمرة يقاتل بها نفسه وأخاه ويمزقه أشلاءً وعداءً ولا يجد بعد
الضعف سوى الخنوع ، كل ذلك بيد عصبة ضئيلة صغيرة من بني جلدته
غلبت عليهم المطاعم والامارة الزائفة ورضوا بالقليل من سلب هذه
الثروات القائمة على سلبها الغزاة الطامعين من اخوتهم وآبائهم وأبنائهم
وعمومتهم ، وهذه البلاد الإسلامية والعربية والفارسية والتركية كل يوم
تشاهد مذابح باسم الدين واسم المذهب على عتبة هذا الغاصب الظلوم
وترى بأم عينها ويمحص الحق من الباطل . وتحيد عنه فإلى متى؟! . . .

روسيا وإنكلترا ثم أمريكا في إيران : —

كانت تحاول روسيا القيصرية التهام إيران منذ العهد القديم ،

فالتهمت أقسام مهمة من أجزائها الشمالية والشمالية الشرقية والشمالية الغربية ضامة تلك إلى امبراطوريتها القيصرية . بلى سلبت ولايات مهمة كانت تشكل أهم ولايات الامبراطورية الفارسية القديمة مثل تركستان وازبكستان وتركمينستان وتاجيكستان وقازاخستان وقرقزستان وكرجستان والقسم المهم من أذربايجان ، ويسكن أكثر تلك الأقطار شعوب إسلامية لها آثارها ومشاهدها ولا زالت محافظة رغم ما كانت روسيا القيصرية المسيحية تفقد فيها حرية العقائد ورغم أن الدولة الشيوعية الروسية لا تقر الدين مطلقاً وقد فصلته من سياسة الدولة ومدارس التعليم فالإسلام لا زال قائماً في تلك الأصقاع ، ولكننا نرى المسلمين هناك منقطعين كل الانقطاع عن اخوانهم المسلمين في العالم ، ومحرومين من الخروج إلى باقي البلاد الإسلامية ، تلك الحرية التي يتغنى بها القانون الأساسي الروسي رغم الحنان الذي يحمله أولئك أخص لمجاورهم وبني وطنهم الأسبقين، ورغم ما بذلوه قبيل الانقلاب الشيوعي لإصلاح الوضع الدستوري الديمقراطي لإيران وطنهم الأصلي ومدوهم بكل عون مادي ومعنوي رغم كل ذلك فقد ضربت دولة روسيا الشيوعية حصاراً حول كل تلك الشعوب وعزلتهم عزلاً باتاً من التماس حتى مع الشعوب المجاورة .

أما إنكلترا للوصول إلى مقاصدها الاستعمارية في الهند وأهدافها الاقتصادية في نفط إيران فقد تحكمت في الشرق الأوسط ومدت شباكها على العراق والخليج واستعمرتها واستحوذت على أهم المراكز السياسية وأخص البلاط الملكي الإيراني وكبلتهم بمعاهدات قهارة وبثت مستشاريها وجواسيسها للتفرقة والفساد والتضعيف والاستحواذ على أهم السلطات المقننة والمجرية وحتى القضائية وكل منابع الثروة في البلاد بما لديها من مهارة وقوة فكان لها ما شاءت وظلت سيدة البلاد حتى داهمتها الحرب العالمية الأولى وأعقبتها الثانية واضطرت لادخال أمريكا عوناً لها أخص في الخليج وإيران فكانوا كالذئب الكاسرة لا يرضون بالتهام كل منابع الثروة في البلاد بل جر الويل والثبور إلى شعوبه قهراً والاستحواذ على البلاط

والجيش ومراكز الدفاع والهجوم من الجيش والشرطة والدرك وأهم المراكز الحساسة المالية والاقتصادية والمواصلات وتسليمها إلى خبراء ومستشارين منهم يتقاضون عشرات أضعاف ما يتقاضاه أمثالهم من علماء ومهندسين وفناني نفس البلاد ، ويدلوا بما لهم من قوة وسلطة لافساد هذا المجتمع بشتى أنواع الفساد وسحق قواه المادية والمعنوية وإفساد أخلاقه بالرشوة والتجسس وفرضوا للأحرار أشد أنواع المطاردة والقتل والتنكيل والتعذيب في زنانات السجون المستحدثة بأرقى وسائل القسر وأهول أدوات الزجر ومطاردة كل الطبقات ، فالطلاب في جامعاتهم وعلماء الدين في مساجدهم والتجار في أسواقهم لا يسلم منهم أحد ، ولقد قامت قائمة الأحرار في زمن الحزب الوطني (المحلي) للدكتور مصدق وصاح بأعلى صوته اغلقوا آبار النفط ، لا نريدها ولا نريد خيراتها ودعونا نعيش في أمن من أهوالكم غير أنه سرعان ما عادوا واستحوذوا على البلاد بأشد من أوله وسلموها بيد أقلية من الخونة كانوا عمال المستعمرين وألد أعداء الوطنيين ، وكأنهم لا يصلون بصلة لأبناء جلدتهم ولا يصلون بصلة للخلق الإنسانية ، قساة مرده يقتلون ويسلبون ويغدرون ويزجرون ويحبسون ويطاردون الكبير والصغير والرجال والنساء وحتى الصبيان وحتى الطلاب في جامعاتهم وفي صفوفهم وحتى الثانويات لم تسلم منهم ، ومدوا أيديهم في كل صغيرة وكبيرة ، واستحوذوا على كل المرافق الاقتصادية والأخلاقية والدينية حتى ثارت ثائرة الشعب وبلغ السيل الزبا وانفجرت النفوس تريد العزة والكرامة أو الموت ، وكانت التضحية عظيمة وأكثر عظمة والإيمان كبيراً لتحطيم قوى الشر والمكائد الغربية وتوحيد كلمة الإسلام وخلق الروح المعنوية . فهل تحقق ذلك؟! .

في مصر :

في الوقت الذي تتوحد كلمة المسلمين من العرب والعجم ضد الحركات التعسفية في الشرق الأوسط ويتقارب الزمن للقضاء على البؤرة

الانتانية في فلسطين ، تلك البؤرة الانتانية التي خلفها الاستعمار الأمريكي والإنكليزي لاشعال نيران القلاقل وزعزعت أركان الشعوب المتنامية بثروتها بقصد سلب تلك الثروة وتحطيم ما يؤل لها من قوى مادية ومعنوية بتطاحن وتفرق وضرب الواحد بالآخر ، وخلق عناصر أعمت بصائرهم واندفع لحتفها بضغرها باسم الدين والدين منهم بريء لإقامة دولة بزعمهم تجمع شتاتهم وتقيم قناتهم وتعيد كرامتهم وتجدد سلامتهم ، ناسين أنهم بعملهم هذا يخلقون لأنفسهم عوامل البغضاء ومناهل الفساد والشقاء ، وما يزيد اليهود في العالم ألم يكونوا المسيطرون على أهم موارد الثروة في العراق وإيران وأوروبا واليوم في أمريكا؟ وهل الله هو في فلسطين ومن منعهم عن عبادتهم ومعيشتهم مع أبناء عموماتهم العرب ، ألم يكن دينهم ودين الإسلام من منهل واحد هو دين أبيهم إبراهيم ، فما الذي أغراهم أن ينكلوا بأعز عنصر كان يحميهم ويدافع عن كياناتهم ويعيشون معاً آمين ، أليس هو الاستعمار ، فما الذي حداهم أن يركنوا إليه وهو ألد أعدائهم الذي طالما أهانهم ونكل بهم وقتلهم وحرقتهم ومزقتهم ، أوجدوا من الإسلام ما قاسوه في أوروبا ، أكان هتلر عربياً؟ أكانت محاكم التفتيش عربية إسلامية؟ تلك التي كانت تحرقهم حرقاً ! أكان الذين منعوهم من التعاطي بأية مهنة وحرفة أفي أوروبا أم في البلاد الإسلامية؟ وغداً سيندم هؤلاء كما ندم من قبلهم أولئك الذين أشرب في قلوبهم حب العجل وذلوا عن طريق الصواب وعن طريق دينهم وثوراتهم حتى سلط الله عليهم نبوخذ نصر فمزقتهم وذبحهم وأسرههم وأحرق مقدساتهم ، وبعدها ملوك الروم وما صنعوا بهم وبعدها هتلر ، وسوف يرون حسابهم في المستقبل شاقاً عسيراً ، وعسى أن لا يكون بيد المسلمين بل بيد نفس من يحرضهم كما قال الله الظالم جندي انتقم به وانتقم منه ، وما ظالم إلا سيلى بظالم . لقد أبطرتهم الراحة والمال ، ما بالهم وهم سادة أمريكا اليوم وسادة أوروبا فوالله لينزلن بهم عذابه وليخرجون منها ، بل من سلم من الفتك المريع أذلة خاسرين ، ولا يحق المكر السيء إلا بأهله .

سبحان الله إنهم في سكرتهم غافلون وعن نعمتهم زائلون وإلى
الدرك نازلون ، يعلم الله أنهم ما أنصفوا قومهم وما نصحوا كبارهم
وشبابهم وصغارهم ، وأضاعوا نعم الله واستباحوا حرم الله وجأهروا بالظلم
وابتعدوا عن المنطق السليم والرأي الحكيم ، وسيلقون من الأهوال أشد
مما انصرم وما لا ينفع معه ندم ، إلا إذا انصاعوا إلى الصواب قبل نزول
البلاء وثابوا إلى الحقيقة وتابوا لرب الأرض والسماء ، ويا للأسف لمصر
وهي كادت تبلغ المرام بزعامتها وأحرزت قصب السبق لبلوغ كرامتها وإذا
بها تعتزل الأخرى وتتقاعس عن التفوّ ، أكان ذلك مكيدة بالعدو والحرب
خدعة أم صافحته مصافحة من أعماه روعه اني لأشهد أنها الأولى ،
فالعقل السليم يحكم بذلك ولقد وجدنا مصر مجدّة بزعامتها وحريصة على
كرامتها ، فقد هتكت العدو مادة ومعنى ، وصنعت بعملها من الدول
العربية المتفرقة وحدة متراصة اسنى وأهنى ، وسنرى المستقبل كاشفاً
لصدق النية وحسن الطوية إن شاء الله .

الانقلاب المعنوي : لو تصفحنا الانقلابات في العالم كله لوجدناها
مادية رأسمالية ، أو مادية شيوعية كالدول الحاضرة ، أو مادية دكتاتورية ،
لا تمت إلى الرأسمالية أو الشيوعية وربما كانت دكتاتورية مطلقة كالدول
القديمة في مصر وبين النهرين وبلاد فارس وأوروبا قبل المسيح ، وقد كان
للنزعة الدينية التي وردت في التوراة والإنجيل والقرآن حملة موجهة إلى
تلك السلطات المطلقة المادية الظالمة ، التي أرادت إعلان حقوق البشر
وتوجيه البشر من الماديات المطلقة المليئة بالقسر والظلم والاحجاف
والاعتداء ، إلى الضمير الحي إلى الوجدان إلى المنطق بل إلى الله ، إلى
الخلق الفاضلة ، إلى البر والإحسان ، إلى تزكية النفس والمساواة بل إلى
أبعد من ذلك إلى العفو والورع النفسي وجمع الغرائز النفسية من حب
المال وحب الجاه وحب الذات وتعديل الغرائز الجنسية ، تلك التي نادى
بها الأنبياء والرسل ، على لسان نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد
عليهم الصلاة والسلام ومن تخللهم ودعى إلى هديهم أولئك الذين دعوا

للحياة الفطرية للحياة الطبيعية للاعتدال إلى الصراط المستقيم برائد العقل والحكمة والعلم ، إلى ترفيع الحياة من المادية الدنيئة إلى المعنويات البريئة ، وجميعها كانت دعوة عامة شاملة إلى خير البشر ، وجمع البشر بالعدالة والتساوي وعدم تفكيك هذه العصبية ووضع الفوارق بين الأفراد والجماعات والحدود والامتيازات باسم السلالات ، باسم اللغات باسم اللون باسم الأرض وبأي اسم وميزة أخرى إلا الميزة الأخلاقية الرفيعة وميزة البر والاحسان وإسداء الجميل والتواضع والخدمة العامة والخاصة لبني النوع هذا بروح نكران الذات الحريصة المتكبرة ، المستبدة ، المعتدية ، القهارة الفتاكة . بسمو المعنى بسمو العقل بسمو النفس برحابة الصدر ، بالمعونة والالفة والصدقة والحب ، تلك الأصول الإنسانية السامية بالعلم والحكمة والحلم والحنكة والجِد المتواصل والسعي الحثيث لكسب الفضائل والخبرة والتجربة والعلم والتعليم وفتح حجب الظلام وجمع الهواجس وشهوات الغرائز الرذيلة ، والمادية الخسيسة السافلة .

من المؤسف أن نجد دين الإنسانية هذا والدعوة إلى السلام العام يستغله غير أهله كلما دعى الله صاحب الرسالة إليه لدعوة الحق ، فترى ما قام به اليهود بعد موسى وكيف لعبوا بهذا الدين القويم ، وما عمله طواغيتهم من الملوك بالخروج عن أصول الدين القويم واستباحة المحرمات وقتل الأنبياء والداعين إلى الحق والحقيقة وظنوا بنشر دعوة الحق وتعميم أسس السلام ورفعوا كفة الماديات على المعنويات فانتقم الله منهم بأن دمرهم وقطع دابرهم وسلط عليهم من لا يرحمهم فاستغاثوا واستجاروا وما ان استغفروا الله فنصرهم حتى عادوا بالمنكرات وزادوا بالأباطيل وزيفوا في الكتاب وفتكوا بالصادحين إلى الله فعاد غضب الله عليهم بعد خيرة أنبياء ورسله وما قاسوه من جورهم وكيدهم بروح الله ورسوله الرؤوف الرحيم السيد المسيح فكانوا بعده هدفاً لسخطه وعرضه لذته مهانين مشتتين ، وعرضه لبلاء القياصرة قبل السيد المسيح وبعده فانتقم الله منهم لظلمهم وكيدهم ، وسلط الله عليهم من لا يرحمهم بأقصى

العقوبات ، ولم يكن من ظلمهم قد احتضن دين الله بسوابقه وأجراه بحقائقه ، بل اتبع من شوه أصوله وحرف فصوله ووضع أحكاماً ما أنزل الله بها من سلطان ، فتبليت أفكاره وكثرت أخطاره فمزقته مذاهبه متناحرة وعادت به مادية متنافرة ، حتى هتف الله بعون من أعوانه ومعجزة من أكوانه .
يتيماً أُمياً فقيراً من بيئة يكتنفها الجهل المطبق والعادات المزرية والخلق المخزية ، يتنازرون بالألقاب والأوهام ويعبدون الأوثان والأصنام أعمت بصائرهم تقاليد فاسدة وشتتهم أنانيات كامدة لا يركنون إلى منطق سليم ولا يرعون لناصح حكيم هذا اليتيم الأمي يخلق بعون الله من شتاتهم أمة صامدة ومن تنافرهم روحاً وعزيمة موحدة مجاهدة ، وبعد الجهل والتنافر حكمة ونخوة صامدة ، والضعف والفقر قوة وثروة . انهارت عند عزائمهم شامخات قصور الأكاسرة وذلت لقوة إيمانهم أبهة تيجان القياصرة ، فأصبحوا بعد عزتهم صاغرين وأمنهم خائفين لم تسندهم قواهم المادية الطائلة وتحميمهم شوكتهم الهائلة أمام هذه الروح المعنوية المنبعثة من روح الله وسلطانه ، وقدرته وإيمانه ، على طبيعتها البسيطة السمحاء وفطرتها الزكية من الأهواء . ولولا الخيانة العظمى والانحراف بعد موت صاحب الدعوة عن حدود الكتاب والسنة والأصول والفروع وقيام الفتنة والاعراض عن وصاياه ومخالفة نواياه لأكلوا من فوق رؤوسهم وتحت أقدامهم وسادت الأرض النعمة والرخاء والسعادة والهناء فعاد الجهل والفقر والتشتت والوهن وسلط الله عليهم من لا يرحمهم وقد جار الظالم وزاد في جوره واعتدّ بزيه وطوره فهل من مدّكرٍ داعي وذو بصيرة يراعي ، ويرى السعادة ليس بالتكالب على الماديات وليست بكيد الكائدين وتدبير الظالمين ، بل هناك لله مبادئ وأصولاً وقوانين في طبيعته وفطرته وحلولاً ولكل منها جزاء حاصل وسلطان عادل يحقق بمن زل عن الصراط المستقيم واتبع الهوى والشهوات .

ولقد قسمنا الدول من بدء التاريخ لهذا اليوم انها ثورات مادية على اختلاف عقائدها من رأسمالية وشيوعية وفاشية ودكتاتورية على اختلاف مسالكها ومبادئها كلها مادية محضة خارمة وخارجة عن الهدف الإنساني

الذي يرمي حقاً إلى السعادة المعنوية والعدالة الفطرية الطبيعية وتساوي أفراد البشر على حد سواء تلك الدولة الإنسانية التي جاء بها أولوا العزم وأخص القرآن وسُنَّة محمد (ص) ، ووصايا الكتاب ما جاء من وصايا بعيدة المدى في التربية الخلقية الاجتماعية والبر والاحسان ، وما وصى به من الصدقات في حدودها والزكاة من الأغنياء للفقراء والخمس من الغنائم لصرفها على المعوزين ، وعدم كنز الثروة بل صرفها في المداورات التجارية والصناعية ومساعدة الضعفاء والمساكين والمحتاجين بالوقت الذي يوصي بعدم الإسراف وبذلها للسفهاء وفي كل شيء يوصي بالاعتدال والوصايا الثمينة في أكثر سور وآياته أمثال ما جاء في سورة الحجرات والنحل والإسراء ولقمان وغيرها ، والدعوة إلى الإيثار والتواضع والبر والإحسان والرحمة والرأفة والمحبة والتآلف والعفو والتدبير والحكمة في الأمور والسلامة والسلام ، والتروي واتباع العقل السليم والابتعاد عن الشهوات الممقوتة والرذائل والتعدي والظلم والتجاوز والقساوة ، ووضع حدود ونadb وأوامر ونواهي للسلوك والسيرة للنفس والغير والفرد والمجتمع ، والتجرد كل يوم خمس مرات للصلاة اصغاء للضمير والوجدان ومحاسبة النفس والتفكير العادل ورعاية الله الواقف على السرائر في الكبيرة والصغيرة المحاسب عليها بالحساب العادل الطبيعي الفطري والعقل المنطقي ، في هذه الدنيا ويوم الجزاء يوم العدل هذه هي المعنويات وهذه دولة المعنويات حكومة الله الحكومة الطبيعية الفطرية العادلة القائمة على العدل والتقوى بالبر والإحسان والعفو في قوله عند العدالة وان تعفوا أقرب للتقوى تلك وصية لذوي الحقوق عند الغلبة بعد فرض العدالة للقصاص فمن ضربك فالحكم العادل المقابلة بالمثل أمام القاضي العادل ومتى أعطاك الحق لأخذ حقك يقول الله سبحانه عز وجل : لك أن تأخذ حقك ولكن أن تعفو فهو أقرب للتقوى .

لماذا ؟ لأن ذلك يزيد المحبة والالفة وسلامة النفس والهناء والمسرة ، تلك التي هي الهدف الواقعي للحياة السعيدة والاجتماع الصالح

الهانيء البعيد عن العقد النفسية والكراهية والمنابزات . هذه الصفات المعنوية والخلق الفاضلة رغم سمو البشر في الحياة المادية والتوسع في العلوم المادية لا تجدها في الدول المادية اليوم هذه الدول المتناحرة الباعث إلى تكالبها إنما هي قضايا مادية والأغلب اقتصادية وفرض القوة والسطوة لمحض سلب حرية ثروات الأفراد والجماعات والشعوب والحكومات بكل عامل من عوامل الفساد والرديلة من بث الفتن والحروب وزج الأفراد والجماعات بأنواع العذاب من تهم وأكاذيب وتعذيب وسجون وقد تجد شعباً بكامله أو دولة بكاملها تن من جور فرد حاكم مطلق أو أمير جائر ، أو سلطة دولة أخرى على هذه لمحض سلب ثروتها كما تفعل اليوم الدول الأوروبية والأمريكية (الولايات المتحدة) تحت سلطة وسيطرة شركاتها الضخمة لفرض إرادتها على الشعوب الأضعف لسلب ثروتها بشتى الوسائل من أخذ المواد الخام بأبخس الأسعار وفرض مصنوعات المدمرة من أسلحة بالغبلة والقوة بعد خلق فتن وعداوات داخلية أو خارجية بينها وبين جيرانها ، كما هو قائم في الشرق الأقصى والأدنى وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ويا ليت شعري وإلى متى وهذه الحرب لا تنتهي وكلما خمدت في جهة أشعلتها عوامل الماديات في جهات أخرى غير آبهة بما تفرضه من ويلات وتعاسة على شعوب كانت آمنة مستقرة ، فهلا لنا أن نرعوى بل هل لهم أن يفيقوا من هذه السكرات والخبطات الوحشية المذهلة .

كما قال كتاب الله المجيد : ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ .

وكما قال رسول الله (ص) : (كلكم من آدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ، ثم زاد ورجح ما هو يزيد العدالة جمالاً والإنسانية فخراً ، حين يقول : وإن تعفوا أقرب للتقوى طالما أن التقوى خير ميزة للإنسان والإنسانية ان ما أقوله بعض ما سوف أذكره من أصول القانون الأساسي لحكومة السلام والحكومة العالمية المثلى .

القانون الأساسي المعنوي : ولقد ذكرت بعض القوانين العالمية
المر ذكرها وقد ذكرت قبل هذا ما يفرق بين الحكومات المادية
والحكومات المعنوية ، وضربت مثلاً أن الحكومات المادية لا يمكنها أن
تدرك السعادة والهناء لأفرادها وشعوبها لمحض طلب المادة دون العناية
بالأصول المعنوية الفطرية الطبيعية والعقلية المنطقية وقلت إن الحكومات
السعيدة هي التي كانت تبني أصولها على الماديات والمعنويات والخلق
الفاضلة ولم نجد بين جميع الحكومات سوى فترة قيام أولي العزم من
الرسول وأخص منهم محمداً (ص) وكتابه وسنته من فرض ربط الماديات
بالمعنويات في كتابه وسنته حين يقول : « إنكم لم تسعوا الناس بأموالكم
فسعوهم بأخلاقكم »^(١) وحين يوصي بالصدقة وعمل الخير ، ثم يقول :
إن الإصلاح بين متخاصمين خير من كافة الصلاة والصيام (طبعاً الغير
الواجبة) ثم يقول من الصدقة القول المعروف وهداية الضال في طريقه
ورفع القاذورات والأوساخ عن طريق الناس ، وإدخال السرور على كل ذي
روح بأية صفة أمكن وأمثال ذلك من المعنويات التي لا مجال إلا بالتلميح
إليها في هذا الكتاب ولمن شاء المزيد فليقرأ كتاب الله (القرآن) ونهج
الفصاحة من كلمات محمد (ص) ونهج البلاغة من كلمات علي
عليه السلام القصار وبعدها سيرة محمد وآله وصحبه البررة ، الذين اتبعوا
كتاب الله وسنة نبيه وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . تلك المعنويات
العظمى .

وما حصل مما لا مجال إلى ذكره الآن^(٢) ، ولا شك بعد ذكر هذا

(١) وكما جاء في القرآن من الوصايا الثمينة مثل قوله تعالى : ﴿ مثلاً كلمة طيبة كشجرة
طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين . الخ . وقوله تعالى :
﴿ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة . الخ . وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا
تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى . وقول رسول الله (ص) : « كل معروف
صدقة » .

(٢) ومن شاء المزيد فليراجع موسوعتنا الولاية في الإسلام والمحاكمات .

القانون ونقده سنضع القانون الإسلامي العظيم وقانون الفطرة الطبيعية الإلهية التي نص على اتباعها أولو العزم من الرسل صدحاً بأمر الله عز وجل تلك التي جاء بنصوصها العادلة كتاب الله مجملة وفسرتها السُّنة النبوية مفصلاً تلك التي أجمعت عليها الكتب السماوية وأيدتها الأنبياء والمرسلون ، هداية للبشر وسعادة للإنسانية .

٢ - الصراع الصليبي مع المسلمين

لم يقف الصراع الصليبي الذي بدأت أوروبيا المسيحية باسم الأرض المقدسة وانتزاعها من يد المسلمين ، ويا للأسف ان النهضة الإسلامية التي مزقتها المذاهب والحزابات العنصرية الجاهلية التي أمر الإسلام بنبذها والقضاء عليها بقصد توحيد العقيدة ونشر السلام وإقامة العدل والمساواة مما جاء في كتب الله المرسل على لسان رسله وأنبيائه أخص القرآن المجيد في شتى سورته أمثال سورة الحجرات وما ضمنه من أبلغ الأوامر والنواهي لإقامة حكومة عادلة حكيمة كل تلك ما كاد نبي الإسلام أن ينتقل من الدار الفانية إلى الدار الباقية حتى زلت عن الصراط المستقيم والكتاب والسنة وبدؤها بمنع تدوين السنة بعد أن صدقوا الآية النازلة : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم... ﴾ وقد قال (ص) : « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا » . وقوله (ص) : « إني تارك فيكم كتاب الله وسنتي... » الخ . .

وقد وجدنا كيف عملوا بآل رسول الله من قتل وتشريد وتعذيب وغصب حقوق وما لا يعد من المنكرات .

كما رأينا كيف أن سنته منعت أن تدون ولا يخفى ما للسنة في تكميل الكتاب وتفسيره وتهذيب النفوس وتكميل العقول من أثر لا يمكن

بدونها أبداً من تأويل الكتاب وشرحه ، وكيف ان رسول الله أودع مكنونات علمه إلى أقرب فرد له في حياته هو علي بن أبي طالب حيث قال : أنا مدينة العلم وعلي بابها . وقال : إن علياً مني بمنزلة هارون من موسى ، وقال (ص) : لحمه لحمي ودمه دمي أنا منه وهو مني وهو الفاروق بين الحق والباطل^(١) .

ومن تصفح التاريخ وجد كيف ان بني امية أخص منهم معاوية بعد أن منع الخليفة الأول والثاني والثالث (رض) تدوين الحديث والسنة ومرت نحو ٣٥ سنة بل أكثر فيها قتل من قتل من صحابة رسول الله (ص) وتفرقوا في الأمصار ونسوا بعد هذا الأمد الطويل الذي حضر عليهم الرواية والحديث ، جاء معاوية ليدون ما شاء ويضع ما يشاء ويضيف ويغير كيفما يهوا ولا يستطيع أحد أن ينكر ما كان يكنه هو وآبؤه لرسول الله ودينه وبنيه من العداة وكيف سب أعلم وأتقى وأسبق رجل في الإسلام وأقربه لرسول الله (ص) هو علي بن أبي طالب عليه السلام ، وكم قتل هو وابنه يزيد وآل مروان من الصحابة والخيرة والتابعين ، كل تلك وما سار عليه خلفاء بني العباس على نفس النهج الظالم والكبت على الآراء والسياسة الغاصبة وما آل بسبب ذلك من تمزيق شمل الإسلام إلى مذاهب وطوائف وفرق مما فتت في عضدهم ومزقهم شر ممزق في الشرق والغرب وقيام دول في الغرب والشرق عربية وفارسية وتركية وتترية تتلو الواحدة الأخرى ، وتكيد الواحدة بالأخرى ، مما جعلهم لقماً سائغة لأجهل الشعوب وأقساها وأوحشها وأعداها من مغول سفاحين وأتراك وصلبيين فأصبحت البلاد الإسلامية مطمح الغزاة ومأوى البغاة يغزون في عقر دارهم ويدلون في أوطانهم ويصلون بالكوارث والنكبات وظلت تترى وفي كل بقعة منها فاجعة على مر الزمان وما أشبه بعضها ببعض وما أن نهضت واحدة إلا وكانت عرضة لنكال الشقات من الداخل والخارج إذ لا زالت تتعثر منحرفة عن

(١) راجع مؤلفات الكاتب المصري الشهير محمد أبو رية

سبيل الحق الواقعي تقودها عصابات لا تعرف من الإسلام إلا اسمه ومن الحق والعدالة إلا هضمه ، وما أشبه الماضي البعيد بالحديث ، فتلك البلاد العثمانية العاتية تقسم أشلائها الأعداء فلا تجد بعد حضاراتها الراقية ودواهيها الماضية وثرواتها المترامية إلا جهل متقع وفقير مصقع ومرض مروّع لا تطيق عن نفسها دفاعاً وعن حياضها صراعاً ، وما أشبه مصر وتكالب المستعمرين على قناة سويسها وبلاد الرافدين والخليج وإيران وتكالبهم على نفطها ونفسيها ونفيسها .

ومن طالع تاريخ الغزاة في مصر على عهد محمد علي باشا وخلفائه وقبلها وبعدها والتلاعب في استثمار قناة السويس وقاس ذلك بما جرى في إيران لاستثمار نفطها وكيف خلفت هذه الغزاة شتى النكبات على البلاد وأهلها لإشغالهم عن السالبيين المستعمرين بالمحن والاحن الداخلية فهاتان مهبط الأفكار العالية ومسرح رجال طالما نهضت بشعوبها وتغلبت على خطوبها .

٣ - تطور الاستعمار

كانت الحكومات القديمة القوية تمد نفوذها على الشعوب بقوة العدة والعدد لفرض القوة وسلب الأموال واستعباد سكان البلاد وكانت أكثر الأحيان تتطاحن القوى الغازية مع المغزوة وتقوم الحروب الطاحنة وبعدها يصيب الطرفين من الخسائر البشرية والمادية تغلبت احداها فقتلت ونهبت وخربت وعادت بالأموال والأسرى والثراء . والحرب سجال بقوة الذراع والسلاح بيد نجد الغزاة تطورت أفكارهم ومراميمهم فهم عوض دحر البلدان والممالك والشعوب على تلك الشاكلة عادوا إلى مكائد معنوية لا يكلفهم مشقة وعناء ، وهو دس أفراد محنكين إلى بلدان حسبوا فيها بغيتهم من الثراء والأموال لنشر التفرقة والشقاق والفتن والفساد والتغلغل في إدارات الدولة والاستحواذ على بلاط الملك بالترغيب والترهيب وابعاد الرؤوس وتقريب الأذنان . والضرب على أيدي رجال الفكر وتحطيم المخلصين وتصنيع الدولة من الأراذل والأدنياء الانتهازيين الجشعين من كل من فقد الضمير وتذلل للقوة وفرض نفسه وسادته على ذلك المجتمع مهمى احتوى من قريب وصحيب وحبيب هكذا سارت انكلترا وفرنسا والدول الاستعمارية وتابعتها أمريكا ، متغلغلة في أعماق الحكومات وتسخير رجالها بشتى أنواع الكيد والاغراء في الشرق والغرب كما فعلت في البلاط الإيراني والعثماني والمصري والهندي والصين وغيره في آسيا وأفريقيا وغيرها ، فإننا بعد ذكر قانونها الأساس ، ندلي مختصراً مما دسسته أيادي الاستعمار لإفساد أسس هذا القانون بيد حكام البلاد نفسها لمحض سلب ثرواته .

٤ - الحكومات الأولى

فقد كانت الحكومات الأولى تتجلى بين العوائل حيث يسيطر بها الأب على أفراد عائلته وهو قريب منهم عطوف عليهم بحكم الغريزة يشاركهم بما يحمله من حنان أبوي وإحساس وشعور غريزي لأبنائه ، ثم انتقلت العائلة إلى أسرة تباعد أطرافها وظل نفوذ الأب وربما انتقل النفوذ عند عجزه إلى الأقوى من بنيه وفيهم الابن والحفيد وأولاد العم والأقارب والأباعد ولم يبق ذلك العطف الأبوي بل زال وقل بالنسبة للصلة القريبة والبعيدة والطاعة والمعصية وكلما توسعت الأسرة إلى القبيلة وتشعبت هذه إلى أسر وامتدت أطرافها قل شعور الأفراد الأباعد بالنسبة للأقارب وتقسم النفوذ وتغير العطف الأبوي وحكومته الأبوية إلى حكومة ابتعدت عنها المشاعر العاطفية وزاد بها نفوذ الغرائز الأنانية لاستخدام القوى للضعيف واستغلال الضعفاء حتى بلغت درجات الامارات وامتدت السلطات إلى ضم وتغلب أسرة على أسرة وامارة على امارة ومدينة على مدينة ونزاع وحروب طاحنة واستغلال واستعباد وغارة وفتك وقتل وقامت سلطات دكتاتورية مطلقة فقدت بها الإنسانية حكمة العقل والمنطق تحت حكم الغرائز والشهوات ولم يخل هذا المحيط الغالب والمغلوب من أفراد موهوبين بالفكر والشعور والتأمل والحكمة مما جرهم لتدبير وحيد للإنسان من استغلال بني نوعه ، من وضع أنظمة ورسوم بدأت في الحكومات الأولى في وادي النيل والرافدين والهند والصين واليونان ، ولا ننسى فراعنة مصر ورسومها وحمورابي وسلفه وقوانينه ودعوات ذوي الأديان من البشر من

أهل الكتب السماوية في بلاد الرافدين على يد إبراهيم الخليل وفي مصر وفلسطين موسى الكليم ، ثم قيام الديمقراطية في اليونان وهذه الديمقراطية التي كان يراد بها حكومة الشعب نفسه بنفسه استغلتها بعض الطبقات دون الطبقات الأخرى ووجدنا دعوة أفلاطون في جمهوريته لإقامة حكومة يحكمها الحكماء المجربون وكيف كان يرى الحكم والحكومة الأصلح وظهور سيدنا المسيح بحكومة الرحمة والمساواة بين البشر ، وإذا بهذه الدعوة تنقلب إلى حكومة رجال الدين في القرون الوسطى واستغلال الكنيسة الحكم والسيطرة الروحانية الجائرة وخنق الحريات ، في الوقت الذي نرى روح الحرية والدعوة إلى الإنسانية والمساواة والعدل تتجلى بأجلى مظاهرها من صوب جزيرة العرب الفقيرة الجاهلة من منبع حكمة وفيض عدل جامع مسيطر بأجلى حقائق إنسانية وعدالة ومساواة بين طبقات البشر بكلمة الوحدة والتوحيد وتساوي الحقوق وإعلان الحقوق البشرية بقول نبيه المبعوث رحمة للعالمين الصادح بأمر الله .

قال تعالى في سورة الحجرات من القرآن الآية ١٣ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ ، وفي ١١ منه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَ خَيْرًا مِنْهُنَّ * وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمَاءُ لِلْفُسُوقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

وما جاء في هذه السورة والسور الأخرى من الدعوات القائمة على أقصى أسس العدالة والمساواة والحكمة ، بل وأبعد من ذلك من البر والتقوى والإحسان حتى قال : وإن تعفوا أقرب للتقوى .

وترى في الآيتين السابقتين تجلي الحقوق البشرية والإنسانية وأصول العدل والقسط قائمة جلية ، تلك الحقوق التي يتغنى بها الدول العظمى اليوم والتي قامت على أسسها أعظم الانقلابات البشرية لحكومة الناس في

إنكلترا وفرنسا وأوروبا وروسيا وأمريكا ولم تدرك بعد بعض ما حققه نبي الإسلام في عهده وما جاء به في القرآن المجيد وسنته وما سار عليه أئمة الإسلام من بعده أخص ابن عمه علي عليه السلام في أقواله وأعماله .

وما جاء في إعلاميات حقوق البشر بإنكلترا وفرنسا وروسيا وأمريكا وغيرها المار ذكرها ما هي إلا شذرات وتلميحات من بعض ما قام في صدر الإسلام وما حققه إلا النزر اليسير الذي طبقه نبي الإسلام في حياته .

الحقوق : ومما قيل في حقوق الأفراد أن هناك حقين :

١ - حقوق عامة التي يتساوى فيه أفراد أمة أو شعب أو دولة رجالاً ونساءً على اختلاف ألوانهم وسنينهم ، وحقوق سياسية أفسدت الأولى حينما وضعت حواجز من التبعية والسن والسكنى وغيرها .

الحرية : والحرية التي يريدها البشر ويدعو لها باسم الحقوق الإنسانية البشرية هي الحرية الشخصية في النفس والمال والعرض ، وحرية الاجتماعات وحرية السكن وحرية الانتقال وحرية العمل وحرية الفكر وحرية تشكيل الأحزاب والهيئات ، حرية الصحافة والتكلم والطباعة والنشر، حرية العقائد من ذوي الأديان والآراء ، حرية التعليم والتربية ، حرية المراسلات والمخابرات ، حرية البيع والشراء والتملك والاقتناء من منقول وغير منقول ، هذه الحريات فرض للفرد والمجتمع على شريطة أن لا تخرج عن نطاق العدالة والمساواة والتجاوز على الحقوق الفردية والجماعية الأخرى .

وكما ليس للحكومات الحد من هذه الحريات للتمتع بها من قبل الأفراد والجماعات ، فليس للفرد أن يتمتع بحرية مطلقة تؤل لسلب حريات فردية أو جماعية أخرى ، وهذا أمر يقره العقل بناءً على العدالة الفردية والاجتماعية ، وفي غير ذلك كانت الحكومات المطلقة

والدكتاتورية وما تقوم به من أعمال تعبر عنها بالقسر والجور والاعتداء كان حقاً مشروعاً إذ أنها تقوم بأعمالها بكامل حريتها إلا أنها تتجاوز بها على حرية الأكثرية الساحقة غير آبهة بالعدالة والمساواة ، وهذا التجاوز له صور ودرجات وهو بكل أنواعه لا تقبله العدالة والمنطق السليم متى تجاوز هذا الحق من الحرية وسلب قليلاً أو كثيراً من حرية الأفراد الآخرين المادية والمعنوية صغيرة كانت هذه أو كبيرة ، فالماء والنار والكلأ الطبيعي العام للفرد اكتسابها ما شاء ولكن إذا كان هناك أفراد أرادوا الاستفادة منه فليس للأول منعهم فإن كان واحد فله ما شاء وإن اثنين فلهما بالمناصفة وكلما زادوا انقسم بينهم بالتساوي ، ولل فرد أن يعمل ما شاء في غرفته المجردة بيد إذا كانت الغرفة مشتركة بين جماعة فعليه أن يراعي كل شيء من إحساساتهم المادية والمعنوية ، فهو لا يستطيع أن يشغل من ساحتها ومرافقها إلا على قدر ما يشغله الآخر بحد سواء وليس له أن يزعج الآخرين عند نومهم ويقظتهم بالقول والعمل والمطالعة والغناء والاستفادة من أمور ميكانيكية أو صوتية أو أي أمر آخر يؤثر على أي جارحة من جوارح وإحساسات الآخرين طالما هم متساوون في الحقوق المشروعة بينهم .

ولكل فرد الحرية التامة على أن لا يضر الآخرين غير أن هناك فرضاً على الآباء والمربين الفرديين كالأباء والمعلمين أو المنظمين العاميين من حكام وإداريين وموظفي الدولة أن يقفوا سداً أمام أي تعدي أو إرهاب أو ضرر لأمن الفرد لغيره فحسب بل حتى على نفسه ، فمنعه من استعمال المسكرات أو المخدرات أو الاعتياذ المادي أو المعنوي المضر كالقمار وما يجره للطرفين اللاعبين من الأضرار وعدد ويلاته على المجتمع وأعمال وأقوال أخرى مضرّة للفرد والجماعة من كذب ونفاق واعتداء أو استمناء أو مطالعة ما يسبب انحرافاً شاذاً في عاداته وأخلاقه أو تلقيه عقائد تخرجه عن السلوك السوي والحياة الإنسانية أو تلقيه في المهالك مهمى كانت ، فهذه حريات على المربين العاميين والخاصين صيانتها للفرد والجماعة تجاه غيره

ونفسه ، ولذا نرى أن الظلم والتجاوز على الغير هو خروج من الحريات يعاقب عليه كما أن ظلم الفرد نفسه له عقاب وقصاص . تمنعه العدالة الإنسانية وتحرمه وتقاصص عليه الأديان السماوية ، فمن أراد أن يلقي بنفسه في النار أو من أعلى الجبل أو ناطحات السحاب أو الذي يعرض نفسه للمهالك الأخرى مهما كانت أو الذي يريد أن ينتحر بأي وسيلة أو يضر نفسه مادياً أو معنوياً ليس حراً في ذلك بل على الأغيار منعه وعلى المربين مراقبة هؤلاء والوقوف تجاه ذلك وصده ولا يقال أي أحد حتى من الفرد نفسه أنا حر فيما أريده بنفسه أو مالي ، لا أبداً لا يجوز ذلك حتى في الأمور المعنوية ، وإليك الآية القرآنية في خيرة الكتب السماوية القرآن ، حينما يخاطب الذين يظلمون أنفسهم سلباً لا إيجابياً بقوله : ﴿ وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُم ﴾ وقوله : ﴿ إِنْ الْمُبْذَرِينَ كَانُوا إِخْوَانِ الشَّيَاطِينِ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ إِنْ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَا كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ .

فأقل تقدير على المرء أن يصد التعدي عن نفسه ويعيد لنفسه الحياة العادلة ممن يرهقه بالتجاوز على حقوقه المشروعة وحرية وإن لم يستطع فاليهاجر من هذا البلد الذي بلغ به الأمر انه لا يستطيع فيه الدفاع عن نفسه ويتحمل التجاوزات ، هنا على أقل تقدير أن يغير محل إقامته إلى بلد يعيش فيه حراً آمناً أن استطاع ومن لم يفعل فقد ضيق على حرية وظلم نفسه واستحق عقاب الله ، ألا ترى ان من حق الأب والأم والأخوة الكبار أن يحافظوا على الأطفال فهم بالوقت الذي يمنحهم الحريات المشروعة يراقبون أعمالهم من عدم استعمال تلك الحريات للاضرار بغيرهم والاضرار بأنفسهم ، وهكذا المعلمين والأساتذة وهكذا أقيمت أصول العدالة ومحاكمات العدلية ورجال القضاء وليس لفرد أن يعترض على الحاكم العادل بقوله : إنني إنما استعملت في الأمر حريتي المطلقة

بالتجاوز على الغير فسلبته ملكه عمداً أو غدرأً أو حيلة بالنصب والاحتيال أو أردت هدم بيتي أو استعملت المواد المخدرة وما جنيت إلاً على نفسي وما شاكل .

والذي نقصد به من الحريات تلك الحريات المفيدة أو على الأقل الغير المضرة بالغير والنفس ، وهناك التجاوز على الحيوانات والنباتات ، فليس للفرد التجاوز على الحيوانات المفيدة لدرجة يسبب فناءها لجهتين فمنها أن للغير فيها سهماً كالطيور والغزلان وغيرها ومن جهة ثانية إنما يسمح لذلك إما أن تكون مضرة ليتخلص من شرها وإذا هي مفيدة فله منها ما يسد رمقه وحياته ولا يغالي بالتعرض لها دون نفع لها أو لغيرها مجرد هواية خاطئة ، فيحرمها من الحياة دون أن تكون كلاً عليه ويحرم الأجيال والآخرين من منافعها مهما كانت .

وأما الظلم الذي يحاربه العالم المتحرر والحرية التي ينادي بها الحكماء والأنبياء والمصلحون فهي كل تلك المارة الذكر التي تفيد الفرد والجماعة ولا يمتد ضررها للأجيال الحاضرة والقادمة مادةً ومعنى بما يحكم به المتخصصون من كل طبقة من العلماء والمجربون ، كعلماء الفيزياء والكيمياء والأحياء والأطباء والميكانيكيون وعلماء النفس وعلماء الاجتماع والأخلاق وعلماء التربية والتعليم وغيرهم كل في علمه وتجاربه دون أن يكون إرهاباً وتحيزاً لفرد أو جماعة على أخرى ولا تجوز المغالطة في الحقائق والعقائد والعادات والطبائع وعلينا في الواقع محص الحقائق قبل منعها أو حدها واختيار الأصلح ، أيّ العقائد أحسن ، أهى الرأسمالية أو الفاشية أم الشيوعية أو الحكومات المطلقة؟ أيّ الأديان أحسن الأديان السماوية أو التعاليم الأدبية في الهند والصين ، المذاهب التوتمية أم غيرها ، أيّ قسم مفيد وأيّ قسم مضر وانتخاب الأحسن من جميعها دون تحيز وترك المضر ، أيها أحسن العقائد المادية ، أم العقائد المعنوية أم الجمع بينها أم نبذها جميعاً؟ وهل يمكن ذلك؟ أي سبيل هو الأصلح؟! .

لقد قال الشاعر :

وكل يدعى وصلاً بليلى وليلى لا تقر له بذلك
وحتام يبقى البشر يسير رغباته وشهواته منافقاً باسم الحريات
الديمقراطية من الرأسمالية والشيوعية والفاشية ويطلب الحريات بمكافحتها
ويطلب العدالة من طريق الظلم وسلب حريات الآخرين ، يدعو للبر
والاحسان ويرتكب أشنع وأبشع الجنايات بلسانه ويعمل بأفعاله خوارق
الفساد ، يبجل الحق ويحيد عنه وينكر المنكر ويزيد منه^(١) هذه الأفراد هذه
الجماعات هذه الدول العظمى ، أي إنسان هذا الجسم الحي العاقل وأي
سلوك منه ومهازل .

العدالة المضاعة : ذلك هو القانون الأساسي في البلاد
الديمقراطية الرأسمالية والشيوعية والإسلامية ، يقولون ما لا يفعلون
وفعلون ما لا يقولون ، في كل جهة شوّهو وزيفوا وكتبوا وما فعلوا ودرسوا
غاياتهم وموّهوا أغراضهم واستبدوا بالأكثرية وكلهم من أب وأم ومن طينة
واحدة متشابهون باللحم والدم والإحساس والشعور ، والروح والمنطق
والضعف والقوة والحاجات والرغبات والآمال والأمنيات والتنفس والغذاء
والتركيب والبناء ، بدؤا متشابهين ويعودون للتربة راجعين ، في هذه الدنيا
الزائفة واللحظات الخاطفة ، يتناززون بالسلالات البائدة ويتفاخرون بالأوهام
الشاردة ويتناحرون بالأدلة الفاسدة ، لا يردعهم عبر الماضي ولا يعيهم
عقل قاضى .

إنك ترى وضع الحريات المارة الذكر واحترامها ولكن ذكروا لا يجوز
تجاوز ذلك إلا بموجب قانون ، ومن يضع القانون غير المجلسين ومن
يصدق عليها غير الملك ومن يجريها سوى السلطة التنفيذية المجرية
وأفرادها ومن المؤسف وكل الأسف أن القوى المقننة ، لا ترى واحداً منهم
إلاً وهو منتخب انتخاباً من قبل السلطة الاستبدادية (الملك وأعوانه ومن
وراءه القوى الخارجية التي وضعت في كل جزء من الدولة مستشاريها ولا

(١) لعن الله الأمرين بالمعروف التاركين له والناهين عن المنكر والعاملين به .

يجري إلّا باختيارها فهي ذات الاختيار واستثمار واستغلال ثروات البلاد ولأفراد معدودين في رأسهم الحاكم مرفهون ومسيطرون جشعون لا يكتفون بأن المملكة والكل ملكهم والأفراد عبيدهم كأنهم خلقوا وخولوا وسيخلدون من غير ما خلق أفراد هذا الشعب وانهم يحملون لحماً ودماً وعظماً ونفوساً وأرواحاً وآمالاً لا تمتّ بصلة لأفراد هذا الشعب وإن هذه الثروات الطائلة مهما زادت لا تسد رغباتهم وكل منهم يقول : هل من مزيد وكأن الشاعر حينما قال :

ملك كسى تغني عنه كسرة وعن البحر اكتفاءً بالوشل

إنما يعني هذا البشر الفاني لا هم الخالدون ، يترفعون ترفع السماء عن الأرض من أفراد هذا الشعب وليس لفرد من الشعب حق الكناية والإشارة ولا أن يئن أو يتألم أو يجزع أو يستغيث ان طعن وعذب وسلب وأهين وأي تجاوز آخر ، ويا لبيتهم ادخروا ما ادخروا وجمعوا ما جمعوا واستخدموا هؤلاء العبيد الأذلاء بهذه الثروات الطائلة ، لا أبداً فهم يخرجونها ملؤا الداخل ويريدون ملء خزائن^(١) الدول العظمى لهم ولأعوانهم دون حس رحمة لهؤلاء المكافحين في الوطن الأم ، بل زادوا وشاركوا الاغيار في وطنهم في مصانعهم وأراضيهم وثرواتهم لمجرد بسط أيادي هؤلاء لاستغلال ما شاؤا وقهر الشعب بفروض صناعية وتجارية وزراعية . وما كانوا بهذه المشاركة ليضعوا سهاماً أو مالاً لا بل حماية واعتداداً ومنعة تجاه الدولة لمنع الضرائب أو تقليلها وإمكاناً للمقاومة من الاعتداء والتجاوز وهل هناك تجاوز واعتداء إلّا منهم ومن أسيادهم وأسياد أسيادهم على حساب هذا الشعب واستغلال مواهبه وثرواته الطبيعية لعصابات السادة الخارجيين والمترفين الداخليين وأعوانهم ، هنا صدقت الآية ، وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها العذاب . . الخ .

(١) اولئك أهم دول الذهب الأسود أخص الشرق الأوسط

الباب الثاني

القانون الأساسي للدولة

١ - الطبيعي والاجتماعي .

٢ - أصول القانون الأساسي الإسلامي .

٣ - الأصول الاجتماعية .

١ - الطبيعي الاجتماعي

ما هو القانون الأساسي للدولة طبيعياً واجتماعياً؟ : هو النظام الأساسي للحكومة والشعب . بغية الوصول إلى السعادة الفردية والاجتماعية بتنظيم وتصميم مادي ومعنوي . وكمثال من القوانين الأساسية الأقرب للمجتمع البشري هو :

القانون الأساسي في البدن الإنساني : هي الأصول العامة والخاصة المادية والمعنوية لحجيرات وأجهزة البدن الحية لإدامة الحياة الإنسانية وسلامتها وكرامتها وسعادتها ويتم :

١ - بقيام كل حجيـرة وجهاز بما عهد لها من وظيفة طبيعية فطرية قياماً تاماً حراً وعدم تجاوز الأخرى عليها ولا تجاوزها على وظائف الأخرى ، إلا على قدر الرابطة الطبيعية الفطرية التعاونية المحددة فيما بينها من المكان والزمان .

٢ - الاشتراك التضامني للبدن كله المشكل من مجموعات الحجيرات والأجهزة متحملاً كل منها جهده في وظيفته الخاصة لنفسه والأخرى ، وآخذاً نصيبه وسهمه العدل كالآخرين من مجموع الحاصل الكلي . دائماً على وظيفته باستمرار لما تتطلبه هذه الوظيفة بصدق وإخلاص دون ملل وكلل وأنانية أو تحايل أو تمارض ، ولا

يقعده أو يشنيه إلا مرض مداهم أو عارض داخلي أو خارجي مزاحم ، وأنذاك تشاطره الكفاح والنضال كل قدرات وطاقات البدن لإرجاعه إلى الصحة فتحمله كل حجرة وكل جهاز نصيبها العدل من البذل والخسارة بجهد طبيعي وكوظيفة مفروضة فطرية للنهاية حتى العود للصحة الكاملة باستمرار النضال أو العطب الجزئي أو الكلي والموت خاتمة المطاف ، وعلى قدر أهمية العضو يزيد أو ينقص البذل وتحمل العناء وعلى قدر النوع والعدد المهاجم يتغير التغير العام شدة وضعفاً .

٣ - عدم وجود المنايزات العنصرية والطبقية والعصبيات الفردية أو الجماعية التي تسود البشر ، بل كلها متضامنة متعاونة متكافلة متساوية .

٤ - سيرة فطرية متساوية ومماثلة بين أصغر أفراد الحجيرات والأنسجة والأجهزة وسلوك طبيعي واحد غير متأرجح بين العقول والشهوات والنزعات البشرية ولا دوافع العاطفة والغرائز المتضاربة والميول النفسية من حرص وجشع ، لثري جامع لا يقنع أو مملق جائع لا يهجع ، فهي كما تشابهت بالمادة تساوت بالمعنى بالأخذ والعطاء والفقر والثراء ، تضامنها بالتعاون غريزي أصيل ثابت وحسها لغيرها كحسها لنفسها إذ كان مصدره واحد في الانزعاج والابتهاج والاستغناء والاحتياج .

٥ - كل منها حر في تصرفاته الغريزية ومطيع لإرادة واحدة طوعاً دون إكراه مشرفة على حفظ مصالحه ودفع أضراره ، يستوحي سلوكه ويستمد احتياجاته منها صادقة للأخذ والعطاء كمنبع واحد أميناً على مكاسبها وملبياً مطالبها إذ الكل شركاء بالخير والشر والنفع والضرر ، فالمشرف على الجميع مسيطر صادق والطاعة من الكل والحس لذلك مطابق .

٦ - الكمال القائم بين الحجيرات والأنسجة والأجهزة لحياة هذا المجتمع الاشتراكي ودوامه صحيحاً إن اعتدل صاحبها واستقام ولم ينحرف عن الفطرة ولن تغلب عليه الشهوات فتذله عن الصراط السوي وعندها يجني على نفسه وعلى الحجيرات وعلى الأجهزة القائمة على الفطرة الطبيعية .

٧ - دفاعه عن كل ما يتعرض له هذا المجتمع على الأكثر لهجوم خارجي من الجلد أو من طريق الجهاز الهضمي بسبب مكروبي أو غير مكروبي بعلة غير إرادية أو إرادية أو من إفراط خارج عن ميزان الفطرة في عادات الأكل والشرب والسلوك أو تقاعس مما يلزمه منها فالبدن يجاهد لدفع الضرر وترميم الخلل الحاصل فهو إما في حالة وقاية من العوارض أو علاج متى أصيب .

٨ - اختلاف الأجهزة في البدن حسب وظيفتها وأهميتها تختلف أمداً لمدة الحياة^(١) وغذاء^(٢) وحماية وحفظاً^(٣) وعناية وكرامة^(٤) .

ما تمتاز به الحياة الفطرية لحجيرات وأجهزة البدن إذا قورنت بالإنسان في اجتماعه ؟ :

١ - قيام كل حجرة باختصاصها في الجهاز العاملة فيه بصورة منظمة دائمة عادلة .

(١) فحياة حجرة المخ مديدة وأضعاف مضاعفة عن حياة حجرة الجلد ، وتختلف مع الحجيرات في الأجهزة الأخرى .

(٢) ما يقدم لحجرة المخ كطعام يختلف عما يقدم لغيرها .

(٣) وحجيرات المخ محفوظة ومصانة بطبقات شحمية وأنسجة وعظام قوية وطبقات عديدة أخرى من الشحم والجلد واللحم .

(٤) يعدلها من العناية الفائقة والكرامة البالغة لشرف وظيفتها وجلال ما يُسند إليها وسيطرتها الخاصة والعامة .

- ٢ - عدم مداخلتها الشخصية بأعمال الأخرى^(١) رغم وجود الرابطة والصلة في العون والمساعدة .
- ٣ - أخذها بصورة متساوية للأخرى احتياجاتها .
- ٤ - عدم ادّخارها شيئاً لها دون الأخرى وما يدخر فهو للجميع .
- ٥ - نقل أخبارها صحيحة إلى مراكز الحس مما يلم بها من إحساس بالألم أو الجوع أو غير ذلك .
- ٦ - تلقيها أخبار صادقة من مراكز الحس لتنفيذه .
- ٧ - عدم تلاعب الأهواء والشهوات والغرائز المتضاربة والمتناقضة في حياتها ، واعتدالها في كل ذلك كما توحى لها الفطرة . فهي تسير سيراً مستقيماً متزناً .
- ٨ - ثبوتها في مركزها منذ البداية إلى النهاية سوى ما تراه في الكريات الدموية الحمراء والبيضاء اللنفوية ان أردنا أن نعدّها جزءاً من هذا البدن .
- ٩ - طريقة تكاثرها .
- ١٠ - طريقة إفرازاتها .
- ١١ - اشتراكها مع بعضها بالخير والشر والفرح والترح والجوع والعطش .
- ١٢ - وأهمها وضعها المنظم وسلوكها المصمم .
- ١٣ - طرق وقايتها ودفاعها واسعافاتها السريعة المنظمة .
- ١٤ - شمولها جميعاً بالموت من الناحية المادية .
- ١٥ - لانتها مشاطرتها وعدم فائدتها كما يحصل ذلك في مملكة النحل والنمل والأرضة .

(١) لخلوها من الأنانية المثيرة للعنصرية والمنازعات مبعث الحروب والشحناء والعداء .

فروق الحياة البشرية عن حياة الحجيرات وطرق علاجها :

إن أهم الفوارق بين حياة الحجيرات والأجهزة المنظمة في البدن الإنساني مع الحياة البشرية فرادى وجماعات تكون على أن البشر ذو غرائز شتى متفاوتة بين أفرادهم وجماعاتهم ، وهذه الغرائز كثيرة وكثيراً ما تتخالف وتتناقض مع بعضها من جهة كما تؤثر على سلوكه الطبيعي الفطري بخلاف تلك التي تسير عليه الحجيرات سيراً منظماً ومصمماً في البدن ، وكون الإنسان ذو حاسة مفكرة وعقل مدبر نرى في الغالب تتغلب عليه قوى الغرائز فتستخدم هذه القوى المفكرة النامية التي يجب أن تنقاد للعقل الواعي وحسب ، بيد تنحرف مستخدمة لها بتبعيدها عن جادة الصواب تلك التي تعتبر الجادة الفطرية الطبيعية التي إن أتبعها اعتدلت حياته ولم يتجاوز وظيفته وحاجته لمسالك هذه الحياة ، ولما خرج عن حياة المساواة والتعاون الاجتماعي الذي يزيده قوة وسعادة .

طرق علاجه : هو بتحكيم الإرادة والاصغاء للمنطق السليم والاعتدال في السلوك الفطري وعدم الانجراف لاشباع نهمة الغرائز بالحد المفرط الخارج عن الاعتدال أو إهمالها وإصابتها بالصدمة الخيشة والقلق ، وجعل القوى المفكرة والغرائز ممثلة للسيطرة العقلية الحكيمة المرشدة بالمساواة والتعاون بين أفرادهم وجماعاتهم ، بالعاطفة والحب والحنان والرأفة والسير الوسط .

تم الاستعادة من المسالك الطبيعية الفطرية الجارية في تنظيم وتصميم حياة الحجيرات في حكومة البدن المثلى واتخاذها منها منهجاً لسعادته ومساندة الفرد للفرد والمجموع للمجموع والفرد حذو النعل بالنعل ، واتباع التخصص في الاجتماع البشري لكل موضوع كما هو قائم في حكومة البدن وبالتالي الكل تحت إشراف الأقطاب المفكرة المدبرة المتخصصة المخلصة المجدة كما هو في البدن الإنساني في مراكز الحس من المخ والمخيخ وإيجاد مجتمع بشري كله فراداً وجماعات يخدم فيها

الكل الكل أفراد وجماعات، وإدامة كل جماعة بدأ بهم المستمر على ما خصص لهم دون مداخلتهم في الأعمال الخاصة لغيرهم إلا على حدود الرابطة بين هذه وتلك وحسب . واعداد كل منهم حسب مكانته وحاجته من الضروريات النامية المنشطة لقيامه خير قيام في ممارساته وإحاطته حسب أهمية مكانته بالمحافظة والصيانة كما تُحافظ المراكز المهمة في البدن وتُصان من التعرض والتلوث ، والحفاوة والكرامة اللائقة كل بمقامه كما هو فطري في مراكز البدن الإنساني الحساس أمثال المخ والمخيخ والقلب كل بحسبه وكل حسب الخدمة التي يقدمها للمجموع ، وعلى هذا نكوّن مراكز الخدمة في المجتمع الإنساني حذو النعل بالنعل كالموجودة في البدن الإنساني من حجيرات وأجهزة ورابطتها ببعضها . والدأب المستمر على نموه ونشاطه واعتداله ، وخطط التموين والدفاع والوقاية والعلاج وتزويده بالضروريات والكماليات وإبلاغ كل حقه ومكانته وحاجته والحرص المشترك لحياة الكل من الكل .

وبعد أن عرفنا القانون الأساسي للبدن الإنساني ثم للمجتمع الإنساني وأعطينا المميزات لكل منها وقارنا بينها ووجدنا الاعتدال هو باتباع الفطرة والابتعاد عن الإفراط والتفريط وتحكيم المنطق السليم في التنظيم والتصميم القائم في البدن الإنساني لانتهاجه في المجتمع الإنساني ، نبسط بعدها موضوعاً ضرورياً آخر هو مراحل ما يلزمه القانون الأساسي للبدن الإنساني ثم ما يلزمه للمجتمع الإنساني .

— المراحل اللازمة للقانون الأساسي في البدن : —

- ١ — ما يلزم لبقاء البدن حياً .
- ٢ — ما يلزم لإبقائه سالماً وسعيداً .
- ٣ — حفظه من الأخطار في الصحة كوقاية وفي المرض كعلاج ومنه ترميم النقص .
- ٤ — حفظ موازنته واعتدال من الضعف المؤدي به إلى الانهك وربما

للموت . أو السمّة المفرطة المؤدية للبتر وما تؤدي إلى ادواء تلك
في البدن الإنساني .

- المراحل اللازمة رعايتها في قانونٍ أساسي للمجتمع الإنساني :

إن ما مرّ ذكره من المراحل اللازم رعايتها في البدن فيما يخص
القانون الأساسي ونفسها يلزم رعايتها في المجتمع الإنساني ، ولكي تكون
هذه السيطرة كاملةً منتجة ويكون بالإمكان تطبيقها يجب قبل كل شيء :

١ - ضمّ المجتمع الإنساني تحت لواء واحد وقيادة عليا فذة متحدة
متعاونة على أساس التخصص لكل جهاز كما هي في مجموعة ما يضمه
البدن الإنساني ، حريصة على الافراد وحياتهم سالمة سعيدة ، وأن تكون
هذه القيادة ذات فروع للتخصص في جميع مصالح ومتطلبات أجزاء هذا
المجتمع في مختلف شؤونه الاقتصادية والاجتماعية والصحية والشؤون
العامة والخاصة . وأن تكون هذه القيادة من ذات المجتمع غير منفصلة منه
يرجع لها الكبير والصغير للمشورة والاستعانة ويستمد منه كل رغباته
واحياجاته ويثق بمشورته ومعاونته ويطيعه طاعة صادقة ويمده بالعون
ممثلاً بما لديه من طاقات عند الحاجة وإن حكم الفرد في هذا المجتمع
كحكم الحجيرة في البدن الإنساني ، وحكم الوزارات والإدارات
والشركات وكل مجموعة بشرية من شركة ونقابة وحزب وطائفة وغيرها
كحكم الأنسجة والأجهزة القائمة في البدن الواحد العاملة لمصلحة الأفراد
والجماعات ، وحدة في هذا المجموع بالسيرة والطاعة والقصد والرغبة
والجهد والاستفادة ، تؤدي وظيفتها بصورة دائبة كما يؤدي الفرد وظيفته في
شركة تعاونية تتحمل الأضرار وتكسب المنافع بحد سواء كغيرها من هذا
المجموع ولكل مقامه ومركزه مهما كان لا يشعر كبراً ولا صغراً ولا ضعفاً
ولا قوة ولا حرصاً ولا كرمأً ولا تعسفاً أو ترحمأً لا بل هي الوظيفة والعمل
المناط لا يقعه كفرد أو مجموعة إزاء ما هو مناط به إلا مرض مهاجم
أو خطب مداهم .

٢ - اقامة مؤسسات أو وزارات لكل منها تخصصها ومنشآتها وفروعها الخاصة على شاكلة أجهزة البدن حذو الجهاز بالجهاز والوظيفة بالوظيفة وربطها ببعضها لشد إزرها على قدر ما تحتاجه من طاقة لا تزيد فتخل ولا تنقص فتمل ، ثم ربط المجموعات من هذه كربط الأجهزة ببعضها في البدن الواحد على قدر حاجتها الواحدة للأخرى ، ولتتقرب أكثر فأكثر ، شرح وظائف كل جهاز في البدن الإنساني وأعماله الدائبة عليها خدمة لمجموع البدن ، والخدمات التي تؤديها ، وحصر منشطاتها ومشطاتها ، وكل أعمالها صغيرة وكبيرة تحت مراقبة دقيقة دائمة من الجهاز الأعلى للمخ والمخيخ والجهاز العصبي المنظم والمصمم الدائب الواعي في جميع الأحوال الشعورية واللاشعورية ، حذو نظام ما هو سائر في البدن الإنساني .

٣ - ولبسط النفوذ ، وتعميم الخير للمجتمع الإنساني ، يلزم التغلغل في أسرار ومكنونات البدن الإنساني من الناحيتين المادية والمعنوية للوقوف عليها ، وتطبيقها على المجتمع الإنساني والتغلب على الخلق والعادات المستهجنة الموجودة في المجتمع الإنساني القائم على حد إفراط الغرائز عن احتياجاتها أو تقاعسها عن وظائفها وعودها إلى الحد الوسط والاعتدال على حد ما قاله الإمام الباقر لابنه الصادق حفيد رسول الله (ص) بقوله عليه السلام : يا بني : (خذ الحسنة من بين السيئتين) أي الحد الوسط ما زاد سيئة وما قل سيئة .

وهذه الجملة لو دققنا في معناها لوجدناها بلغت من الحكمة أوجهاً وأجزها ورعايتها ودراستها من أمس الضرورات للحياة الاجتماعية البشرية السعيدة ، والابتعاد عن الرذائل والموبقات وبالتالي حد الشقاء القائم على اتباع الغرائز والخروج عن حد الاعتدال والخروج عن الفطرة والطبيعة ، ومنها ادخار الفرد الإنساني واكتنازه الذهب والفضة والثروة في كنوز مطمورة دون حاجة إلا إرضاء لغرائزه وترك أفراد البشر أمثاله يتضاورون جوعاً وحاجة ماسة للضروريات في تعاسة وشقاء ، تلك التي لا تجدها في

مجتمعات البدن الإنساني كحجيرة من الحجيرات ، أو انغماسه باللذة والترف والنعيم لحد البطر والكسل المتمادي المنهك وتكديس الجماعات من أمثاله يتضورون من عناء الجهد وفي أرذل وأتعس حياة هم وأفراد عائلتهم لا قوت يشبعهم ولا سبيل إلى راحة تسليهم وتؤنسهم بين افراط وتفريط تلك الطبقتين العليا المسيطرة على القوة والمال وهي الأقلية والأخرى الأكثرية المتعثرة المقهورة الفقيرة تحت نير واستعباد الأولى ، وكلاهما خارجان عن حد الوسط بين سميئة مفرطة ثقيلة علية أو هزيلة منهوكة نحيلة وذليلة ، وكل منهم فقد الحد الوسط وابتعد عن العدالة الطبيعية الفطرية القائمة بحياة البدن الإنساني من حجيراته وأجهزته .

دولة البدن : تتشكل من ورح مسيطرة ، وأجهزة مسيرة ، كل جهاز ذو تخصص دؤوب في وظائفه حريص على مواقفه ، مطيع لأمر الناصح الأمين بطوائفه ، مناهجه معينة ، ومسالكه مبيئة ، الأمانة والوفاء معدنه والطاعة والاخاء ديدنه ، فتلك خير قدوة للمجتمع البشري إن شاء السعادة الاجتماعية ، يحذو حذوها ويخطو خطوها ، حذو النعل بالنعل ، لا يثنيه بادر ، ولا يعدله خاطر عن سيرتها المنظمة ومصالحها المصممة .

فلا غرائر مفرطة أو مثبطة ، ولا أهواء على العقول مسيطرة ، بل لكل صغيرة وكبيرة في البدن تنظيم ولعملها تصميم لا تحيد عنها ، ولا تذود إلا بها ، قطب رحاها روح محرركة ، وحواس مدركة تليها أجهزة متعاونة ، متضامنة متشابكة ، تلك ضرورة اتخاذها قدوة لسلوك البشر ووحدته وتعاونه إلا أنه يلزم إضافة أخرى لصد عادات الغرائز .

وكلما ندعوه إلى مكارم الأخلاق في حياة البشر الاجتماعية في الإسلام ، من التوحيد والكمال والعدل والاعتدال بشير ونذير ، وسلام وأمان وبر وإحسان ، والدعوة للفضائل والتحذير من الرذائل ، لكظ جماع النفوس حذر الخروج عن الحياة الفطرية العادلة المجبولة عليها أجهزة البدن ، والانصياع للعقل السليم ، عن التفريط والافراط والتهور أو الاثباط

عن الحد الوسط الطبيعي ، ووقف جماح الغرائز والأهواء حذار تسخير العقول لغاياتها المنحرفة عن الأصول والقواعد الأمنية ، وقد مرّ ذكر الأصول المتينة القائمة عليها الحياة الطبيعية لحجيرات وأجهزة البدن الحية من الخدمة والتعاون الصادقين المنظمين فيما بينها دون انحياز لعاطفة أو استجابة لشهوة زائفة أو نكرة جارفة ، فإن كانت الغرائز عادلة في حكمها داخل الأبدان فهي قاسية مشينة في اجتماع الإنسان ، إلا إذا انصاعت للحكمة والحلم روية وازدانت بالعلم ودانت للعقل في كل قضية ، واتخذت سبيلها في أمرين : -

- ١ - تنظيم وتصميم كما سارت عليه أجهزة البدن الإنساني .
- ٢ - الإيمان وهو بمثابة الروح في البدن والتسليم والعمل بأصول إنسانية وما حواه من مباني ومعاني (هي الأصول الإسلامية) .

١ - تنظيم وتصميم ما سارت عليه أجهزة البدن الإنساني للمجتمع البشري : -

وبالأحرى لتشكيل دولة عالمية مثلى تستمد تصميمها وتنظيمها من أجهزة البدن الانساني وأصول تشكيلها علينا البدء بذكر أدقها صنعة وأشدها متعة وأجلها في الوظائف حكمة وأشملها لباقي الأعضاء خدمة ، وهو الرأس الجامع للمخ والمخيخ وما يتبع ذلك من غدد صماء وحق أن يقال انه السيد المطاع والخادم المشاع والمدير المدبر الصغيرة والكبيرة ومصدر الوصايا والأوامر ، ومآل الشكاوي والمستشار الأمين المناصر ، مقر الحواس والمشاعر ، وحافظ الذكريات والخواطر ، مهبط العقول والأفكار ، وينبوع الإرادة والأسرار ، والمسيطر على أدق مكنوناتها والمسير لأفرادها وجماعاتها ، محروسة بأنسجة دقيقة ، وشحوم رقيقة ، تليها عظام منيعة النفوذ متينة ، في أغطية من الجلود الكثة دقيقة ، حراسة تليق بسمو ما أسدته وظائفها ، ومناعة تقيها من عوارض تصادفها . وتزود بطعام يناسب فطرتها ويساير مهمتها ويروي غلتها ويراعي ندوتها ويجانس ذروتها ،

لتكون أفرادها أمد حياة وأقرب نجاة وأصح ذوات وأبعد ممات من غيرها في الأنسجة الأخرى ، وهكذا يجب رعاية الحيلة والدقة بالسير لاختيار الصفوة الإنسانية المدبرة من أقطاب رحي الدولة العالمية المثلى ، وتزويدها وإمدادها بما يليق بها ، ويسدد خطاها في مهمتها والمحافظة عليها بما ينشط أفكارها ويطيل أعمارها ويرفع أطوارها ويدفع أخطارها ، وتقسيم وظائفها كما في الرأس وما فيه من شتى الوظائف والروابط ، حذو الاختصاص بالاختصاص والصنف بالصنف ، والعمل بالعمل ، مستعينين بذلك بعلماء الطب وعلم النفس والاجتماع والقانون والتربية وغيرها من العلماء المختلفين في الاختصاص بما يزيدنا إحاطة ودراية ويبعدنا عن الخطيئة والذلة آخذين من الأحوال الفطرية الطبيعية للبدن الإنساني وثبتت مثله في أصول وفروع أنظمة وأجهزة الدولة العالمية المثلى ، والرأس هذا مقر الفكر النامي والعقل والإرادة ومستودع الذكريات ومهوى العلم والتجربة ومخزن الآثار من أقدم الأجيال لليوم ومخبأ الأسرار النفسية ومجمع العواطف والحواس والمشاعر والإحساس به يتم التنظيم في مختلف أجزاء البدن والتصميم في سيرها المطرد وهو مبعث السعادة والهناء إن أحسن تدبيره والشقاء والعناء إن أساء تقديره مصدر نور البصيرة والحكمة في الحياة ، وكانون قوى النفس من لمس وذوق وشم وسمع وبصر وغيرها والحركات والنزعات .

هكذا يلزم أن يكون مقام الرأس من المجتمع الإنساني في جسم الحكومة العالمية المثلى ، مجمع ومركز القيادة والقوى بروح و طاقة فطرية طبيعية منيعة مدبرة دائبة متنامية متناسقة منظمة مصممة حكيمة وبصيرة وقادرة لها السيادة المطلقة على بقية الأفراد والاجتماعات سيدة وخادمة ومخلصة في سعيها جازمة .

فقد وجدنا لليوم امكن ترميم أهم الأجهزة الأخرى من البدن حتى القلب والشرابين والكبد ان اصبحت بضائعه إلا الدماغ لم يتوصل بعد إلى

ترميمه كلاً أو بعضاً ، ولو قدر وأمكن ذلك فما يدرينا أنه لا يختلف أثراً ويجري في سيرته هدرًا عمّا كان يحمله سلفه من الوراثة والتربية والعادة وربما غيرها على قدر ما يحمله الثاني في سفته من الممكنون ويحويه من الشؤون ، قد تكون أسمى مثلاً أو أدنى خلافاً ، أدق سيرة وأنصع سريرة ، أو متخبط في سلوكه في حيرة ، وفي كلاها خارجاً عمّا اعتادت عليه رعاياه من الجهات وتدرجت عليه من الصفات فهو وإياها في اختلاف لما لزمه وإياها من انحراف . وأقربها إلى الاستقرار أقربها للفترة انصياعاً للطبيعة أتباعاً ، فهي صنعة الله في الإنسان الممتاز عن باقي خلقه بسجاياه والمتشابه بخباياه ، فإن شذ عن خلة ثبتت الأخرى ، بيد لم يخرج عن المجموع ولم يستثنى من النوع فهو منها سامياً أو دانياً ، إمّا محلّياً بخيرة خُلِقَها أو منجرفاً إلى مضيق طرقها أو ذميم خرقها ، واننا إذ نريد الاسترسال بالقياس فعلينا الأخذ بأجمعها وأكملها وأصحها خصالاً وفعالاً لتكوين مثلها دولة عالمية جامعة كاملة سالمة أفراداً وجماعات ، والاستفادة مما انتجه خبراء البشر من الأدوات والآلات المساعدة أمثال الأدمغة الالكترونية الحافظة والحاسبة والكاتبة والعاملة الدقيقة وغيرها مما يسهل لنا العصب ويبدل البعيد إلى قريب في كل شعبة من شعب هذا المخ وهذا المخيخ الجامع والمسلّط على الحواس المختلفة والمترابطة وكل فرع من كل شعبة ، كم يجتمع في كل وحدة من آحاد متعاونون من الحجيرات وسرعة ودقة ما يثون ويصممون لشتى نقاط البدن وأجهزته أفراد وجماعاته فيما يخص كل واحد ومجموعة من شؤون وكيف يربطونها لمجموعة مشتركة المنافع متعاونة متكاثفة متساوية ، كل بحسب حاجته ، وكل بحسب وظيفته بين مُسلّمة ومُتسلّمة وخادمة ومخدومة ، لا تظن كل منها على الأخرى ولا تشمخ الكبيرة على الصغيرة أو العالية على الدانية أو أية حجيرة أينما كانت ومهما حفتها واسندتها أخرى على غيرها . فلا نزعة ولا عصبية ولا أنانية ولا استكبار ولا استصغار ولا استكثار ولا استنكار ولا انتظار مدح أو شكر أو ذم أو نكر بل هي الوظيفة والسلام والانصياع

والانسجام ، خلت من الغرائز كحب النفس والشموخ والجمع والجشع دون رضوخ تلك التي سيطرت على البشر وحرفته عن العدالة الفطرية والمساواة الطبيعية التي سوف نتكلم عنها في الأمر الثاني .

وكيفما كان فالعدالة الاجتماعية لكل جهاز بالنسبة لأهمية وظيفته للبدن الإنساني مميز بالمناعة والمكانة والعناية والطعام كما نشاهده بالنسبة لجهاز الدماغ والقلب والكبد والكلية والعضلات والجلد فالجلد لو قسناه بالدماغ لوجدنا بوناً شاسعاً بينهما في الامتيازات المارة فالجلد معرض للصدمات الخارجية غير ما نراه في أمر المخ والأجهزة الأخرى ، وهكذا حجيراتنا مع بعضها على أن كل منها تأخذ نصيبها وما تحتاجه بصورة موفورة متساوية لغيرها لسد حاجتها وكلها متعاونة وكادحة وخادمة الواحدة للأخرى ، غير أنها تمتاز بشأن قدمتها وتتفاوت هذه الخدمة تفاوتاً بيناً بالنسبة لنظام واستدامة وحسن قيام الأجهزة وحياتها السالمة السعيدة السديدة ، تختلف في نوع عمل الجهاز ، فقصور الدماغ في عمله قد ينتهي بالموت أو علل عصبية لكل البدن على خلاف الجلد وقصوره فهو أقل ضرراً وأبعد خطراً ، يلي الدماغ القلب والدورة الدموية ، يليه الكبد ولكل منها أثرها على الأخرى بيد على قدر شمول الفائدة والضرر ونوعه يتميز الجهاز بالمناعة والعناية وبالعكس على قدر المناعة والعناية المعطاة للجهاز نعرف سموه بنظر الفطرة والطبيعة ويقول رجال الدين الموحدين على قدر أهمية العضو بالنسبة للبدن وهبة الله الخالق المبدع العناية بالمنعة والمكانة الرصينة ومدة بالضروريات لإدامة للحياة السليمة وزاده بتلك كلما أحاطته المخاطر والملزمات والعاديات ، وعلى هذه الأسس وهذا النمط والأساليب علينا إقامة الدولة العالمية المثلى .

وقد يلي الرأس في الأهمية جهاز الدورة الدموية ومتعلقاتها وما يتصل بها مباشرة وبصورة غير مباشرة . من قلب وأوردة وشرابين وأوعية شعرية ورأتين وكليتين وما تحويه من دم وما يحمله من عناصر حية دائمة من

الكريات الحمراء والبيضاء والمواد ، ومد البدن وأجهزته حتى الدماغ بالغذاء والمواد الضرورية من أكسجين والضروريات الأخرى وتطهيرها من المتخلفات في الحالات العادية أو مده بالعناصر اللازمة تجاه المخربات والأعداء المهاجمة بما يلزمه من دفاع حتى يبلغ إلى النفير العام وقيام الأجهزة المساعدة الأخرى اللنافوية للكفاح وصد العوادي المداهمة ومثلها يحصل للمجتمع الإنساني بهذا كان للطبيب على اختلاف تخصصه ومعرفته بدقة لأجهزة البدن وضرورياته ودفاعه وهجومه علماً وحكمة يستفاد منه في علم الاجتماع ومثله علم النفس والرابطة بينه وبين علم الطب الفردي وعلم الاجتماع للنوع البشري ، وكما نرى ترابط الأجهزة في البدن الواحد وحاجة كل منها للأخرى هكذا يكون ذلك في الحكومة والدولة العالمية المثلى على حد قول الشاعر :

الناس للناس من عرب ومن عجم بعض لبعض وإن لم يشعروا خدام

فبخدمة الرأس وسهره على الأجهزة الأخرى وسلامتها وحسن قيامها بسلامة بأعمالها إنما هذه الخدمة منه خدمة له في الوقت الذي تقوم الحجيرات والأجهزة كل منها بنفس الجهد والنظام الدائب المنظم لا فقط لنفسها بل للأجهزة الأخرى تلك التي تتوقف حياة الواحدة على الأخرى وسعادة كل منها على الأخرى وشقائها عليها ، فالجسم الإنساني إذا أصيب بأي ألم مثلاً في السن تألم المخ وكافة الأجهزة الأخرى وعانت ألماً وشقاء لا يقر قرارها إلا بإصلاح ذلك السن فهي في الحال الذي تشاركه في آلامه تشاركه في الصراع والجهد والكفاح لصد المهاجم العاتي وللقضاء عليه وإصلاح ما تلف باذلة كل منها المعونة والطاقة بحد سواء وبصورة تعاونية وتحملت الخسائر والأضرار بصورة دائبة حتى دور النقاهة وعود الصحة والاعتدال للبدن ، وهكذا يجب رعاية ذلك في الحكومة العالمية المثلى والاقتداء بهذا البدن الإنساني القائم بأساليب الفطرة ، العادلة المنسجمة

بل حكومة الله المتسقة المتضامنة المتعادلة في خلقه^(١) .

وإننا لو شرحنا أعمال الجهاز الدموي ونظامه في البدن وخدمته لنفسه وللبدن وما يقوم به في الأحوال العادية وغير العادية وما يبذله كل قسم منه لكل قسم وما يحمله من عناصر في الأحوال العادية وأخرى في الأحوال الغير العادية ، وما يقدمه من تعبئة للترميم وصد العوارض الغير العادية الكيماوية من مواد قد تضر بالبدن وأخرى عضوية مكروبية تختلف عن الأولى بكونها تتكاثر وتزداد وتكيف عليه أن يجابه هذه الأخطار وكيف يوازن مدى خطورتها ويقوم بشل فعل الأولى بخلق ما يعادلها والثانية بصد ما يقابلها فتارة يزيد مواد كيماوية معاكسة وأخرى يزيد مواد عضوية من الحجيرات البيضاء والمواد اللمفاوية لصد الأعداء المهاجمة والقضاء عليها وإرسال مواد وإيعازات تفتح الشرايين والأوردة والأوعية لولوجها وخلق حرارة مصطنعة لتشريع حركتها وعلى قدر الخطر المداهم تبعث النفير العام وعلى قدره تبعث العقاقير الشافية للبدن والقاتلة لإعداءه ، وقد اشتركت أجهزة البدن كلها بحكم الدماغ المسيطر والقدرة الفطرية الحكيمة ، وهناك مواد وأجسام غريبة تدخل البدن لا هي مواد كيماوية أو غذائية أو عضوية مكروبية يمكن تخليتها أو قتلها أو دفعها خارج البدن ، وإذ لم تجد بداً وقدرة على دفع الجسم المداهم كشظية من قنبلة أو شيئاً غير مذاب أو جسماً أعياها إخراجها أو التهامه ، حبسته محيطة إياه بألياف وأنسجة متينة منيعة حاجزة إياه عن أعضاء البدن مجبوساً في مكمنه ، هكذا شأن الفطرة وسلوكها في البدن الإنساني تلك التي يجب علينا أن نأخذ منها عبرة . وهذه الدورة الدموية إذا ما درسناها بدقة أمكننا إيجاد جهاز في هذه الحكومة العالمية المثلى ووصلنا بنفس الروابط التي ترتبط به بالرأس وباقي الأعضاء ، وسمها ما شئت من مؤسسة تلك التي تقوم على مسند عدة

(١) ٥٣ من سورة فصلت قوله تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾ .

وزارات مترابطة مع بعضها كوزارة المواصلات والمؤن والإسعافات والاقتصاد وقسم من المالية والدفاع والصحة والخ . . وربما دخلت فيه أمانة العاصمة وغيرها وتلي ذلك الأجهزة الأخرى كجهاز الهضم والكبد وما يتصل ويرتبط ويتشعب منها والجهاز العصبي والعضلي والعظمي والجلد وما في البدن من غدد صماء وغير صماء والجهاز التناسلي .

وما تقوم كل واحدة منها من خدمات ووظائف عامة وخاصة وكيف يجب إقامة أجهزة مشابهة في جسم الحكومة العالمية المثلى على غرار كل منها هذا إلى إضافة ما اكتشفه الإنسان من شتى الابتكارات والاختراعات في شتى المجالات الفيزيكية والكيمائية والميكانيكية والاحياء وغيرها وسهل بذلك على نفسه كثيراً من مشاكل الحياة ولا يزال يتقدم على شريطة أن لا يخرج بها عن الفطرة والطبيعة وأن يراعي دوماً نفس الاعتدال الطبيعي والاستفادة من غرائزه بحد الاعتدال الطبيعي والذي يلي ذكره في الأمر الثاني حاداً إياها بالعقل الحكيم والمنطق السليم من الانجراف والتهور أو التلكع والتوقف أو التقهقر عن الحد الوسط .

٢ - الإيمان : وهو بمثابة الروح في البدن الحي والتسليم والعمل بأصول الأديان السماوية وأخص الإسلام ذلك الدين الحنيف وما يحويه من مباني ومعاني :

فكان الأمر الأول المار ذكره يتمركز على الأمور المادية والثاني يتمركز على الأمور المعنوية لإقامة مجتمع إنساني حي على غرار البدن الإنساني الحي يتألف من مراكز مادية تشمل الحجيرات والأجهزة وروح معنوية هي المحركة الدافعة للأولى لقيامها بأعمالها ، والروح هذه لها محركين في البدن الإنساني إما نافعة مفيدة للفرد والمجتمع أو ضارة لهما .

فالأولى : وهي التي تستمد حركاتها من العقل السليم في الحكماء والعلماء وذوي الرأي الصائب والخلق الفاضلة والتقوى والإيمان العميق

عند ذوي الأديان السماوية الموحدة ، وهم ذوي الأرواح الطيبة الطاهرة .

ويتبع هؤلاء كثير من الأحياء السائرين فطرياً بنظم واعتدال ومسالك متسقة دقيقة متينة كالنحلة والنملة والأرضة وحتى في الوحوش كالأسد ونخبة أخرى مثله فهي رغم تجاوزها على غيرها تفترسها وتلتهمها بيد أن ذلك على حد إشباعها الغريزة وسد الجوع ومتى اكتفت وشبعت فلا تراها تتجاوز على حيوان حي والقضاء عليه أبداً ، وعكسها الذئب والضبع فدأبها الفتك والتعرض والتجاوز فوق ما يكفيها من حاجتها وهناك أمثالها من الحشرات والطيور وأحياء البحر وحتى في الأحياء الأخرى من النباتات والأجسام الغير المرئية .

والثانية : على نقيض الأولى وهي المستمدة حركاتها من غرائزها المتناقضة والمضطربة التي لا تقوم على وزن ولا تنسيق أو عدالة واعتدال ، وهي تكون في الإنسان الأهوج الخارج عن النظم والمنطق السليم والجاد في إشباع شهواته ورغباته دون انصياع لوعي الضمير والوجدان والعقل ، وذوي الآراء والخارج والمارق عن الدين القويم والخلق الفاضلة وضبط النفس ، والإنجراف لما توحى له غريزة نهمه ورغبة غير منسجمة ممن لا يرعوي للصواب ولم يردعه ثواب وعقاب ، ولأن هذا الإنسان في الوقت نفسه يجمع في معنوياته إلى جانب غرائزه تفكيراً نامياً ونفساً مريدة وعنده الوعي والتمييز إلا أنه بحكم الوراثة والمحيط والتربية قد ينجرف مع الشهوات ويستخدم قواه التفكيرية ورغباته وإرادته النفسية للخروج عن جادة الصواب إلى مغريات الهوى والشهوات والنهم النفسية وينساق لأشباع غرائزه دون عدالة واعتدال ويستولي عليه الجشع والحرص كغريزة حب الذات حب الجاه وحب المال والغرائز الجنسية العاتية والمتع الزائفة وللوصول إلى اغراضه ومراميه يسلك طريق الموبقات والرذائل والظلم والاححاف والتجاوز والاعتداء والمكر والخداع والكذب والنفاق ، فتراه راح منغمساً في خلق سافله وعادات منكرة ، ولم يرعوي لقول حكيم

وعقل سليم وحاد عن السراط المستقيم والشرع القويم ، تلك التي لا تجدها بين أفراد حكومة البدن في أفراد حجيراتهم واجتماعات أنسجتها وأجهزتها .

فبدت نتيجة خبرة ذوي الرأي السديد من العلماء والحكماء والمجربين وأهل الخبرة ، أن تلك خروج على الحق والحقيقة وعاقبتها الخسران ، فجدوا في نصائحهم كمعلمين للبشر لتعليم الجاهل وتذكير الغافل وإعانة العاقل بالنصيحة والإرشاد للسير المعتدل واتخاذ جادة الوسط دون إفراط وتفريط فقالوا خير الأمور أوسطها .

وجاء الرسل والأنبياء بالتوحيد والعدالة والاعتدال والعظة والإرشاد كمعلمين من السماء من الله لهداية البشر وأمرؤا بالمعروف ونهوا عن المنكر ونشروا السلام وكرائم الأخلاق ودعوا لكل فضيلة ونهوا عن كل رذيلة .

ولكي ينقاد البشر على الفطرة والطبيعة ويتهج السراط السوي والاعتدال في سلوكه كالحكومة في نفس جسم الإنسان من التعاون والخدمة الصادقة والجد والإخلاص ومساواة اجتماعية وفردية ، وإعطاء كل ذي حق حقه من المنعة والكرامة والاهتمام بالصحة والسلامة واستجابة رغبته ومرامه تعاوناً متقابلاً وتكاتفاً متبادلاً ، ولا تتغلب على عقله وإرادته النزعات وتجره إلى الموبقات والشهوات ، تلك الشهوات والنوازع لغرائزه العديدة التي طالما أطاحت به إلى الهوات السحيقة وأبدلته من إنسان رحيم إلى شيطان رجيم ، لا يكبح عن المظالم جماحه ، ولا يخفض للرحمة جناحه .

لكل ذلك كان لزاماً أن يكون لكل فرد حارس أمين ومرشد وواعظ من نفسه على نفسه من الإيمان بالله الواحد الصمد الواقف على السرائر والمعطي القدير جالب الخير ودافع الشر الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ومقر الثواب لمن أطاعه والعقاب لمن عصاه ، إيمان يملك نفسه وتقوى يسمو بها جنسه ، فحشه على مكارم الأخلاق والفضائل ونهاه عن الانجراف في

الردائل . دعاه لما يصلح به نفسه وغيره لبلوغ السعادة في دنياه وأخراه ونهاه عن المفسد لنفسه وغيره وقاية من عواقبها المهلكة ، وأعطاه عقلاً مميزاً يميز بين الحسن والقبيح وعزماً وتصميماً ينظم حياته بهما على أساس سليم وصحيح . وأرسل الأنبياء والمرسلين ومدتهم برسالات يهدون بها على لسانهم وأفعالهم وَيَعِظُونَ بها ، فكانت الكتب المقدسة وأخص منها القرآن الخاتم للشرائع والسنن ، الصالح لكل مكان وزمان ، والجامع لكل نصيحة مهذبة ، وعظة مؤدبة ، وتربية فائقة ، وآداب رائقة ، وآراء سديدة ، وأفكار مجيدة . تلك المكملة المهذبة للأفراد والجماعات والمحددة الواقية من الأوباء والحروب والمجاعات بها حقاً تقام أسس الحكومة العالمية المثلى وسنذكر طرقاً من آيات القرآن وأحاديث من خاتم الأنبياء ونبدأ من الكلمات القصار من نهج البلاغة لأمر المؤمنين علي عليه السلام المسندة للكتاب والسنة وبها نختم كتابنا القانون الأساسي الطبيعي القائم على العدالة الطبيعية الإلهية المنطقية والتي هي العلاج الشافي لسوق البشرية إلى حياة السلام والسعادة والإسلام في الختام لذا نرى القانون الأساسي الطبيعي والقانون الأساسي الإسلامي الذي سوف نشرحهما في الحقيقة لا يختلفان سوى لفظاً .

القانون الأساسي الإسلامي : وهذا القانون من خيرة القوانين الأساسية في العالم كله منذ بدء التاريخ حتى أرقى العصور التي توصل البشر لوضعه من أصول وحقوق ، وهو في الواقع من أصول الحياة الواقعية والفطرية الثابتة المنطقية والفطرية الطبيعية ، وله في الشريعة منابع ومصادر^(١) في الكتاب والسنة ، ونحن إذ نشرحه من ناحية دينية إسلامية ،

(١) من سورة آل عمران (١٦) منه إلى ٢٠ و ٤٥ و ٦٠ منه) : ﴿ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً . الخ . وكان إبراهيم من شيعة نوح ، فالكل من أصل واحد ، و ١٧ : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام . الخ . ، و ٧٩ و ٨٥ منه : ﴿ ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾ ، و ٧٧ منه إلى ٧٩ و ٩٧ =

إنما نشرح القانون الطبيعي القائم الثابت^(٢) كما مر ويأتي ونرى الأصول الثابتة القائمة في كلاهما وكيف يعودان كلاهما إلى هدف وقصد واحد يختلفان عن القوانين الأساسية الموضوعية من البشر المبنى على أغراضه وغاياته الشخصية وإذا تبدل الأفراد والجماعات وتتغير أهوائهم ومراميمهم يبدلون ما شاؤوا من تلك الأسس التي يجب أن تبقى ثابتة وإن هم لم يبدلوها كتابة أعرضوا عنها عملاً .

منابع القانون : والقانون الأساسي الإسلامي له منابعه الثابتة المتضامنة ، هي :

- ١ - كتاب الله .
- ٢ - سنة رسول الحق .
- ٣ - التفسير والتأويل بعد رسول الله (ص) والاجتهاد لعلي عليه السلام وآل بيت رسول الله ومن يخلفهم من نوابهم الذين جمعوا ووعوا ما للمجتهد الكامل من الشرائط من بلوغ وإسلام وعقل وعلم وعدالة وتقوى وتبحر وقدرة على الاستنباط للاجتهاد والفتوى في مدى العصور عند غموض نصوص الكتاب والسنة .

فقد قال رسول الله (ص) لعلي (ع) :

- ١ - أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي .
- ٢ - ستحارب على تأويل الكتاب كما حاربت على تنزيله .
- ٣ - أنا مدينة العلم وعلي بابها .
- ٤ - أقضاكم علي ، وأعلمكم علي .

= وقال رسول الله (ص) : « أشرف الإيمان أن يأمنك الناس وأشرف الإسلام أن يسلم الناس من لسانك ويدك . وقال : بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ٣٠٧ نهج الفصاحة .

(١) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ : ﴿ سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾ .

٥ - علي وولديه الحسين وجدهما وأمهما الخمسة أهل الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

٦ - لحمه لحمي ودمه دمي وهو مني وأنا منه .

٧ - في آية المباهلة أصبح علي نفس رسول الله .

٨ - إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وقد ثبت أن أهل بيت رسول الله هم علي وفاطمة والحسين وعترتهم وأن عترة رسول الله من صلب علي وفاطمة راجع بذلك موسوعتنا الولاية والمحاكمات الأجزاء الخاصة في حياة النبي (ص) وحياة الإمام علي عليه السلام .

٩ - وقول رسول الله مشيراً للحسين : ولدي هاذان إمامين إن قاما وإن قعدا .

١٠ - نصب رسول الله علياً وزيراً ووصياً وخليفة بعده ، وأمر الجميع بالسير على هديه منها يوم نزلت الآية : ﴿ وانذر عشيرتك الأقربين ﴾ ، والثانية في غدير خم حينما أمر الله رسول الله (ص) بآية الإبلاغ في غدير خم لنصب علي إماماً وولياً وخليفة ووصياً بعده ، راجع بذلك حياة الإمام علي في موسوعتنا أعلاه ، هذا على ما نص على خلافته كناية وصراحة وعملاً .

الأصول في الشريعة الإسلامية ويمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام :

أولاً - الأصول التي بتقبلها يكمل إسلام المرء في اعتناقه الدين الإسلامي ، وبعدم تقبلها كلاً أو بعضاً يكفر الفرد وتنطبق عليها الآية الشريفة : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ والكفر يشمل الفسق والظلم أيضاً ، وهذا يشتمل على خمسة أصول :

١ - الوجدانية كما وردت في سورة الإخلاص .

٢ - النبوة .

٣ - الإمامة^(١) .

٤ - العدل .

٥ - يوم القيامة (يوم الجزاء) .

هذه الخمسة على المسلم الإقرار بها وتركها فهو كافر وهو بالوقت ظالم بل الظلم العظيم كما ورد في سورة لقمان .

الثانية : وتشمل فروض وحدود على كل مسلم إتيانها ونقضها يوجب الفسوق وتنطبق عليه الآية الكريمة المارة والتالية : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ ويتبع هذه الفسوق الظلم وتشمل الفروض الثمانية التي تعتبر لا يتركها إلا فاسق وهي :

١ - الصلاة وما يلزمها من طهارة الظاهر والباطن .

٢ - الصوم مادياً ومعنوياً .

٣ - الزكاة .

٤ - الخمس .

٥ - الحج .

٦ - الجهاد في سبيل الله ، تجاه النفس والغير .

٧ - الأمر بالمعروف .

٨ - النهي عن المنكر .

الثالثة : ويتبع ذلك الحدود من أوامر ونواهي الواردة في الكتاب والسنة من عدم شرب الخمر وترك الزنا والامتناع عن السرقة وعدم الاضرار بالنفس والغير واحترام الحقوق الخاصة والعامة وإطاعة الله والوالدين وإقامة العدالة والأمر بالقسط في الأحكام وما شاكل ذلك وفيها الأحوال الشخصية

(١) قوله تعالى : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ ، ﴿ وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم... ﴾ الخ ..

والقضائية (لمتخصص الموارد القضائية والقاضي) والفروض الصحية والوقائية المادية والمعنوية من أمر ونهي .

رابعاً : أصول اجتماعية إتيانها يوجب السعادة الدنيوية والسعادة الأخروية وتشمل مكارم الأخلاق والبر والإحسان والصدقة المادية والمعنوية والعفو عند المقدرة وكثير موارد إنسانية واجتماعية تخص الفرد والجماعة وحتى تشمل بقية الأحياء . كالرفق بالحيوان والنبات وسنضع لها ١٧ أصلاً ونترك الباب مفتوحاً لتسجيل أصول أخرى .

٢ - أصول القانون الأساسي الإسلامي

والأصول جمع أصل ، والحق أنها جميعاً من أصل واحد لا تتجزأ إلا في الوصف ذاتاً وصفة وجميعاً تنبعث من أصل واحد كما تنبعث من الشمس الأنوار والقوى والطاقات والأوصاف وتعود تتمثل في ذات الكوكب السماوي وما يتجزأ منه باعتباره وحده ، ذلك كمثّل أدنى .

١ - التوحيد : وتجدها في سورة الاخلاص

فالأصل في الواقع واحد لا غير ، هو أن الله أحد صمد^(١) وأنه

(١) ما ورد في الأصل الأكبر وهو الوجدانية - ١) سورة الاخلاص قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد ﴾ . قال الله تعالى في سورة آل عمران/ ٦٤ : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا لبعضاً أرباباً من دون الله... ﴾ الخ . ١١٦ منه ، والمائدة/ ٧٧ ، والأنعام/ ١٠٢ ، ويني إسرائيل/ ٤٤ والأنبياء/ ٢٢ إلى ٣٠ ، والحج/ ٣٠ ، والمؤمنون/ ٩٢ ، وآية الكرسي ، وسورة الفرقان/ ٢ ، القصص/ ٨٨ ، الزمر/ ٦٦ ، ومؤمن/ ٣ ، والدخان/ ٧ ، والذاريات/ ٥١ ، والحشر/ ٢٢ إلى ٢٤ . وسورة الروم/ ٢٩ : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله... ﴾ الخ .

ومما روي عن رسول الله (ص) وجاء في نهج الفصاحة من أقواله المأثورة قوله (١٥) : أبشروا وبشروا من وراءكم أنه من شهد أن لا إله إلا الله صادقاً لها دخل =

الأول والآخر ، هو الله المبدع المهيمن الحكيم والخالق القدير العليم ،
والعادل البر الرحيم ، ذو الحول والطول الصمدي الأبدي الأزلي ، منبع
الكمال والجمال ، والمسيطر على الأمكان والمحال ، لا تحد إرادته فيما
كان أو يكون ، ولا يغيب عن علمه ما تعجز عنه الحواس والظنون . ومنه
تتفرع باقي الأصول .

= الجنة ، « والصدق لها تستوجب ما نرده من الأصول في الوجدانية » ، وقال (ص) في
كلمته (٣٠٩) أشعر كلمة تكلم بها العرب كلمة ليبد « ألا كل شيء ما خلا الله
باطل » ، وجاء في كلمته (١٢٤٣) ثلاث من قالهن دخل الجنة : من رضي بالله رباً ،
وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ، والرابعة لها من الفضل كما بين السماء والأرض
وهي الجهاد في سبيل الله عز وجل .

(١٦٠٧) الدواوين ثلاثة : فديوان لا يغفر الله منه شيئاً فلاشراك بالله . وديوان لا
يعبأ الله به شيئاً فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه أو صلاة تركها
فإن الله يغفر ذلك إن شاء ، وديوان لا يترك الله فيه شيئاً فمظالم العباد بينهم القصاص
لا محالة .

(١٨١٩) الشرك أخفى من امتي من ديب النمل على الصفاة الليلة الظلماء ،
وأدناه أن تحب على شيء من الجور أو تبغض على شيء من العدل . وهل الدين إلا
الحب في الله والبغض في الله . قال الله تعالى : ﴿ إن كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحبيكم الله ﴾ .

(١٨٢٤) الشهوة الخفية والرياء شرك (يقصد الكبر والمراءات شرك) .
(٢٠٧٧) قال الله تعالى : من علم أنني ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا
أبالي ما لم يشرك بي شيئاً .

(٢٦١٥) كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركاً أو قتل مؤمناً متعمداً .
وقال من في (٢٢٦١) لكل شيء مفتاح ومفتاح السموات قول : « لا إله إلا
الله » .

قال الإمام علي في التوحيد والعدالة وهي من كلماته القصار البليغة حين سؤل
عنها فأجاب : التوحيد أن لا تتوهمه والعدل أن لا تتهمه وهي الكلمة (٢٦٢) في
الكتاب السادس من نهج البلاغة .

٢ - العدل : -

هذا الأصل من مقر العدالة والوحدة في أصل الطبيعة ومبدأ الفطرة ، من مبدع العقل السليم في الإنسان وقوى الغرائز فيه وفي الحيوان ، وملهم النفوس هداها والمودع بها قواها .

فكانت العدالة من أجلى عواطفه وميزاناً للقصاص من الطافه ومعارفه ، والاعتداد والاعتدال بها من حسنات الغرائز وكرائم العقول في الحوافز والنواجز ، بها أمر ، وعليها يقاخص البشر ، ويحاسبهم في دنياهم بالأثر أو يؤخرهم ليوم البعث الأكبر . لا مفر من قصاصه العادل ، ولا مغيث أو شفيع من عدله الشامل .

فالعدالة أصل في الحياة فيها قرار الحياة وبها سعادة الالباء وشقاء الغواة ، ترفع نفوساً صمدت لها لتكون أية ونبيلة ، وتحط من أخرى أعرضت عنها إلى حضيض الرذيلة ، وتلك هي العدالة لها في كل منهل من الحياة مقامها الأرقى ، وفي كل شريعة ينبوعها الأنقى ، فهي التي توازنت بها قوى الكون واعتدلت أنظمتها : من نجوم منتشرة انتظمت في أجوائها وتباينت في أنوائها وسارت في مدارها وامتازت في أطوارها وأسرارها ، بما حوته من قوى وعناصر متقاربة ومتضاربة تعادلت وامتازت بخصائصها وتساوت في النظام الكوني الموحد بشواخصها ، وحوث من مخلوقات واجمة وأحياء ذات حياة هائمة إلى جواهر وذرات دقيقة في صنعها منتظمة في نوعها ، ضمت أسراراً في عوالمها خارقة وقوانين في كوامنها عالقة وفي جميعها منتظم قرقراره أو مختلف علا نقاره أو اندلع شراره ، فالعدالة في كل محيط سر القرار والاستقرار وبدونها الصراع والشجار ، حتى لترى الصراع يقوم في جسم الأحياء متى اختلت أنظمتها في الشراب والطعام واليقظة والمنام والصمت والكلام وهو دليل فقدان العدالة في إحدى مسالكها ومعالمها وتهب العواصف القاصفة والسيول الجارفة وتنفجر البراكين المحرقة والزلازل المنهكة وتفد البلايا النازلة

والمنايا الهائلة كل منها حينما تختل أصول العدالة في موازينها الفطرية وأنظمتها السرية .

وحتى تجد الشرع يتهم الشرك بالظلم العظيم^(١) لأن الوحدانية شرط أعلى من شروط العدالة والاعتدال الكوني الصادر من مبدع ومشرع قدير واحد لا سواه ، لا تتضارب أحكامه وأفعاله ، ولا تختلف أعماله وأقواله ما دامت منصاعة لنظمه ، وحافضة لحرمة ، لها قوانينها وأنظمتها في الوصال والائتلاف أو الجفوة والاختلاف . في الأولى تتجلى أسس عدالته بالقرار والأمان ، وفي الثانية تنكشف حقائق مخالفه بالعسف والهوان للشجار والعصيان . أعطى كل نفس عقلاً هادياً في مختاراتها ، فهي آمنة ما قرّت لها فيها العدالة الحكيمة ، وقلقة ما زلت عنها فيها الضلالة والأدواء مقيمة ، فالعدالة في كل شيء ميزان ومقياس ينتظم به الكون في أجزاءه ومركباته اعتدالاً ، وفي ماديّاته ومعنوياته كمالاً ، فهي السبيل الهادي لذوات العقول ، والدليل المثير في ذوات الغرائز والميول ، فإن أخلّت بموازنتها زيادة أو نقصاناً اعتلت ، وإن قصرت عنها وأعرضت اختلت ، خذ الإنسان مثلاً في طعامه وشرابه وذهابه وإيابه وراحته وأتعبه مادية كانت أو معنوية ، يفقد اعتداله ويقلق باله متى أخلّ بمقاييس نظام بدنه القائم مريداً بالزيادة أو النقصان ، أو داهمته عوارض خارجة عن إرادته كانت علّة الأدواء والغثيان ، لا يقر إلا بالعودة للاعتدال وإعادة الموازنة المفقودة بالضم ، أو التفريق ، وإقامة العدالة والقانون الفطري للنهج السوي من الطريق . فالعدالة حكمها جار فطرياً ، والعدالة شرط للحياة السعيدة للبشر ، يحد بميزانها الجفوة المتنازون والجنة المتجاوزون ، ويعاد الحق إلى نصابه والاعتدال إلى قرابه ، فيجد المحسن والمسيء جزاءه وحسابه .

تلك هي العدالة ، البادئة بوحدة الله وكماله ، والقائمة من الأزل إلى

(١) سورة لقمان الآية: ١٢ : ﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾ .

الأبد معه في مشيئته وأفعاله ، ومنه أعطى للإنسان عقلاً واعياً هادياً^(١) جعله بصيراً حكيماً وأعطاه ذوقاً سليماً ، وإحساس وحواس يميز بها بين الحسن والقبيح ، والحق والباطل ، يحاسب على مختارها فيما كان له حق الخيار ، وانحرف عن الصراط السوي بدون أعذار ، فجنى بها على نفسه أو غيره ، مخلاً بتلك العدالة الإلهية ، مأخوذاً بعقله وقلبه ومحاسباً على قدر إيجابه وسلبه جزاءً دنيوياً يختلف جزاءه ويتنوع دواءه ، فتارة تراه يصيب الاعتداء اعتلاً بدنياً ، أو داءاً عقلياً ، ينال منه الفرد آلاماً تعتوره شدة وضعفاً ، ويختلف شقاه أمداً يصاب به فطرياً قصاصاً طبيعياً ، أو يلقي من المجتمع تائباً ينزل به قدره ، ويختل في المجتمع أمره ، أو يصاب بنكبة مداهمه وعارضه مهاجمه أو يؤخذ بالقصاص أمام القضاء ، وينزل به الجزاء بماله أو بدنه ، أو يكون جزاءه أخروياً^(٢) بالثواب للحسنات والعقاب للسيئات ، وهذا الأخير هو أحد الأصول للعدل الإلهي لإقامة يوم البعث ، يوم الجزاء الأخروي .

وكان لأصول العدالة والأمر بها في كتاب الله^(٣) وسنته ، آيات مجيدة وسنن فريدة ، ومنها :

(١) ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾ سورة الدهر/٣ ، وقوله تعالى في سورة البلد الآية : ١٠ : ﴿وهديناه النجدين﴾ .

(٢) انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض : ﴿وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾ سورة الإسراء/٢٢ .

(٣) سورة النساء/٥٧ ، و١٣٤ منه : ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل...﴾ الخ . و : ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ .

قال (ص) في (٩٥١) إنما يدرك الخير كله بالعقل ولا دين لمن لا عقل له ، فإذا العقل إحدى الأصول في الحياة .

.....

= عن القاضي : إذا ابتلى أحدكم بالقضاء بين المسلمين فلا يقضي وهو غضبان وليسوا بينهم في النظر والمجلس والإشارة (١٢٥) .

(٥٧٧) إن أحب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله تعالى وأبعدهم منه إمام جائر .

(٤٨٧) الله مع القاضي ما لم يجز فإذا جار تخلى الله عنه ولزمه الشيطان .

(٧٣٢) إن الله مع القاضي ما لم يحف (يظلم) عمداً .

(١٨٠١) شرار امتي من يلي القضاء ، ان اشتبه عليه لم يشاور ، وإن أصاب بطر ، وإن غضب عتف ، وكاتب السوء كالعامل به .

(٢٠٦٦) قاضيان في النار وقاضٍ في الجنة ، قاضٍ عرف الحق فقضى به فهو في الجنة ، وقاضٍ عرف الحق فجار متعمداً ، أو قضى بغير علم فهو في النار .

(٢٢٢٤) لسان القاضي بين طريقين إما إلى جنة وإما إلى نار .

(٢٣٦٣) ليأتين على القاضي العادل يوم القيامة ساعة يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في ثمرة قط .

(٢٦٩٠) ما من قاضٍ من قضاة المسلمين إلا ومعه ملكاً يسلمانه إلى الحق ، ما لم يرد غيره ، فإن أراد غيره وجار متعمداً تبرأ منه الملكان ووكلاه إلى نفسه .

(٢٧٧٥) من كلم بين اثنين تحكماً إليه فلم يقضي بينهما بالحق فعليه لعنة الله .

تحاكما

(٤٩٨٨) من ابتلى بالقضاء بين المسلمين فليعدل بينهم من لحظته وإشارته ومجلسه .

(٤٩٨٩) من ابتلى بالقضاء بين المسلمين فلا يرفع صوته على أحد الخصمين إلا برفع على الآخر .

(٢٠٠) إذا حكمتهم فأعدلوا وإذا قلتم فأحسنوا فإن الله محسن يحب المحسنين .

(٦٦٤) إن القاضي العدل ليجاء به يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى أن لا يكون قضى بين اثنين في ثمرة (ذلك بنظري أن تغطرس وقد عل في حكمه) .

(٩٤٣) إنما أهلك الذين من قبلكم انهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد .

=

.....
= قال الإمام علي عليه السلام في القضاء : هذا مجلس لا يجلسه إلا نبي أو وصي نبي أو شقي من الأشقياء « نهج البلاغة » .

(٥٨٧) إن أخوف ما أخاف على امتي الأئمة المضلون .

(١٠٢٧) أيما راع غش رعيته فهو في النار .

(١٢٨) وقال رسول الله (ص) : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته .

(١٠٢٩) أيما رجل استعمل رجلاً على عشرة أنفس علم أن في العشرة أفضل

ممن استعمل فقد غش الله وغش رسوله وغش جماعة المسلمين (راجع الخلفاء) .

قال الله تعالى في سورة المائدة/١١ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ، وقال في سورة النحل/٧٨ : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ، و٩٢ منه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ، وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ . ومن سورة الحجرات/٩ : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَمَا تَلَوَا الَّتِي تُبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ .

ومما جاء عن رسول الله (ص) في العدل (من نهج الفصاحة) :

(١٩١٠) قال (ص) : طوبى لمن ترك الجهل وأتى الفضل وعمل بالعدل . .

وقال (ص) في (١٩٣٦) منه : عدل ساعة خير من عبادة سنة .

وقال (ص) في (٢٠٠٦) : العدل حسن ولكن في الأمراء أحسن ، والسخاء

حسن ولكن في الأغنياء أحسن ، والورع حسن ولكن في العلماء أحسن ، والتوبة حسنة

ولكن في الشباب أحسن ، والحياء حسن ولكن من النساء أحسن .

وقال (ص) في (١٢٠٠) إذا حكمتم فاعدلوا وإن قلتم فأحسنوا ، فإن الله محسن

يحب المحسنين .

وقال (ص) في (٧٥٤) ساووا بين أولادكم حتى في القبلة .

وقال (ص) في (١٢٩٠) ثلاث مهلكات وثلاث منجيات : فالمهلكات : شحّ =

.....
= مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه . والمنجيات : خشية الله في السر والعلانية ، والقصد في الغناء والفقر ، والعدل في الغضب والرضا .
(١٠٠٣) إِيَّاكَ ودعوة المظلوم وإن كان من كافر فإنه ليس لها حجاب من دون الله عز وجل .

في السلطان العادل :

(١٦٠) إن أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق ان نسي ذكره ، وإن ذكر أعانه .

وقال (ص) في (١٧٦) إذا استشاط السلطان تسلط الشيطان .

وقال (ص) في (١٢٢٣) ثلاث لا تحرم عليك أعراضهم : المجاهر بالفسق والإمام الجائر ، والمبتدع .

وفي (١٧٧٠) السلطان العادل ظل الله في الأرض فمن أكرمه أكرمه الله ومن أهانه أهانه الله .

وفي (١٧٧١) السلطان العادل ظل الله في الأرض ، فإذا رحل أحدكم بلداً ليس به سلطان عادل فلا يقيم

وفي (١٧٧٣) السلطان العادل ظل الله في الأرض يأوي إليه الضعيف ويتصبر به المظلوم .

وفي (١٧٧٢) السلطان العادل ظل الله في الأرض المتواضع ظل الله ورمحه في الأرض ، ويرفع له عمل سبعين صديقاً .

(٢٥٦٣) ما من عبد يسترعيه الله رعية ثم يموت غاشياً لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة .

وفي (٢٧٦٢) من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو من كملت مرونته وظهرت عدالته ووجبت اخوته .

وفي الظلم : أخص في ظلم الراعي قال (ص) في نهج الفصاحة :

(١٠٢٥) أيما امرئ ولي من أمر المسلمين شيئاً لم يحطهم بما يُحَوِّطُ نفسه لم

يرح رائحة الجنة .

وفي (١٠٢٦) أيما راع دعى الى ضلالة فأتبع فإن عليه أوزار من أتبعه ولا ينقص =

٣ - يوم القيامة :

ذلك اليوم المشهود ، الذي يحشر الله الخلائق ، وفيه يجازيهم على الحسنات والسيئات ، وفيه يجدون العدالة الإلهية في أجلى مظاهرها من ثواب وعقاب .

قال الله في محكم كتابه : ٢٢ من سورة الإسراء (بني إسرائيل) : ﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ، وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ﴾ ، كما وردت آيات جمة وأحاديث نبوية كثيرة ، تعطي لذلك اليوم المشهود عظمة مهامه وجلال مقامه ، إنذاراً للمعتدين ، وبشارة للمتقين^(١) .

= من اوزارهم شيئاً ، وأيما داع دعى إلى هدى فاتبع فإنه له مثل أجور من التبعة ولا ينقص من أجورهم شيئاً .

وفي (١٠٢٩) أيما رجل استعمل رجلاً على عشرة أنفس علم أن في العشرة أفضل ممن استعمل فقد غش الله ورسوله وغش جماعة المسلمين .

(١٠٢٧) أيما راع غش رعيته فهو في النار .

وفي (١٠٢٨) أيما راع لم يرحم رعيته حرّم الله عليه الجنة .

وفي (١٠٣٠) و(١٠٣٨) أيما راع استرعى رعية فلم يحطها بالأمانة والنصيحة ضاقت عليه رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء .

وفي (١٠٣٩) أيما والٍ ولّى شيئاً من أمر أمتي فلم ينصح لهم ويجتهد لهم كنصيحته وجهده لنفسه كبه الله تعالى على وجهه يوم القيامة في النار .

(١) سورة البقرة، الآيات : ٤٥ و ١١٧ و ٢٥٥ و ٢٨١ قوله تعالى : ﴿ واتقوا يوماً

ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ ، وسورة آل

عمران ، الآيات : ٢٤ و ٢٨ : ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت... ﴾ الخ . . و ٩٠ منه :

﴿ ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد ﴾ ، و ١٠٥ منه :

﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه... ﴾ الخ . و ١٠٣ و ١٨٥ منه : ﴿ كل نفس ذائقة

الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة... ﴾ الخ . و ١٩٤ منه : ﴿ ربنا وآتانا ما

وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ﴾ .

.....

= وسورة النساء/ ١٣٥ ، والأنعام/ ٦ : ﴿... ليجمعنكم يوم القيامة...﴾ الخ .
 و٣٦ و٣٨ و٥١ و٦٠ و١٢٨ منه : ﴿ويوم يحشرهم جميعاً...﴾ الخ . و١٣٠ و١٣٤ ،
 وسورة الأعراف/ ٥ و٦ و٨ و٥٥ منه ، ويونس/ ٤٦ و٥٦ منه ، وهود/ ١٠٤ و١٠٧ ،
 والرعد/ ٥ ، والنحل/ ٢١ و٧٩ و٨٦ منه ، والإسراء (بني إسرائيل) ١١ و١٢ و١٤ و٥٤
 و٧٣ منه ، والكهف/ ٤٥ و٤٦ و٤٧ و٩٩ و١٠٠ و١٠١ ، ومريم/ ٩٦ ، وطه/ ١٠٢ -
 ١١٠ ، والأنبياء/ ٤٨ ، والحجج / ١ - ٧ ، والمؤمنون ١٦ ﴿ثم إنكم يوم القيامة
 تبعثون﴾ ، الأحزاب/ ٦٣ ، وسبأ / ٣ و٢٨ و٢٩ ، والصفات ١٦ - ٢٤ ، والزمر ٦٧
 و٦٨ ، والمؤمن ٦١ ، وفصلت ١٨ - ٢٢ ، وشورى ١٧ و١٨ و٤٦ ، والدخان/ ٤ ،
 والجاثية / ٢٦ ، وق/ ١٩ ، والقمر/ ١ - ١١ والواقعة/ ١ - ١١ ، والتغابن / ٧ و٩ ،
 والمدثر/ ٤٧ - ٤٩ ، والقيامة/ ١ - ١٥ ، والمرسلات/ ١ - ٥٠ ، والنبأ/ ١٧ و١٨ ،
 وانفطار/ ١ - ١٩ ، والمطففين/ ١ - ٢١ ، والانشقاق/ ١ - ٢٥ ، الغاشية/ ١ و١١
 و٢٥ و٢٦ ، والفجر/ ٢٢ - ٣٠ ، والزلزال/ ١ - ٨ ، والعاديات/ ١ - ١١ ، والقارعة/ ١
 إلى ٨ .

قال رسول الله (ص) في نهج الفصاحة :

(٥٧٧) إن أحب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً إمام
 عادل ، وأبغض الناس إلى الله تعالى وأبعدهم منه إمام جائر .

جاء عن رسول الله (ص) في نهج الفصاحة عن يوم القيامة (٦٥٠) إن العار ليلزم
 المرء يوم القيامة حتى يقول : يا رب لإرسالك لي في النار أيسر على مما ألقى وأنه
 ليعلم ما فيها من شدة العذاب .

(٩٨١) أول ما يقضي بين الناس يوم القيامة في الدماء .

وقال (ص) في (١٨١٠) شر الأمور محدثاتها ، وشر العمى عمى القلب ، وشر
 المعذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة . وشر المأكل أكل اليتيم ، وشر
 المكاسب كسب الرباء .

وفي (١٨١٣) شر الناس يوم القيامة من يخاف لسانه أو يخاف شره .

وفي (٢٢١٧) ليردّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد المشاة الجلحاء من
 المشاة القرناء تنطحها (إذا كانت تعي طبعاً) .
 =

ويوم القيامة إنما هو اليوم الذي تتجلى فيه العدالة الإلهية بأجلى معابيرها ومظاهرها ، ﴿ ثم توفى كل نفس ما كسبت ﴾ .

٤ - النبوة : وما النبي محمد (ص) إلا بشر أكرمه الله برسالته إلى الجن والإنس كافة ، شاهداً ومبشراً ونذيراً ، كما أكرمه بالولاية أكرم من يخلفه من بعده من المؤمنين من أسبقهم إيماناً وأتقاهم وأعلمهم وأقضاهم ، وأطهرهم وأزكاهم ، دعماً لعدله ، وإرفاقاً لعباده ، وإرشاداً لخلقه ، ومعونة للعقلاء ، وتذكرة للغافلين ، ذلك هو علي والأئمة من عترة الرسول (ص) .

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم القرآن : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ إنما إلهم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ الكهف/ ١١٠ ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ الأحزاب/ ٤٤ و٤٥ ، وسورة البقرة/ ١١٣ و٢٥٣ ، وسورة النحل/ ٩١ : ﴿ ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء... ﴾ الخ ..

وقوله تعالى : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ ، وقد ثبت أن الله يقصد بعد الله ورسوله علياً في كتابه الكريم ، وقوله لعلي : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، وقول (ص) : أنا مدينة العلم وعلي

= وفي (٢١٧٥) كل نفس تخسر على هداها فمن هوى الكفرة فهو مع الكفرة ولا ينقصه عمله شيء .

وفي (٢٢٦٤) لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به .

وفي (٢٦٧٠) ما من دابة طائر ولا غيره يقتل بدون حق إلا سخره يوم القيامة .

(٣٢٠٧) يبعث الناس يوم القيامة على نياتهم .

بابها ، ونصه عليه بالخلافة ، أخص يوم غدیر خم ، ولقد فرض الله بعد كتابه ما سنه لهم رسول الله قولاً وعملاً ، وفي سلسلة من الآيات جاءت في مختلف السور^(١) .

(١) سورة آل عمران/ ٢٩ : ﴿ قل أطيعوا الله والرسول فإن تولّوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ ، هو٣٢ منه : ﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾ .

النساء/ ٦٢ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ .

الأنفال/ ٤٦ : ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا... ﴾ الخ .
محمد/ ٣٥ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ﴾ .

الحشر/ ٧ : ﴿ وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ .

النجم/ ٣- ٤ : ﴿ وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى ﴾ .
الأحزاب/ ٦ : ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم... ﴾ الخ... ٣٦ منه : ﴿ وما كان لمؤمن أو مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ﴾ ، و٧١ منه : ﴿ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ ، و٥٧ منه : ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً ﴾ .

الجن/ ٢٣ : ﴿ ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالداً فيها أبداً ﴾ .
النساء/ ٦١ : ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً ﴾ ، و٧١ منه : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ﴾ ، و٨٢ منه : ﴿ ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيفاً ﴾ .

الأعراف/ ١٥٦ : ﴿ الذين يتبعون الرسول الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم =

فكان كتاب الله وسنة رسوله في الأقوال والأعمال خير أسس اجتماعية من سلوك وسيرة صالحة من المعاملات والمجاملات والحياة العلمية والعملية ، والقواعد والأصول في مختلف شؤون الحياة المؤدية بهم إلى السعادة مادة ومعنى ، من أوامر ونواهي من محبوب ومنفور ومندوب ومحذور ، ومن مؤتلف ومختلف ، ولقد كان رسول الله (ص) في الحياة خير هادٍ وقدوة صالحة ومعلم حكيم حلیم وقدير هميم^(١) رؤوف رحيم ، بلغ بمكارم الأخلاق الدرجات العلى حيث مدحه الله عز وجل في كتابه المجيد بقوله : ﴿وإنك لعلی خلق عظیم﴾ حتى نجده يشيد إشارة متناهية بمكارم الأخلاق فيقول مركزاً شريعته عليها^(٢) .

وإن الدين الذي أتى به إنما هو لإتمام مكارم الأخلاق ، وإن شريعته هي الشريعة السمحاء^(٣) . وهذا الدين دين الإسلام ، فقد قام على الوحدة الكلية الكاملة التي بشر بها نبي الإسلام محمد (ص) ، فكان هو بعد وحدانية الله أحد أصولها لأنه الشاهد والبشير والناذير ، والدليل الهادي إلى الجنة^(٤) ، والذي قرن الله ولايته على الخلق بعد ولايته عز وجل ، وقد

= عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم... الخ . ١٨٨ منه .
التوبة/ ٦٠ : ﴿والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾ ، و٦٢ منه :
﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالداً...﴾ الخ .
المجادلة/ ٤ : ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله كتبوا... وللکافرين عذاب أليم﴾ ، و٢١ منه : ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين﴾ .
(١) قال (ص) : (٧٢٥) : إن الله لم يبعثني معتاً ولا متعتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً .
(٢) قال (ص) : (٩٤٤) : إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق .
(٣) قال (ص) : (١٠٩٢) : بعثت بالحقيقة السمحة ومن خالف سبتي فليس مني .
(٤) قال (ص) : «ثلاثة من قالها دخل الجنة : من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً ، والرابعة لها من الفضل كما بين السماء والأرض وهي الجهاد في سبيل الله عز وجل» .

وجدنا ما نزل في القرآن في كرامة رسول الله وحبه وطاعته والتحذير من عصيانه ومحاورته وآذاه ، وأشد العقاب على من يحارب الله ورسوله ، واللذين بذلك يسعون في الأرض فساداً ، فجزاءهم في الدنيا الصلب والقتل والنفي وفي الآخرة أشد العذاب ، لأن بمحاربة الله ومحاربة رسوله يكون بث الرذائل والظلم والجور والموبقات تلك التي جاء الإسلام لردمها ، وإقامة الفضيلة والعدالة والمساواة ، والبر والرأفة ، والحب والرفق ، كما كانت هذه القيم الإنسانية صريحة في كتاب الله وسنة رسوله^(١) .

٥ - خليفة رسول الله (ص)^(٢) : هذا الأصل الخامس يقره العقل

(١) ١١٠٨ قال (ص) : البركة في إطارنا فمن لم يرحم صغيرنا ويجل كبيرنا فليس منا ، وقوله (ص) في (٢٤١٤) : ليس منا من غش مسلماً أو ضره أو ماكره . وقال (ص) في (٢٩٢٢) : من غشنا فليس منا . المكر والخداع في النار .
(٢) قوله تعالى في آية الولاية : ﴿ إِنَّمَا وَلِيكُمُ اللَّهُ ۖ وَرَسُولُهُ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۚ الَّذِينَ يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ۝ ﴾ ، سورة المائدة ، الآية : ٥٤ و ٦١ .
والثالث يختص بها علي عليه السلام ، راجع بذلك حياة علي في موسوعتنا (المحاكمات) لترى الإسناد ، وآية الطهارة قال تعالى : ﴿ يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ۝ ﴾ سورة الأحزاب / ٣٣ . وهي آية الكساء وتخص الخمسة : محمد (ص) وعلي وفاطمة الزهراء والحسين (ع) ، وترى دلائلها في موسوعتنا كما سبق ، وآية المباهلة قوله تعالى : ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعو أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ۝ ﴾ آل عمران / ٦٠ ، وآية التبليغ قوله تعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين ۝ ﴾ المائدة / ٦٦ ، والآية ٣ من سورة المائدة ، آية الإكمال : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم ۝ ﴾ ، ففي آية الولاية أثبتت ولاية علي بعد رسول الله على المسلمين وأبدت ذلك الأحاديث المتواترة =

والكتاب والسُّنة ، ومن تقمصها قهراً باسم الاجماع فقد خالف الله ورسوله ، فالعدالة الإلهية التي قضت بإرسال الرسل لهداية البشر ، وتوجيههم إلى الصراط المستقيم عوناً للعاقل من ذوي الآراء ، وتذكراً للغافل الضال في الأهواء ، يقضي بإكمال رسالته للخلق بعد دعوة رسوله إليه كخليفة يعقبه ووصي ينصبه ، يؤوّل تنزيله ويوضح سبيله ، ممّن جلّله بالكرامة ، ورفع بعد رسوله مقامه ، فبدىء بذلك كتاب الله واضحاً في آياته ووصايا رسول الله مترادفة في ذاته وصفاته^(١) ، ممّن لم يسبقه للإيمان سابق ، ولم يجاريه في علمه وقضائه وتقواه وفضائله لاحق ، من أطهرهم وأزكاهم وأنبّلهم وأمضاهم وأقربهم للنبي (ص) ، وأذكاهم وأشجعهم وأولاهم ، نفس رسول الله ، وزوج ابنته الطاهرة الزهراء وأبو عترته ممّن جمعتهم آية الكساء وآية الطّهارة ، ومن تجمعت فيه مؤهلات الزعامة العادلة الطبيعية ، وخصائص الإمام الخفية والجلية أبو الأئمة الهداة والمنتخب الأوحّد من الله ورسوله ومن أجمعت عليه الأمة في المعضلات ، وكفرت به الغلاة^(٢) والقلالة وخاصمه كل كافر ومنافق من البغاة^(٣) .

= من السنة والشيعة ، والآيتين الأخيرتين وهي آية التبليغ والإكمال ، وهاتان نزلت في غدير خم للتبليغ يأمر بها رسول الله (ص) لنصب علي خليفة وولياً للمؤمنين بعده ، وبعد نصبه فنزلت آية الإكمال في إتمام الدين ، راجع الأسناد المثبتة العقلية والنقلية في إمامة علي بعد رسول الله وإمامة أولاده الاحد عشر بعده وإثباتها في الكتابين من حياة علي من موسوعتنا موسوعة المحاكمات أخص في غدير خم .

(١) جاء في الكتابين أعلاه من موسوعتنا أوامر رسول الله في اتباع علي منها : حديث الثقلين وحديث المنزلة ، وحديث الطير ، وحديث السفينة وغيرها كثير .

(٢) قول رسول الله (ص) لعلي : يا علي هلك فيك اثنان محب مغال ومبغض مقال .

(٣) قوله (ص) لعلي عليه السلام . يا علي لا يكرهك إلا منافق (وفي رواية كافر) ولا يحك إلا مؤمن ، راجع موسوعتنا الولاية والمحاكمات ، هذا وقد وجدنا علياً ينتخب بإجماع الأمة خلاف غيره .

ولقد نزلت الآيات الجمة في رسول الله (ص) وما أمر ونهى ،
ووجوب اتباعه كوجوب الكتاب ، فالآيات التالية وغيرها تثبت ذلك : قوله
تعالى : ﴿ وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ ، وقوله
تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ وقد مرّت في أصل
النبوة (الأصل ٤) .

كما أن هناك آيات وأحاديث نبوية تثبت أن عترة رسول الله (ص)
أخص منهم الحسين والأئمة من بعدهم هم أولي الأمر الذين أمرنا الله
ورسوله باتباعهم يثبت ذلك كما مرّ في آية الطّهارة (آية الكساء) وحديث
الكساء قد مرّ ذكرها ، وآية المباهلة والأحاديث ، أخص منها حديث
الثقلين قوله (ص) : إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما
إن تمسكتم بهما فلا تضلوا . وحديث السفينة ، قوله (ص) : مثل أهل
بيتي كمثّل سفينة نوح من ركبها نجي ومن تخلف عنها غرق وهناك أحاديث
جمّة أخرى مثبتة ، راجع بها موسوعتنا موسوعة الولاية والمحاكمات ،
أخص الجزأين في أمير المؤمنين علي (ع) ترى فيها الأحاديث بإسنادها ،
وعلي وبنيه من أصدق وأزكى وأعلم وأتقى أفراد الأمة بعد رسول الله
(ص) .

وهناك التاريخ وهناك العقل والمنطق يحكم بأن الرائد لا يكذب أهله
وإن سلالة النبوة العلماء المتقون أحق وأحرى بالولاية والإمامة ، وهم أحق
وأعلم بحقائق الأحاديث والسنة التي منع تدوينها الخلفاء الثلاثة أبو بكر
(رض) وعمر (رض) وعثمان (رض) ، وأعقب ذلك العهد الأموي الذي
افتتحه معاوية ألد أعداء أهل البيت ، والذي أدخل وأخرج من الأحاديث
والروايات ووضع وزيف وغير وبدل وقد اشترى من بعض الصحابة
والتابعين من رجال ونساء ضمائرهم ودينهم ووضع عشرات الآلاف من
الأحاديث والروايات الكاذبة حتى عهد عمر بن عبدالعزيز الخليفة الأموي ،
ومن المؤسف دُونَ كلما أدخله وزيفه عهد معاوية فسبب المذاهب .

راجع الاسناد في موسوعتنا المحاكمات^(١) حتى لتجد المذاهب والفرق في الدين الإسلامي القائم على الكتاب والسنة بسبب ما أدخل ووضع في تفسير مجمل الكتاب في العهد الأموي المعادي لآل بيت الرسالة ، بل الدين الإسلامي الحنيف ، وما دس وزيف وغير من أحاديث لرسول الله (ص) حتى إذا جاء العهد العباسي العدو الثاني لآل بيت رسول الله وآل علي المرتضى ، فدون الموضوعات من العهد الأموي ، ويكفي ما فعله خلفاء بني أمية وبني العباس في المطاردة والقتل والتعذيب بآل البيت وتابعيهم لاختفاء الحقائق ، ورغم ذلك فقد حرص الأئمة من نسل رسول الله ومن علي وفاطمة وصحابته على تدوين السنة الحقيقية وتفسير القرآن الصحيح ، وبقت أكثر الأمة جاهلة وتابعة لملوكهم المئات من السنين وسائرة على نهج أئمة الضلال التابعين للملوك والخلفاء الغاصبين الغانمين ، قد انطبعوا على الباطل المزيف وتابعوا هوى الخلفاء إلا من استمر يستقي أخبار وأحاديث الرسالة وتفسير وتأويل الكتاب من مصادر واقعية حرصت عليها النخبة من آل البيت من آل الرسول ، وأفضل الصحابة التابعين .

ونحن إذا راجعنا بدقة وحكمنا المنطق السليم ووقائع التاريخ أدركنا الحقائق ووجدنا أن كلما نقل من آل البيت أقرب انطباقاً للمنطق والمعقول ، وأخص وإن العلم والتقوى من أجل ما يجب أن تتبع ، فالولاية في الإسلام لله ولرسوله ولعلي وبنيه نصاً ومنطقاً ، ويحكم الكتاب والسنة ، وإن العلماء المتخصصين في الفقه والأصول الإسلامي الحريصين عليه ذاتاً لا بالاغراء من تطميع وتخويف أحق أن يتبعوا وأن التقوى بعد العلم وأصول العدالة من أهم ما يجب التمسك به^(٢) .

(١) راجع الأسناد في الجزأين : (مقدمة من مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول) بجزئيه للحجة العلامة المحقق السيد مرتضى العسكري .

(٢) كما أشار إليه كتب السنة والجماعة وما جاء بإسناده فقهاء أهل البيت .

وإن الخلافة الإسلامية والزعامة السياسية والدينية في الإسلام يجب أن تسير كما كانت على عهد رسول الله ، وأنه أولى الجميع بالزعامة هم الحاملين للفقہ والأصول الإسلامية العالمين العادلين المتقين ، هؤلاء يجب على الأمة اتباعهم ، وإن النخبة منهم هم الذين ينتخبون الأعلام والأتقى والأليق للإدارة والأشجع ، وأن يستمر ذلك إلى الأبد ، وأن يكون هذا المنتخب دوماً قدوة ومتبعاً ومسنداً من أعلم علماء الأمة والخاصة والعامّة والسير حثيثاً كما كان في عهد رسول الله (ص) في قبضته كل السلطات، يؤيده من حوله باسم الشورى أجلّ العلماء المتقون والأخصائيون في بقية الشؤون ، ذلك لإقامة حكومة إسلامية واقعية قانونها الأساسي يرتكز على الكتاب والسنة والاجتهاد العادل المستدل المستبين منها في كل فرع يقوم على كاهل العلم والعلماء ذوي التقوى ، وأن تكون الزعامة دائماً منتخبة حسب الأصول الشرعية بانتخاب الأعلام الأتقى والأقدر على إدارة الأمور القائم على مشورة ذوي الخبرة والتجربة في كافة الشؤون العلمية والعملية التي تحتاجه الأمة على قوله تعالى : ﴿ واسألوا أهل الذكر... ﴾ الخ . وأن تكون العدالة والمساواة والبر والإحسان والمحبة ومكارم الأخلاق من خصائص هذه الزمرة وزعيمها فهو الأب وأفراد الشعب بنيه وإخوته يغار عليهم ويجاهد في سبيلهم ويصغي إلى مطالبهم فهو سيدهم حقاً وخادمهم في الكبيرة والصغيرة^(١) ، وسوف نذكر فيما يلي خلاصة فيما جاء .

الحكومة الإسلامية :

يلزم لولي الأمر الفقيه العلم والعدالة على حد قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، قوله^(٢) : —

(١) كما مر وذكرته في موسوعة المحاكمات في كتاب أبي بكر حول أولي الأمر ، ووجوب تدوين السنة النبوية .
(٢) كما ورد في نهج البلاغة .

« اللهم إني أول من أناب وسمع وأجاب ، لم يسبقني إلا رسول الله (ص) بالصلاة ، وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل ، ولا الجاهل ، فيضلُّهم بجهله ، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بينها دون المقاصد ، ولا المعطل للسنَّة^(١) فيهلك الأمة » . وما جاء في نهج البلاغة أخص عهد مالك الأشتر^(٢)

الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا : قيل : يا رسول الله ودخولهم في الدنيا قال اتباع السلطان : فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم .

وأخرى في الكافي عن جعفر بن محمد الصادق حفيد رسول الله (ص) قال : قال رسول الله (ص) : الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا ، قيل : يا رسول الله ودخولهم في الدنيا؟ قال : اتباع السلطان فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم » .

ومعنى أمناء الرسل في اجراء القوانين وقيادة الجيوش وإدارة الجامعة والدفاع عن الوطن والمحكمة والقضاء .

قال علي عليه السلام لشريح القاضي : يا شريح ! قد جلست مجلساً لا يجلسه إلا نبيُّ أو وصي نبي أو شقي^(٣) .

(١) وقد عطل تدوين السنة الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) حتى جاء معاوية وأدخل وأخرج ووضع وزيف مما سبب الفرق والمذاهب وضياع الحقائق وفي مقدمة المحرفين أبو هريرة الذي رفعوا مقامه وطهروا ضريحه (راجع كتاب شيخ المضيرة - أبو هريرة - للعلامة المصري أبو رية) وكان سبب كل ذلك تعطيل الخلفاء لتدوين السنة والأحاديث النبوية .

(٢) راجع عهد مالك الأشتر ووصايا الإمام علي لمالك الأشتر يوم ولاء مصر .

(٣) جاء في وسائل الشيعة ، كتاب القضاء ، الباب الثالث ، الحديث الثاني ، وفي « من لا يحضره الفقيه ج ٣ ، ص ٤ ، رواه مرسلًا .

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام حفيد الرسالة ، وأعلم أهل زمانه في الفقه وأتقاهم قال : اتقوا الحكومة فإن الحكومة إنما هي للإمام العالم بالقضاء العادل في المسلمين لنبي أو وصي نبي^(١) .

والآيتين : —

١ — ﴿ إِنْ أَمَرَ كُمْ أَنْ تَأْتُوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعْظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ .

٢ — ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ^(٢) فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ نساء ٥٨ و ٥٩ ، و ٦٣ منه قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ . . ﴾ .

وعن محمد بن حسن بإسناده ، عن محمد بن علي بن محبوب ، عن أحمد بن محمد ، عن حسين بن سعيد ، عن أبي الجهم ، عن أبي خديجة ، قال : بعثني أبو عبد الله عليه السلام إلى أحد أصحابنا فقال : قل لهم : إياكم إذا وقعت بينكم الخصومة أو ترادى في شيء من الأخذ والعطاء أن تحاكموا إلى أحد من هؤلاء الفساق ، اجعلوا بينكم رجلاً قد عرف حلالنا وحرامنا فإني جعلته عليكم قاضياً وإياكم أن يخاصم بعضكم بعضاً إلى السلطان الجائر » .

وعن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى ، عن

(١) كما رواه الصدوق بإسناده .

(٢) كما جاء في آية الولاية : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ .

محمد بن خالد ، عن أبي البحتري ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال :
« إن العلماء ورثة الأنبياء »^(١) ، وذلك ان الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً
وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حقاً
وافراً ، فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه ، فإن فينا أهل البيت في كل
خلفٍ عدولاً ينفون عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل
الجاهلين .

وقال عليه السلام : من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به
طريقاً إلى الجنة .

نقل في عوائد النراقي عن الفقه الرضوي : « منزلة الفقيه في هذا
الوقت منزلة الأنبياء في بني إسرائيل » .

وعنه أيضاً نقل عن جامع الأخبار ، عن رسول الله (ص) قال :
افتخر يوم القيامة بعلماء امتي وعلماء امتي كسائر أنبياء قبلي .

وجاء في المستدرک عن غرر قوله : العلماء حكام على الناس .
وعن تحف العقول : تحت عنوان مجاري الأمور والأحكام على أيدي
العلماء . ذكر عن سيد الشهداء الحسين عن أبيه علي عليه السلام أوله
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . والقسم الآخر عن الحسين عليه
السلام أورده فيما شرح فيه علة جهاده ضد بني امية قوله :

« اعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به أوليائه عن سوء ثنائه على
الأخيار إذ يقول : ﴿ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم
وأكلهم السحت لبئسما كانوا يصنعون ﴾ المائدة ٦٣ و ٨١ و ٤٧ . وقال :
﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل ﴾ إلى قوله : ﴿ لبئسما كانوا
يفعلون ﴾ ، وإنما عاب الله ذلك عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين
بين أظهرهم المنكر والفساد ، فلا ينهونهم عن ذلك رغبة فيما كانوا ينالون

(١) الوسائل : ١٨/١٠٠ الرواية ٦ الكافي ٣٢/١ .

منهم ورهبة مما يحذرون والله يقول : ﴿ فلا تخشوا الناس واخشوني ﴾ .
وقال : ﴿ المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ﴾ التوبة/ ٧٢ .

فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه لعلمه بأنها
إذا أديت وأقيمت استقامت الفرائض كلها حينها وصعبها . وذلك أن الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام مع رد المظالم ومخالفة
الظالم وقسمة الفيء والغنائم وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في
حقها .

« ثم أنتم أيتها العصابة عصابة بالعلم مشهورة ، وبالخير مذكورة ،
وبالنصيحة معروفة ، وبالله في أنفس الناس مهابة ، يهابكم الشريف
ويكرمكم الضعيف ، ويؤثركم من لا فضل لكم عليه ، ولا يد لكم عنده
تشفعون في الحوائج إذا امتنعت عن طلبها ، وتمشون في الطريق بهيبة
الملوك ، وكرامة الأكابر ، أليس كل ذلك إنما نلتموه بما يرجى عندكم من
القيام بحق الله ، وإن كنتم عن أكثر حقه تبصرون ، فاستخففتكم بحق
الامة . فأما حق الضعفاء فضيعتكم ، وأما حقكم بزعمكم فطلبتكم ، فلا مالاً
بذلتموه ، ولا نفساً خاطرتكم بها للدين خلقها ، ولا عشيرة عاديتكموه في
ذات الله ، أنتم تتمنون على الله جنّته ومجاورة رسله وأماناً من عذابه ، لقد
خشيت عليكم أيها المتمنون على الله أن تحل بكم نقمة من نقمائه لأنكم
بلغتم من كرامة امة الله منزلة فضلتكم بها ومن يعرف بالله لا تكرمون ،
وأنتم بالله في عباده تكرمون .

وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفزعون وأنتم لبعض ذمم آبائكم
تفزعون ، وذمة رسول الله (ص) محقورة والعي والبكم والزنى في المدائن
مهملة لا ترحمون ولا في منزلتكم تعملون ولا فيها تعنون ، وبالأدهان
والمصانعة عند الظلمة تأمنون . كل ذلك مما أمركم الله به من النهي
والتناهي وأنتم عنه غافلون ، وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه في

منازل العلماء لو كنتم تسعون . ذلك بأن مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه ، فأنتم مسلوبون تلك المنزلة ، وما سلبتم ذلك إلا بتفرقكم عن الحق واختلافكم في السنة بعد النية الواضحة ، ولو صبرتم على الأذى ، وتحملتكم المؤونة في ذات الله ، كانت أمور الله عليكم ترد وعنكم تصدر وإليكم ترجع ، ولكنكم مكتم الظلمة من منزلتكم واستسلمتم أمور الله في أيديهم ، يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات ، سلطهم على ذلك قراركم في الموت واعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم ، ما سلمتم الضعفاء في أيديهم ، فمن بين مستعبد مقهور وبين مستضعف على معيشتهم مغلوب ، يتقلبون في الملة بآرائهم ويستشعرون الخزي بأهوائهم ، اقتداءً بالأشرار وجرأة على الجبار ، في كل بلد منهم على منبره خطيب يصنع ، فالأرض شاغرة وأيديهم فيها مبسوطة ، والناس لهم خول ، لا يدفعون بدلاً من فيء بين جبار عنيد ، وذئ سطة على الضعفة شديد ، مطاع لا يبرق المبدئ المعيد ، فيا عجباً وما لي لا أعجب والأرض من غاشٍ غشوش ، ومتصدق ظلوم ، وعامل على المؤمنين بهم غير رحيم ، فالله الحاكم فيما فيه تفازعنا ، والقاضي بحكمه فيما شجر بيننا اللهم إنك تعلم انه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان ، ولا التماساً في فضول الحكم ، ولكن نرى المعالم من دينك ونظر الاصلاح في بلادك ، ويأمن المظلومون من عبادك ويعمل بفرائضك وستك وأحكامك ، فإنكم تنصروننا وتنصفونا قوى الظلمة عليكم ، ومن عملوا في اطفاء نور نبيكم ، وحسبنا الله وعليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير»^(١) .

وقال : « إذا ظهرت البدع فللعالم أن يظهر علمه وإلا فعليه لعنة الله » .

(١) تحف العقول : حسن بن علي بن شعبة الحراني محدث القرن الرابع الهجري ص ٢٣٧ وراجع موسوعتنا الولاية والمحاکمات المجلد الثالث والرابع .

أولي الأمر : كما جاءت به الآية الشريفة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ سورة النساء ، الآية : ٥٨ و ٥٩ ، ومثلها آية الولاية : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ وثبت أن الولاية بعد الله ورسوله إنما هي لعلي بحكم هذه الآية (١) .

فمن هم أولي الأمر ، وقد تحدثنا فيما مرّ عن الكتاب والسنة وعدم جواز التحاكم إلى الظلمة في قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل ما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ﴾ فمن هو الطاغوت سوى أمراء الجور فهم وإن تغلبوا على الحكم فليسوا حسب الآية أعلاه من أولي الأمر الذين فرض الله طاعتهم وولايتهم .

ونحن إذا دققنا في الكتاب والسنة النبوية والغاية التي أرسل بها أولوا العزم هو أن تسود العدالة بين البشر ، وأن يحكم الناس خيارهم كما مر في صفة القاضي والحاكم باعتباره إما نبي أو وصي نبي ، والآية أعلاه تمنع التحاكم عند الطواغيت الظلمة الذين لا يحكمون بما أنزل الله : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ وفي أخرى هم الفاسقون ، وفي الثالثة هم الظالمون ، فكل القواعد والأصول الدينية

(١) راجع الآيتين ٥٨ و ٥٩ من سورة النساء : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ ، وقوله فردوه إلى الله : أي إلى كتاب الله وسنة رسوله وأولي الأمر الذين يتبعون ما أمر الله به وينهون عما نهى عنه . وأخص منهم من نص عليه رسول الله للولاية والخلافة بعده وما أشار إليه القرآن .

والوصايا من الله ورسوله تدل دلالة أكيدة أن أولي الأمر إنما هم خيرة الخلق من الناحية العلمية والتقوى المستكملين لشروط الدين للفصل العادل بين طبقات البشر وإدارتهم ، وهذا ما يحكم به العقل والفطرة ، وخلاف ذلك فلا يكون من أولي الأمر المفروضة طاعتهم إذ كيف يجوز اطاعة الكافر أو الفاسق أو الظالم المبيح محارم الله والعاصي لأوامر الله ، لمحض أن بيده السلطة الزمنية والمتغلب بالقهر والغلبة سواء تظاهر بالصلا ولم يعمل بها أو القسر والفساد ، فهو مبيح لشهواته الضالة ، وسيان عنده الفضيلة والرياسة ، ما دامت وسيلة تصيب أهدافه وتشد أحلافه ويدرك هواه ويبلغ ما نواه . وعليه تنطبق الآية : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ﴾ .

فولي الأمر بعد الله ورسوله هم أولو الأمر الذين نصبهم الله نصباً بالذات أو عناهم بالصفات ممن تجمعت فيه أصول الزعامة الدينية كما مر^(١) .

تلك كانت الأصول الإسلامية لأصل العقيدة الإسلامية المنبعثة من ذات الوجدانية وصفته العادلة القائمة عليها والمنبعثة منها كتاب الله وسنة رسوله ، كما نرى أصولاً كثيرة من أوامر ونواهي وأنظمة وحدود لشتى الشؤون الاجتماعية ، من علمية وفنية واقتصادية وصحية وإدارية وأخلاقية ونفسية ، تربوية وتهذيبية وتعليمية وطبيعية وفطرية ، وشتى مسالك الحياة الخاصة والعامة ترمي كلها للحياة السعيدة وشمول الرفاه والاعتدال واستتباب الأمن والسلام للفرد والجماعة ، واحترام نوااميس الحياة الطبيعية والاهتداء بالعقل الواعي وتنميته بالعلم والتجربة والاستفادة المشروعة المعتدلة من الغرائز القائمة في البدن دون افراط وتفريط ، واغراق وتثييط .

(١) راجع الجزأين الثالث والرابع من موسوعتنا (المحاكمات والولاية).

والاستعانة بأنظمة الكون وقوانين الحية الفطرية المشابهة وأخصها القائمة في بدن هذا الإنسان الحي^(١) من مخ ومخيخ وقلب ورئتين وكبد وكليتين ودورة دموية وأجهزة عصبية وهاضمة وحواس وعضلات وغيرها وآثارها في الجسم والروح ومكانتها وبعد أثرها وشرف مقامها وتعاون أجزائها بعضها لبعض دون أن تحمل في طياتها من الصفات الممقوتة من حسد وغيره ، وأنانية وكبر وتنكر وتغاير ، ونفاق وشقاق ، وخدع وتكالب ، وحرص وطمع بين أفرادها وجماعاتها ، أو قسوة أو انتقام وتشفي وعداء ، فلا ترى بينها اعتداء وظليمة فيلزم جزاء لظالم أتى بجريمته بل كلها دائبة بالسعي في وظائفها بحد سواء ، فإن وجدت قصوراً أو تجاوزاً فلعله طارئة وعارضة خاطئة يلزم علاجها أو عطب يلزم ترميمه ، وإن أقصيت حجية أو حجيرات فليس لقصاص أو اغيث أخرى لا لمحابة واختصاص ، بل كلها خدمة صادقة ومصالح سلامة الجسم مطابقة جزاؤها وثوابها الاعتدال في سيرها المنتظم وعقابها فيما يحصل لفرداها وجمعها من الإخلال والحق المهتضم ، ليست كآلة صماء غير ذات إحساس وروح ، لا بل لها إحساسها ومن فوق من يديرها ويرعاها في مصالحها الخاصة الفردية والعامّة الجماعية ، أحكمت مبانيها ونظمت مسالكها ومعانيها ، هذا المدير يستمد منها قوته ويحصل منها جذوته فإن قعست قعس وإن تعست تعس ، فإن استهان استهانت ، وإن توانا توانت ، وإن جد جدت أو شد شدت ، قد أحكم الرقيب الحكيم أجزائها وأتقن أعضائها وحدد أدوارها وأعمارها ، وقد راقبها وادبارها . ذلك مثل واحد من أنظمة الكون أقربها لنا يقوم

(١) ولقد تكلمنا في كتابنا الحكومة العالمية المثلى عما يحويه جسم الإنسان من حكومة عالمية مثلى أفرادها الحجيرات وتجمع في حكومتها بهذا البدن كل عناصر الحياة من مراكز الوعي والحركة والحس والشعور من ارادية وغير ارادية دائبة على عملها منظمة منسجمة لا يختل وزنها ولا يضطرب امنها إلا بمخل داخلي يخرجها من الاعتدال أو خارجي يؤدي بها إلى الإخلال ، وقد بدأنا خلاصة من القانون الأساسي الطبيعي في أوائل هذا الكتاب واتبعناه بالقانون الأساسي الإسلامي .

عليه أودنا وتستتر فيه عمدنا ونعود لنذكر أصولاً جديدة في شتى حياتنا من قانوننا الأساسي الكتاب والسنة مستعينين بذوي الذكر من الأئمة ونوابهم في رفع معضلاتنا على حد الآية الشريفة من سورة النحل/ ٥ والأنبياء/ ٧ : ﴿ ما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ .

الثانية : وهي الأصول التي تشمل الفروض الثمانية : « الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والخمس ، والحج ، والجهاد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر » ، وتركها يستوجب الفسوق في التارك وتشمله الآية : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ ، وكما مرّ وذكر تتبع ذلك ترك حدود الله في أوامره ونواهيه الواردة في الكتاب والسنة . وقد مرّت وذكرناها في كتابنا الحكومة العالمية المثلى ، وبهذا الموجز نكتفي ونتعرض لبعضها مجدداً في الأصول الاجتماعية .

الثالثة : ما ورد في الكتاب من أوامر ونواهي وقد مرّ ذكرها .

الرابعة : وفيها نسرّد أهم الأصول الاجتماعية الانسانية التي تمنع الظلم وتستوجب الحياة السعيدة الدنيوية والأخروية والسيرة الاجتماعية الرفيعة في مجموعة من الأصول نذكرها فيما يلي بالتالي .

الأصول الاجتماعية وتبدأ :

١ - الأصل الأول في مكارم الأخلاق

هو من أهم المصادر الاجتماعية تضم خيرة المزايا والكرائم الإنسانية من نذب ومواعظ وإرشادات من أوامر ونواهي منطقية سليمة بحكم العقل ، تظهر على أقوال وأفعال الحكماء والفلاسفة ، أو تأتي وحيًا سماويًا في الكتب السماوية بغية هداية البشر إلى الحياة السعيدة ، وانقاذه من المساوىء والردائل وابعاده عن التعاسة .

وربما اشتمل هذا الأصل على اصول اجتماعية قائمة بذاتها ، يلزم بحث كل منها بصورة انفرادية ، رغم انخراطها لهذا الأصل العام ، وسنوردها بصورة مجملة تحت بحث طبيعي اجتماعي منطقي عام ، ثم ندلي بما ورد منها في الكتب السماوية أخص القرآن المجيد المعبر عن اصدق وابلغ ما أوحى الله على لسان رسله وأنبيائه لهداية البشر ، يقصد سعادته ، من أوامر تارة ونواهي أخرى ، ثم بعدها ذكر السنة النبوية القولية والعملية التي جرت على أقوال وأفعال رسل الله ، وثم أكملها المتمثلة في مناهج خاتم أنبيائه محمد (ص) الذي مجده في القرآن الكريم بقوله تعالى في سورة القلم الآية ٤ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾ ، وما ورد على لسانه : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

ومنه يظهر أن مكارم الأخلاق تشمل كافة الفضائل البشرية من أوامر بالمعروف ونواهي عن المنكر، وهي منهج اجتماعي أصيل لهداية البشر للحياة الدنيوية

والأخروية الحميدة ، وتابع خلفاء رسول الله من آل بيته وصحابته المخلصين هذه المكارم في أقوالهم وأفعالهم التي سنذكر موارد منها من أحاديثهم ، ووصاياهم ، وخطبهم ، في مقدمتهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أبو العترة الطاهرة ، وأخو رسول الله وزوج بضعته .

فالأوامر والنصائح والندب الواردة منطقياً هي الاعتدال والاتزان في كافة الغرائز البشرية دون إفراط وتفریط فيما يخص الفرد بالنسبة لنفسه ، وثم بالنسبة لغيره من ورع وتقوى وزهد وبر وإحسان وكرم واختيار الأحسن من الأفكار والأقوال والأفعال ، والانفاق للخير وسد عوز المعوزين ، والتواضع والأدب تجاه أوامر الله ورسله وكتبه وأوليائه وأودائه وتجاه أوامر الآباء والأمهات والمربين والمعلمين والحكماء المرشدين ، ورعاية التطهير البدني والنفسي لكسب الصحة ورفع الأمراض والأوباء الجسمية والنفسية والعقلية ، وعدم القاء الشبه والزيف في النفوس بعرض المتشابهات بقصد خلق المفاسد وخلق الشكوك والانحراف في النفوس الضعيفة ، والقيام بالشفاعة الحسنة وبث روح الإصلاح ونشر المعارف والعلوم وبث روح الوفاق والالفة والمحبة ، وترويج الصفات الحسنة والمزايا الزكية ، ونشر الروح الانسانية ، من الحلم والصبر والحشمة وعزة النفس المقرونة بالتواضع وكظم الغيظ والدعوة للحكمة والموعظة الحسنة والإرشاد والسلوك الحسن في المجاملات والمعاملات والمعاشرة مع كافة الطبقات ، ومجالسة الحكماء والفضلاء والعلماء (ومجانبة المغرضين والمنافقين والمعتدين والجهلة) وترويج الفضيلة وأتباعها أينما حلت ، تلك بغض ما يقره العقل في الأمور المثبتة من أمر وتشويق ونصيحة وندبه صالحة ، ووضع الشيء دوماً في محله سواء أكان ذلك مادياً أو معنوياً ، وبالتالي جهاد النفس والغير دوماً لكل صالح .

أما في الموارد المنفية والمنهية عنها والمجرمة من الصفات والمزايا الممقوتة التي تشمل الرذائل والموبقات ، التي تضم كل خصلة شائنة ،

تلك التي يأبأها العقل ويردها بالنهي والنفي ، وتلك أيضاً مادية ومعنوية ، يجب الابتعاد عنها ، كالبخل والتبذير والحسد والجشع والحرص ، والظلم والاعتداء والتجاوز على النفس والغير ، ومنع الافراط والتفريط في تلبية الغرائز على اختلافها تلك التي ان زادت فهي سيئة وان نقصت فهي سيئة ، كالشهوة الجنسية وشهوة الطعام وحب الذات لجمع المال في موارد الجشع والهلع والحرص ، وكسب السلطة من أي طريق مشروع وغير مشروع ، والتبذير والإسراف ، والتحريف والجعل والالباس والنفاق وبث بذور الشقاق ، والفرقة ، والعداء والكراهية بين الأفراد والجماعات ، ونشر الأكاذيب والدعايات الفارغة الكاذبة ، ونشر الخلاعة البدنية والروحية لبلوغ أهداف غريزية مفرطة ، ونشر الخرافات ، وغرس بذور الفتن ، والمنابزات والأنانيات الفردية والقبلية والعنصرية والجنسية والعقائدية ، وخلق سوء الظن والشحناء في كافة الموارد الاجتماعية ، والتهكم والاستهزاء والسخرية من الآخرين وشتمهم وإهمال تطهير الجسم والروح من الأوساخ والأدران الباعثة للأمراض والآلام البدنية والنفسية والروحية . وبذو الشره وروح البغضاء والعصيان تجاه الآباء والمربين ، والابتعاد عن الجهل ومحيطه والجهلاء ومحيطهم ، والابتعاد عن كافة الأمراض البدنية والروحية لاتقاء شرها ، والدعوة لوقايتها ومعالجتها ، بل الحرص على ذلك بيد الاختصاصيين ، وإعطاء الأمور دوماً بيد الاختصاصيين ، ووضع الشيء دوماً في موضعه ومحله لا في غير موضعه ، فهذا دليل الجهل كما أن الأول دليل العقل ، وكما أن الأول يساعد على تقدم عجلة التقدم الثاني يؤخرها .

وبالتالي جهاد النفس والغير على ترك كل رذيلة أو سيئة أو مایؤول لذلك ، وفي مقدمتها عدم الشرك بالله لأنه الظلم الأعظم وبؤرة المظالم والمفاسد إذ يترك النفس والغريزة البشرية تتورط وتنغمس بالموبقات دون حذر وتقتل الضمير والوجدان .

نعم ويجب الابتعاد عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن وبجانبه

الجهل والجهال والمنافقين والمغرضين ومجانبة كل ما يضر بالنفس والغير مادياً ومعنوياً .

وأدناه نبذ ممّا ورد في القرآن المجيد ممّا يلزم اتباعه من موارد مثبتة وما يجب الامتناع عنه في موارد منفية من دعوة وأمر ايجابي للسلوك الأخلاقي الحسن والامتناع عن السيئة بغية الوصول إلى الحياة الاجتماعية والفردية المادية والمعنوية الهائلة وخلق مجتمع إنساني سعيد بادئين بسورة الفاتحة الرامية للحمد والثناء وللذات الوجدانية المبدعة وطالبيين منه الصراط المستقيم وما أبدع عمّا قوله تعالى :

١ - الحمد لله رب العالمين * الرّحمن الرّحيم * مالك يوم الدين * إِيَّاكَ نعبد وإِيَّاكَ نستعين * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضّالّين . وفي السورة الإقرار بالخالق الأوحد المعبود الوهاب الرحيم ، وطلب العون منه لهدايتنا إلى مكارم الأخلاق .

٢ - ويبدأ القرآن الكريم بالآيتين الثانية والثالثة من سورة البقرة بوصف وتمجيد المتقين والتقوى أم مكارم الأخلاق ، والآية ٨٣ منه ذكر الوصايا الخلقية الثمينة الواردة في التوراة لبني إسرائيل ، قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ، وبالوالدين إحساناً وذوي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة . . . ﴾ الخ .

٣ - وما أجمل وصفه تعالى في البر تلك الميزة الخلقية الرفيعة في الآية ١٧٧ من سورة البقرة ، قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (أي جعل على نفسه حارساً من الله للسلوك الحسن وترك الموبقات) ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْكِتَابُ وَالنَّبِيُّنَ وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ

وَأَتَى الزَّكَاةَ * وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ
وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿
وقوله تعالى في الآية ١٨٩ من سورة البقرة : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تَأْتُوا
الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَاتُّوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

٤ - وأمره تعالى في الدفاع عن العقيدة الصالحة والنفس في الآية ١٩٠
من سورة البقرة : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يِقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ويتبع ذلك الآية ١٩١ .

٥ - وقال الله تعالى في عدالة القصاص الآية ١٩٤ من سورة البقرة :
﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى
عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ وكيف لا يكون الله مع المتقين والتقوى هي أم مكارم
الأخلاق .

٦ - وقوله تعالى في الانفاق والإحسان والحذر من المهالك في الآية
١٩٥ من سورة البقرة : ﴿ وَانْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ
إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ويدعو الله الناس
لعدم الاعتداء وطلب السلم في الآية ٢٠٧ من سورة البقرة : ﴿ يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كُلَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ .

٧ - ودعى الله تعالى في الآية ٢٢٥ من سورة البقرة إلى العمل بحسن
النية : ﴿ لَا يُوَاقِحُكُمْ اللَّهُ بِاللُّغُوِّ فِي إِيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا
كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

٨ - وفي الآية ٢٦٠ من سورة البقرة يشر الله عباده كيف يربو الله
الصدقات : ﴿ مِثْلَ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةٍ
انْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ
وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

ومن مكارم الأخلاق تقديم العون بدون منّ أو أذى ، ومن مكارم الأخلاق تقديم ما يحبه الفرد كما جاء في الآيات : ﴿ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ والآية ٢٦٢ من سورة البقرة و٢٦٧ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ولا تيمموا الخبيث منه ﴾ .

٩ - وما أجمل قوله تعالى في القول المعروف وتقدمها علم الصدقة المتبوعة بالأذى في الآية ٢٦٣ من سورة البقرة : ﴿ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى .. ﴾ وهكذا يمتدح الله القول المعروف والعدل على حسن الخلق على الصدقة المتبوعة باليمن والأذى .

١٠ - وهنا ينهي الله تعالى عن إلقاء الفتن والفساد بين الناس بخلق الشبه والزيغ والتحريف كما ورد في آل عمران الآيات ٧ و٨ قوله تعالى : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله * والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الأبواب ﴾ و٩ منه ، وهذه من أبدع الآيات التي يحذر الله عباده من المفسدين المنافقين الملقين الزيع والوسوسة في النفوس الضيقة .

١١ - الدعوة إلى الوحدة والالفة وتوحيد الله ، سورة آل عمران الآية ٦٤ : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ لأن الإسلام أصل لدين الله ، وجاء في الآية ١٠٣ من آل عمران : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً .. ﴾ الخ .

١٢ - والآية ٧١ من سورة آل عمران منع الباس الحق بالباطل : ﴿ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ﴾ وهو النفاق الذي هو أشد من الكفر .

١٣ - دعوة لأعمال الخير والصلاح في ١٠٤ من سورة آل عمران : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ ، وقوله تعالى في ١١٠ من آل عمران : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ... ﴾ .

١٤ - وفي ١٣٣ - ١٣٦ من سورة آل عمران ، دعوة للإنفاق في سبيل الله والحلم والعفو والاستغفار واجتناب الفواحش والظلم : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ ، و ﴿ الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ ، و ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ ، و ﴿ أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات ... ﴾ الخ . . ذلك جزاء المتقين ذوي الخلق السامية .

١٥ - وفي ١٥٩ من آل عمران تشاهد التربية والخلق السامية في مخاطبة الله لرسوله (ص) : ﴿ فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم ، وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ﴾ ، وفيها تجد أصول التواضع وفضل المساواة والعزيمة والمشاورة .

١٦ - ذم البخل وهو من الصفات الأخلاقية الذميمة في ١٨٠ آل عمران : ﴿ ولا يحسبن الذين ييغلون بما أتاهم الله من فضله هو خير لهم بل

هو شر لهم سيطوَّقُون ما بخلوا به يوم القيامة والله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير ﴿ ١٨٦ منه : ﴿ لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وان تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ لأن الصبر والحلم من أسمى صفات الأخلاق الفاضلة التي يتحلى بها المتقون .

١٧ - ذم الأنانية م الآية ١٨٨ من آل عمران : ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما اوتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ﴾ .

١٨ - ذكر آراء الله وتمجيده الآية ١٩١ من آل عمران : ﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فقلنا عذاب النار ﴾ .

١٩ - ٢٠٠ من آل عمران ، فيه الدعوة للصبر والثبات : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ .

٢٠ - الآية ٥ من سورة النساء ، طرز معاملة السفهاء : ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً ﴾ .

٢١ - منع قتل النفس وأكل مال الناس بالباطل الآية ٢٩ من سورة النساء : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ﴾ .

٢٢ - منع الحسد الآية ٣ من سورة النساء : ﴿ ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليماً ﴾ .

٢٣ - النهي عن الشرك والأمر بالإحسان النساء/٣٦ : ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾ وهكذا يريد الله التواضع وعدم التكبر مع كافة الطبقات أخص الضعيفة .

٢٤ - منع البخل ومنع الأمر به النساء/٣٧ : ﴿الذين ييخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما أتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾ .

٢٥ - منع الانفاق رياء النساء/٣٨ : ﴿والذين ينفقون أموالهم رياء الناس ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً﴾ .

٢٦ - أمر الله بالأمانة والحكم بالعدل النساء/٥٨ : ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعماً يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً﴾ .

٢٧ - أشفع شفاعة حسنة ، النساء/٨٥ : ﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتاً﴾ .

٢٨ - الأمر برد التحية ، النساء/٨٦ : ﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيماً﴾ تلك التي تزيد التألف والتقارب والمحبة .

٢٩ - في الآيات ٨٨ - ٩١ من سورة النساء في ذم المنافقين واجتناب ولايتهم .

٣٠ - عدم العمل بالشك وسوء النية ، النساء/٩٤ : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام

لست مؤمناً ، تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك
كتتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون
خبيراً ﴿ ، نعم لتكن دوماً نواياكم للخير .

٣١ - منع ظلم النفس النساء/٩٧ : ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي
أنفسهم قالوا فيم كتتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن
أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت
مصيراً ﴿ و٩٨ منه .

٣٢ - منع الدفاع عن المختانين أنفسهم ١٠٧ إلى ١٠٩ : ﴿ ولا تجادل
عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً *
يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبينون ما لا
يرضي من القول وكان الله بما يعملون محيطاً * ها أنتم هؤلاء
جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من
يكون عليهم وكيلاً ﴿ .

٣٣ - ولا ترم بإثمك بريئاً ، النساء/١١٢ : ﴿ ومن يكسب خطيئة أو إثماً
ثم يرمي به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً ﴿ .

٣٤ - منع مشاققة الرسول في سنته ، النساء/١١٥ : ﴿ ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى وتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولى
ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴿ .

٣٥ - الدقة في العدالة مع النساء وعدم ظلمهم ، ومنها الحذر من الزواج بأكثر من
واحدة ، النساء/١٢٨ : ﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو
حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا
فإن الله كان عفواً رحيماً ﴿ .

٣٦ - الأمر بالقسط دوماً حتى على النفس النساء/١٣٥ : ﴿ يا أيها الذين
آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين

والأقربين ، ان يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً ﴿ .

٣٧ - النساء/ ١٣٩ ، في منع الجلوس مع المنافقين عند كفرهم بآيات الله : ﴿ . . . إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً ﴿ و ١٤٥ .

٣٨ - منع الجهر بالسوء للنساء/ ١٤٨ : ﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليماً ﴿ و ١٥١ .

٣٩ - القسط والعدل لله المائدة/ ٨ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴿ .

٤٠ - منع السعي للفساد المائدة/ ٣٢ : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴿ .

٤١ - مجانية ولاية الكفار المائدة/ ٥٧ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴿ .

٤٢ - ذم من لا ينهي عن المنكر ٧٨ و ٨٠ : ﴿ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴿ .

٤٣ - عدم تحريم الطيبات الحلال ٨٧ مائدة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ﴿ .

٤٤ - منع الرجس وكل مضر المائدة/ ٩٠ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما

الخمير والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه
لعلكم تفلحون ﴿ ٩١ ﴾ : إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم
العداوة والبغضاء . . . ﴿ الخ . .

٤٥ - اجتنبوا الخبيث المائدة/ ١٠٠ : ﴿ قل لا يستوي الخبيث والطيب
ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم
تعلمون ﴾ .

٤٦ - لا تسألوا عما يسوءكم : المائدة/ ١٠١ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا
تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسوؤكم . . . ﴾ الخ . . .

٤٧ - من اتخذ إلهه قواه الأنعام/ ٧٠ : ﴿ وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً
ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت
ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ
منها أولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب
أليم بما كانوا يكفرون ﴾ .

٤٨ - عبادة الأصنام المستحقرة ، الأنعام/ ٧٤ : ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه
آزر أتتخذ أصناماً آلهة إنني أراك وقومك في ضلال مبين ﴾ .

٤٩ - منع سب الكفار ، الأنعام/ ١٠٨ : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من
دون الله فيسبوا الله عدواً . . . ﴾ الخ .

٥٠ - ما حرم الله ، الأنعام/ ١٥١ : ﴿ قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم
أن لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من
إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما
بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به
لعلكم تعقلون ﴾ ، و ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن
حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفس إلا
وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم

وصاكم به لعلكم تذكرون ﴿ ١٥٣ : ﴿ وإن هذا صراطي مستقيماً
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به
لعلكم تتقون ﴿ .

٥١ - الحسنة والسيئة ، الأنعام / ١٦٠ : ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر
أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلها وهم لا يظلمون ﴿ .

٥٢ - منع الإسراف ، الأعراف / ٣١ : ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل
مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴿ .

٥٣ - تزينوا وتطيبوا ، الأعراف / ٣٢ : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج
لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا
خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴿ .

٥٤ - المحرمات ، الأعراف / ٣٣ : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر
منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وإن تشركوا بالله ما لم ينزل به
سلطاناً وإن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴿ .

٥٥ - منع بخص الناس والفساد ، الأعراف / ٥١ : ﴿ ... قد جاءتكم بينة
من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا
تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها... ﴿ ، ١٥ و ١٦ الأنفال في
الدفاع والثبات .

٥٦ - الصبر وعدم المنازعة ، الأنفال / ٤٦ : ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا
تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴿ .

٥٧ - حسن السلوك مع الأسرى ، الأنفال / ٧٠ : ﴿ يا أيها النبي قل لمن
في أيديكم من الأسرى أن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً
مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم ﴿ ٧١ منه .

٥٨ - السلوك مع المستجير ، التوبة / ٦ : ﴿ وإن أحد من المشركين
استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه... ﴿ الخ .

٥٩ - عهد المشركين ، التوبة / ٧ و ٨ : ﴿ كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين ﴾ * كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون ﴾ ، و ١٠ منه : ﴿ لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون ﴾ ، و ١١ منه : ﴿ وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر . ﴾ الخ . و ١٢ منه : ﴿ ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بلوؤكم أول مرة . . . ﴾ الخ .

٦٠ - الحذر من ولاية الكفار ، التوبة / ٢٣ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منهم فأولئك هم الظالمون ﴾ .

٦١ - المنافقون ، التوبة / ٦٧ : المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون ﴾ ، و ٦٨ و ٧٤ منه .

٦٢ - منع بخس الناس ، هود / ٨٤ و ٨٥ ، و ١١٣ منه في عدم الركون للظالمين : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله أولياء ثم لا تنصرون ﴾ .

٦٣ - مثل الكلمة الطيبة والخبيثة ، إبراهيم / ٢٣ و ٢٤ : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ﴾ * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾ ، و ٢٧ و ٢٨ منه .

٦٤ - أمر الله بالخير ومنع الفحشاء ، النحل / ٩٠ : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى

يعظكم لعلكم تذكرون ﴿ ٩١ منه : ﴿ وأوفوا بعهد الله إن عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون ﴾ .

٦٥ - منع الافتراء ، النحل/١١٦ : ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾ .

٦٦ - الدعوة إلى الحكمة ، النحل/١٢٥ و ١٢٦ : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين * وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم فهو خير للصابرين ﴾ ، و ١٢٨ منه : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ .

٦٧ - من اهتدى ومن ضل ، الإسراء/١٥ : ﴿ من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها ولا تزرّ وازرة وزر أخرى ﴾ .

٦٨ - الله والوالدين ، الإسراء/٢٣ : ﴿ وقضى ربك أن لا تعبدوا إلاّ إياه وبالوالدين إحساناً أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ﴾ ، و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ منه .

٦٩ - المبذرون إخوان الشياطين ، الإسراء/٢٧ : ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً ﴾ .

٧٠ - الحسنة في الحد الوسط ، الإسراء/٢٩ : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ﴾ ، و ٣١ منه و ٣٢ منه : ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾ ، و ٣٣ : ﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلاّ بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً ﴾ ،

و٢٤ منه : ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا العهد إن العهد كان مسؤولاً ﴾ ، و٣٥ منه : ﴿ وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ .

٧١ - ولا تقف ما لا تعلم الإسرائ/ ٣٦ : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾ ، منع التبخر والتكبر ٣٧ منه : ﴿ ولا تمشي في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طويلاً ﴾ ، و٣٨ منه . و٢٩ منه : ﴿ ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً ﴾ ، لأن الشرك أم المظالم .

٧٢ - الصدق أولاً وآخراً ، الإسرائ/ ٨٠ : ﴿ وقل ربي أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ﴾ .

٧٣ - حكمة إبراهيم ، مريم/ ٤٢ و٤٣ : ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم انه كان صديقاً نبياً * إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً * يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً ﴾ .

٧٤ - الصالحون المؤمنون ، الأنبياء/ ٩٤ ، و١٠٥ منه : ﴿ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون * ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ .

٧٥ - جزاء الرمي ، النور/ ٤ : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربع شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة... ﴾ الخ . و٩ و١٥ و١٩ منه : ﴿ والذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة... ﴾ الخ . و٢٦ منه : منع دخول بيوت غير

مسكونة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ... ﴾ الخ . ٢٨ و ٢٩ منه .

٧٦ — فرض العفة على المؤمن والمؤمنة ، النور / ٣٠ و ٣١ : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ... ﴾ الخ . : ﴿ وقُلْ للمؤمنات يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ... ﴾ الخ . ﴿ ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ... ﴾ الخ ...

٧٧ — السلام إذا دخلتم بيوتاً ، النور / ٦١ : ﴿ ... فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ﴾ .

٧٨ — الحذر من مخالفة أمر النبي ، من سورة النور ، الآية : ٦٣ .

٧٩ — من إلهه هواه كالأنعام ، الفرقان / ٤٣ و ٤٤ : ﴿ أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً * أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ﴾ .

٨٠ — صفات المتقين ، الفرقان / ٦٣ - ٧٦ : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾ ، ٦٤ منه : ﴿ والذين يبينون لربهم سجداً وقياماً ﴾ ، ٦٧ منه : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾ ، ٦٨ منه : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلقى أثاماً ﴾ ، ٧٢ منه : ﴿ والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً ﴾ ، ٧٣ منه : ﴿ والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخرؤا عليها صماً وعمياناً ﴾ ، ٧٤ منه : ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ ، ٧٥ منه :

﴿ أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً ﴾ ،
و٧٦ منه : ﴿ خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً ﴾ .

٨١ - عاقبة المتقين ، القصص/٨٣ و٨٤ : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها
للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين * من
جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا
السيئات إلا ما كانوا يعملون ﴾ .

٨٢ - أحسنوا جدال أهل الكتاب ، العنكبوت/٤٦ : ﴿ ولا تجادلوا أهل
الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي
نزل إلينا وانزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾ .

٨٣ - بر الوالدين ، لقمان/١٤ : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه
وهناً على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك إلى
المصير * وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا
تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إليّ ثم إليّ
مرجعكم فأنبكم بما كنتم تعملون ﴾ .

٨٤ - وصايا لقمان الحكيم لابنه ، لقمان/١٧ : ﴿ يا بني أقم الصلاة
وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من
عزم الأمور * ولا تصغر خدك للناس ولا تمشي في الأرض مرحاً إن
الله لا يحب كل مختال فخور * واقصد في مشيك واغضض من
صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ .

٨٥ - منع أذى المؤمنين ، الأحزاب/٥٨ : ﴿ الذين يؤذون المؤمنين
والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ .

٨٦ - بشارة لمن يتبع أحسن ما يسمع ، الزمر/١٨ : ﴿ الذين يستمعون
القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا
الألباب ﴾ .

٨٧ - لا يستوي الحسن والسيء ، غافر/٥٨ : ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلاً ما تتذكرون ﴾ .

٨٨ - ادفع بالتي هي أحسن ، فصلت/٣٣ : ﴿ لا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ .

٨٩ - التفكير الصالح للحق ، فصلت/٥٣ : ﴿ سريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق... ﴾ الخ .

٩٠ - اجتناب الإثم والفواحش والشورى والانفاق والعفو والصبر كلها من الخلق السامية ، الشورى/ ٣٧ - ٤٣ : ﴿ والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾ والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ﴾ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ﴾ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ﴾ إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويغيغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ﴾ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ .

٩١ - انتخب خليلك من المتقين ، الزخرف/٦٧ : ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ .

٩٢ - مجترموا السيئات ، الجاثية/٢١ : ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾ .

٩٣ - بر الوالدين ورضا الله ، الأحقاف/ ١٥ - ١٧ : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله

ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال ربي أوزعني
 أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وإن اعمل صالحاً
 ترضاه واصلح لي في ذريتي اني تبّت إليك واني من المسلمين *
 أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في
 أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴿١٧﴾ ، و ١٩ -
 منه .

٩٤ - وما ورد في سورة الحجرات من آداب وتعاليم بلغت ذروة الخلق
 السامية في الأصول الاجتماعية من أوامر ونواهي ونصائح والدعوة
 إلى حقوق البشر والمساواة فالآيات من ١ - ٥ أصول كريمة في
 الأدب ، و ٦ منه تحذير من اخبار الفاسقين وانبائهم الكاذبة بغية
 الفساد والفتنة ، والآيتين ٧ و ٨ في الإصلاح وإقامة العدل ، قوله
 تعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن
 بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر
 الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقتطوا... ﴾ الخ . و ١٠
 منه قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين
 أخويكم... ﴾ الخ . والآية ١١ منه قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين
 آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من
 نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا
 بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم
 الظالمون ﴾ ، و ١٢ منه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثير من
 الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم
 بعضاً... ﴾ الخ . و ١٣ منه : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر
 وأنثى وجعلناكم شعوب وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم
 إن الله عليم خبير ﴾ .

وبهذه السورة وضع الله في كتابه حداً قضى به على أشد الخلق
 الجاهلية المشينة ورذائلها لا في البلاد العربية ، بل العالم كله ،

ووضع أصول الأخوة والوفاء والحريات وإقامة مجتمع صالح قائم على مكارم الأخلاق والعدالة الاجتماعية .

٩٥ - الحث على السعي المادي والمعنوي الحسن ، سورة النجم / ٣٨ - ٤٠ ، قوله تعالى : ﴿الَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ * وَاِنْ لِّىْ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَاِنْ سَعِىْهُ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ الْجِزَاءُ الْأَوْفَىٰ﴾ .

٩٦ - في الصبر والكياسة ، سورة الحديد / ٢٢ - ٢٣ : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَابٍ قَبْلَ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنْ ذَلِكْ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لَكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَارٍ فَخُورٍ﴾ .

٩٧ - تناجو بالبر والتقوى ، المجادلة / ٩ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ...﴾ الخ .

٩٨ - الحذر من أعداء الإسلام ، المجادلة / ٢١ : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَا حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَإِخْوَانَهُمْ وَعَشِيرَتَهُمْ أَوْلَىٰ لَّكَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ وَأَيْدِهِمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ الخ .

٩٩ - قل واعمل ، سورة الصف / ٢ - ٣ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ، وهذا يطابق قوله تعالى : ﴿يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ﴾ .

١٠٠ - إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، سورة التحريم / ١٠ - ١٢ : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا

وقيل ادخلا النار مع الداخلين * وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت ربي ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ﴿١٠١﴾ .

١٠١ - الحكمة والبصيرة ، سورة الملك / ١٢٢ : ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور * أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم﴾ .

١٠٢ - الخلق الإسلامية الكريمة من سورة القلم : ﴿وإنك لعلی خلق عظیم - فلا تطع المكذبين - أفنجعل المسلمين كالمجرمين * ما لكم كيف تحكمون﴾ .

١٠٣ - وصف الأبرار ، سورة الإنسان / ٤ : ﴿إنا هدينه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾ ، وه منه : ﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجه كافوراً﴾ ، وه ٧ منه : ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً﴾ ، وه ٨ منه : ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً﴾ ، وه ٩ منه : ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً﴾ ، وه ١٠ - ٢٤ منه .

١٠٤ - سورة المطففين وفيه ١ - ٣ عن وصف من يبخس الناس في المعاملة .

١٠٥ - في البر والرحمة ٤ وه ٨ - ١٧ من سورة البلد .

١٠٦ - في الحكمة ، من سورة الشمس ٧ - ١٠ : ﴿ونفس وما سواها * فآلهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾ .

١٠٧ - اختلاف السعي واليسر والعسر في سورة الليل ٤ - ١٠ : ﴿إن سعيكم لشتى * فأمّا من أعطى واتقى * وصديق بالحسنی *

فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى * وكذب بالحسنى
فسنيسره للعسرى ﴿ .

١٠٨ — البر والشكر على النعمة من سورة الضحى ٩ - ١١ : ﴿ فأما اليتيم
فلا تقهر * وأما السائل فلا تنهر * وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ .

مكارم الأخلاق في السُّنة

ومن مكارم الأخلاق البشاشة والعفو والمشاورة ، كما مر في الآيات ، الفرقان/ ٦٤ وسورة المؤمنين وآل عمران ١٥٩ التي يمدح الله به رسوله قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ ، فترى في هذه الآية الصفات التي يطريها الله هي لين الطبع ، والعفو والغفران ، والمشاورة والعزيمة ، أي التصميم فالتوكل على الله . وأدناه ترى رسول الله كيف يطري حسن الأخلاق ويدعو إليها . وستأتي أصول منها أدناه جاءت في أحاديث رسول الله في نهج الفصاحة .

١٩٤٦ – من أتاه أخوه متنصلاً فليقبل ذلك محقاً كان أو مبطلاً فإن لم يفعل لم يرد عليّ الحوض ، وبروا آباءكم تبركم أبناءكم ، وعفوا عن نساء الناس تعف نساءكم .

٨٤٠ – احب عباد الله إلى الله أحسنهم أخلاقاً .

٤٢٠ – أفضلكم إيماناً أحسنكم أخلاقاً .

٤٥٤ – أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً . وخياركم خياركم لنسائهم .

٤٦٣ – ألا أدلكم على أشدكم (أي أقواكم للزعامة) أمكنكم عند الغضب .

٥٨٤ – أحسن الحسن الخلق الحسن .

- ٤٦٢ - ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن؟ الصمت وحسن الخلق .
- ٦٠٨ - إن أكثر ما يدخل الجنة الناس ، تقوى الله وحسن الخلق .
- ٦٥٤ - إن العبد ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم .
- ٦٧٦ - إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق فزينوا دينكم بهما .
- ٨٣٥ - إن الناس لم يعطوا شيئاً خيراً من حسن الخلق .
- ٨٤٥ - حسن الخلق يذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد .
- ٨٧٧ - إنكم لم تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم .
- ٩٠٧ - إن من أحبكم إليّ أحسنكم أخلاقاً .
- ٩١٠ - إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وأطفهم بأهله .
- ٩٨٢ - أول ما يوزن في الميزان الخلق الحسن .
- ١٠٥٨ - الاقتصاد نصف العيش وحسن الخلق نصف الدين .
- ١٤٦٨ - خيار أمتي احداؤها الذين إذا غضبوا رجعوا .
- ١٣٧٢ - حسن الخلق خلق الله الأعظم و١٣٧٣ و١٣٨٠ .
- ١٤٦٩ - خيار أمتي علمائها وخيار علمائها حلماءها .
- ١٤٧٢ - خياركم أحسنكم أخلاقاً الذين يالفون ويؤلفون .
- ١٥٢٨ - خير ما أعطى الناس الخلق الحسن .
- ١٦٣٨ - رأس العقل بعد الإيمان بالله الحياء وحسن الخلق .
- ٢١٢٤ - حسب المرء خلقه ، وكرم المرء دينه ومروته عقله .
- ٢٣٩٧ - ليس شيء أثقل في الميزان من الخلق الحسن و٢٥٠٤ .
- ٣٠٦٨ - من الصدقة أن تسلم على الناس وأنت تطلق الوجه .
- ٢٧٥٩ - من سعادة المرء حسن الخلق .
- ٣٠٤٣ - من سعادة المرء حسن الخلق ومن شقاءه سوء الخلق .
- ٣٨٠ - افشوا السلام تسلموا .

ومكارم الأخلاق تشمل كل الصفات الحميدة والشيم الكريمه للمرء ويدخل فيها البر والإحسان والعفو عند المقدرة والحلم والتروي . عند الغضب : التساهل في المعاشرة والمعاملة والتواضع والتعاون ، وحسن الظن والحجب والحياء والتودد إلى الناس ، والتقوى والانابة والصدق والأمانة ، والوفاء بالعهد والإخلاص في القول والعمل والعطف والحنان بكل ذي روح .

وصلة القريب والبعيد والقسط والمعروف والكرم وافشاء السلام والسعي في طلب العلم ونشره وعفة البدن وطهارة النفس والابتعاد عن مواقع التهم في الأقوال والأعمال ، والتساهل وإسداء النصيحة ، ونظافة البدن وكع اللسان عن الثرثرة والبذاءة والشجاعة والتصميم والتنظيم ، وعدم الجشع والإفراط ، وعدم الخروج عن حد الاعتدال في كل شيء ، فنالأكل والشرب والقول والبذخ وجمع الثروة أخص من طرق مشروعة ، وبالتالي السلوك الديني واتباع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف ونبذ الخرافات والخبائث من عادات في السلوك والأكل والشرب ، وكل ما لا يوافق العقل والمنطق ، ولا يسعنا أن نحصي في كتابنا هذا كل ما ورد عن مكارم الأخلاق ، ونكتفي بما مرّ ونبذ نذكرها مما جاء عن الرسول الأعظم من النصائح والسنن التي وضعها منهاجاً لآمته للسير عليها ، وسأقدم نبذاً فريدة من أقواله (ص) أدناه : من نهج الفصاحة :

في البر : -

- ٣٠٠٦ - الدال على الخير كفاعله .
- ٣١١٥ - المعروف باب من أبواب الجنة وهو يدفع مصارع السوء .
- ٦٠٠ - ان أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم .
- ١٥٠٠ - خير الناس أنفعهم للناس .
- ٣١٧٥ - والله لئن تهدي بهذاك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم .
- ٣٢١٨ - يدور المعروف على يد مائة رجل آخرهم فيه كأولهم .

٦١٤ - إن البر والصلة يستطيلان الأعمال ويعمران الديار ويكثران الأموال ولو كان القوم فجاراً .

٧٢١ - ان الله لا يهتك ستر عبد فيه مثقال ذرة من خير .

٨٤٠ - إن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ، وإن أهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة ، وإن أول أهل الجنة دخولاً هم أهل المعروف .

٨٥٨ - ان صدقة السر تطفئ غضب الرب ، وان صلة الرحم تزيد في العمر ، وان صنائع المعروف تقي مصارع السوء .

١١٧٦ - تمام البر أن تعمل في السر عمل العلانية .

١٣٠٢ - جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها .

١٣٨٠ - حسن الملكة نماء وسوء الخلق شؤم والبر زيادة في العمر والصدقة تمنع ميتة السوء .

١٥٧٧ - دليل الخير كفاعله .

١٦٣٦ - رأس العقل بعد الايمان بالله التودد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كل بر وفاجر .

١٨٣٦ - صفة العاقل أن يحلم عمن جهل عليه ، ويتجاوز عمن ظلمه ، ويتواضع لمن هو دونه ، ويساند من فوقه في طلب البر ، وإذا أراد أن يتكلم تدبر ، فإن كان خيراً تكلم فغنم وإن كان شراً سكت فسلم .

١٩٥١ - على كل مسلم صدقة فإن لم يجد فيعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق فإن لم يستطع فيعين ذا الحاجة فإن لم يفعل فيأمر بالخير ، فإن لم يفعل فيمسك عن الشر فإنه له صدقة .

٢٠٠٧ - العرف ينقطع بين الناس (أي ينسى) ولا ينقطع فيما بين الله وبين من فعله ، و٢٠٦٨ منه .

٢١٧٣ - كل معروف صدقة ، وما أنفق المسلم من نفقة على نفسه وأهله كتب له بها صدقة ، وما وقى به المرء المسلم عرضه كتب له به صدقة .

١٠٨٦ - بر الوالدين يجزىء عن الجهاد .

الإحسان وهو من مكارم الأخلاق : قال صلى الله عليه وآله : -

١٠ - ابتغي الرفعة عند الله تحلم بمن جهل عليك وتعطي من حرمك .

٧٠٤ - إن الله تعالى عَفُوٌّ يُحِبُّ الْعَفْوَ .

٤١ - اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بَشِقَ تَمْرَةٌ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَبِكَلِمَةٍ طيبة .

٣٨٥ - أفضل الأعمال ثلاثة : التواضع عند الدولة ، والعفو عند القدرة ، والعطية بغير المنّة .

٧٦٠ - إن الله تعالى يدخل بلقمة الخبز وقبضة التمر ومثله مما ينفع المسلمين ثلاثة : الجنة ، صاحب البيت الأمر به ، والزوجة المصلحة ، والخادم الذي يناول المسكين .

١٠٦٧ - الإيمان هو الصبر والسماحة .

١٢٧٧ - ثلاثة من كن فيه حاسبه الله حساباً يسيراً وأدخله الجنة برحمته : تعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتصل من قطعك .

١٤٥٤ - خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما : فالتى يحبهما الله : فالسخاء والسماحة ، واللذان يبغضهما : فسوء الخلق والبخل ، وإذا أراد الله بعبد خيراً استعمله على قضاء حوائج الناس .

١٥٦٠ - درهم الرجل ينفق في صحته خير من عتق رقبة عند موته .

١٩١٧ - طوبى لمن ذل نفسه ، وحسنت خليقته ، وأنفق الفضل من ماله ، ووسعته السنة ، ولم يعدها إلى البدعة .

٢٩٨٣ - من أحب الله وأبغض الله وأعطى الله ، ومنع الله ، فقد استكمل الإيمان .

التقوى وهو أرفع مراتب مكارم الأخلاق : -

- ٧٢ - احب العباد إلى الله الأتقياء الأخفياء .
- ٥٦٢ - انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى .
- ٧٩٨ - إن الله يحب الأبرار الأخفياء الأتقياء .
- ٦٠٨ - إن أكثر ما يدخل الجنة الناس : تقوى الله وحسن الخلق .
- ٧٥٧ - إن الله يحب العبد التقي الغني الحفي (الرؤوف) .
- ٩٢٦ - إن من معادن التقوى تعلمك إلى ما قد علمت علم ما لم تعلم ، والنقص فيما قد علمت قلة الزيادة فيه ، وإنما يزهد الرجل في علم ما لم يعلم قلة الانتفاع بما قدم علم .
- ١٠٤٤ - أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى .
- ١٢٥٨ - ثلاث خلال من لم تكن فيه كان الكلب خيراً منه : ورع يحجزه عن محارم الله عز وجل ، أو حلم يرد به جهل جاهل ، أو حسن خلق يعيش به في الناس .
- ١٤٩٩ - خير الناس أقرأهم وأفقههم في دين الله وأتقاهم لله وأمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم .
- ١٤٨٦ - خير الزاد التقوى وخير ما ألقى في القلب اليقين .
- ٢٨٥٢ - من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله .
- ٢٩٠٠ - من أصبح وهمّه التقوى ثم أصاب فيما بين ذلك ذنباً غفر الله له .
- ٣٠١٥ - من رزق تقاً فقد رزق خير الدنيا والآخرة .

الصدقة تبلغ مكارم الأخلاق :

إذ فيها : المعونة للمستضعفين ، وصلة الرحم ، والمحبة والتودد ، والمساعدة ، والإصلاح ، وكثير من الفضائل الأخرى كما سترى :

- ١٢ - ابدء بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلاهلك فإن فضل شيء من أهلك فلذي قرابتك فإن فضل عن ذي قرابتك وهكذا إبدء بمن تعول .
- ٢٣٩ - إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له .
- ٤٠١ - أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً ثم يعلمه أخاه المسلم .
- ٤٠٢ - أفضل الصدقة الشفاعة تفك بها الأسير وتحقن بها الدم ، وتجري بها المعروف والإحسان إلى أخيك وتدفع عنه الكريهة .
- ٤٠٤ - أفضل الصدقة حفظ اللسان .
- ٤٠٧ - أفضل الصدقة إصلاح ذات البين .
- ٤٠٨ - أفضل الصدقة الصدقة على ذي الرحم الكاشح (ذي الرحم المعارك لك) .
- ٦١٥ - إن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة ، فتواضعوا يرفعكم الله ، وإن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً فاعفوا يعزكم الله ، وإن الصدقة لا تزيد المال إلا نماءً فتصدقوا يزدكم الله .
- ٦٤٦ - إن الصدقة لتطفىء غضب الرب وتدفع ميتة السوء .
- ٦٤٧ - إن الصدقة لتطفىء حر القبور عن أهلها وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته .
- ٦٥٣ - إن العبد يتصدق بالكسرة تربو عند الله حتى تكون مثل أحد . و٧٦٥ منه .
- ٧٩٠٠ - إن الله ليذراً بالصدقة سبعين ميتة من السوء .
- ٨٥٨ - إن صدقة السر تطفىء غضب الرب ، وإن صلة الرحم تزيد في العمر ، وإن صنائع المعروف تقي مصارع السوء .
- ١١٣٤ - تداركوا الهموم والغموم بالصدقات ، يكشف الله تعالى ضرركم وينصركم على عدوكم .

١٣٨٤ - حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة واعدوا للبلاء الدعاء .

١٥٠٨ - خير أبواب البر الصدقة .

١٧٣٣ - سبق درهم مائة ألف درهم : رجل له درهمان أخذ أحدهما فتصدق به ، ورجل له مال كثير فأخذ من عرضه مائة ألف فتصدق بها .

١٨٦٦ - الصدقة على القرابة صدقة وصلة .

١٨٧١ - الصدقات بالغدوات يذهبن بالعاهات .

٢١٧٢ - كل معروف صنعته إلى غني أو فقير فهي صدقة .

٣٠٨٨ - المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته .

٢٢٣٨ - لعن الله آكل الربا ومؤكله وكاتبه ومانع الصدقة .

٢٥٠١ - لا صدقة وذو رحم محتاج .

٢٤٠٩ - ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت .

٣٠٦٧ - من الصدقة أن تسلم على الناس وأنت تطلق الوجه .
و ٣٠٨٠ منه .

الحياء : -

ومن مكارم الأخلاق الحياء ، وقد وصف الله رسوله به في القرآن الكريم في سورة الأحزاب ، الآية : ٥٣ ، قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَظِيرِ مَا هُنَّ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنَسِينَ لِحَدِيثِ إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ . . . الخ . . .
كما وردت في القرآن الكريم آيات تدل على ما للحياء والسكينة من المقام الجليل ، وانها من صفات المؤمنين المتقين ، وسورة الفرقان ، الآية :

٦٣ : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾ ، و٧٢ منه : ﴿ والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً ﴾ .

وسورة آل عمران الآية ١٥٩ : ﴿ فيها رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا تفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ ، وسورة الإسراء/٥٣ : ﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً ﴾ .

وأما ما ورد في السنة من أحاديث الرسول الأكرم أقواله كما وردت في نهج الفصاحة :

- ١٦٣٨ - رأس العقل بعد الإيمان بالله الحياء وحسن الخلق .
- ٣٠٦١ - من لا أدب له لا عقل له .
- ٢٦٥٣ - ما كان الفحش في شيء قط إلا شانه ، ولا كان الحياء في شيء قط إلا زانه .
- ٢٠٥ - إذا رأيت من أخيك ثلاث خصال فارجه : الحياء ، والأمانة ، والصدق ، وإذا لم ترها فلا ترجمه .
- ٦١٨ - إن الحياء والإيمان قرنا جميعاً فإذا سلب أحدهما تبعه الآخر .
- ٦٧١ - إن الله إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء .
- ١٤٢٤ - الحياء خير كله .
- ١٤٢٦ - الحياء شعبة من الإيمان .
- ٩٨٠ - أول ما يرفع من هذه الأمة الحياء والأمانة .
- ١٤٢٨ - الحياء هو الدين كله .
- ٢٨٠٢ - من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له (لا غيبة للفاسق فهو فاسق) .
- ٢٥٠٦ - لا مظاهرة أوثق من المشاورة ولا إيمان كالحياء .

٢٨٨٦ - من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله .

الإسلام : خلق الإسلام من خيرة مكارم الأخلاق ، قال صلى الله عليه وآله :

٣٠٧ - أشرف الإيمان أن يأمنك الناس وأشرف الإسلام أن يسلم الناس من لسانك ويدك .

٤٢٢ - أفلح من هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به .

١٠٥٤ - الإسلام علانية والإيمان في القلب .

٥٣٥ - أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وإن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وإن الحج يهدم ما كان قبله .

١٠٥٦ - الإسلام يعلو ولا يعلى عليه .

٦١٢ - إن الإسلام نظيف فتنظفوا ، فإنه لا يدخل الجنة إلا نظيف .
و١٠٥٥ منه .

١٠٨٢ - تنظفوا بكل ما استطعتم فإن الله تعالى بنى الإسلام على النظافة ولا يدخل الجنة إلا نظيف .

٦٧٦ - إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق الا فزینو دينكم بهما .

٢٢٥٥ - لكل شيء آفة تفسده ، وآفة هذا الدين ولادة السوء .

٢٨٣٣ - من غشنا فليس منا .

٢١٦٢ - ما من أحد يحدث في هذه الأمة حدثاً لم يكن فيموت حتى يصيبه ذلك .

٦٦٧ - إن الله احتجز التوبة على كل صاحب بدعة .

٢٨٧٩ - من أسلم على يديه رجل وجبت له الجنة .

٣٠٨٦ - المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً .

٢٠٨٠ - المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه .

٣٠٨٥ - المؤمن من آمنه الناس على أنفسهم وأموالهم ودمائهم .

- ١٥٢٥ - خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره ، وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره .
- ٣٠٩٨ - المؤمن منفعة ، إن ماشيته نفعك ، وإن شاورته نفعك ، وإن شاركته نفعك ، وكل شيء من أمره منفعة .
- ١٥١٣ - خير دينكم أيسره .
- ١٥٢٠ - خيركم خيركم لأهله وأنا خير لأهلي ، ما أكرم النساء إلا كريم ، ولا أهانهن إلا لئيم .

مقتطفات لمكارم الأخلاق من نهج الفصاحة

٢٧٥٨ — من تفاخر افتقر .

٢٧٦٤ — من ستر على أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة .

٢٧٦٦ — من نصر أخاه يظهر غيب نصره الله في الدنيا والآخرة .

في البدعة : —

٢٧٨٦ — من أهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر .

٦٦٧ — إن الله احتجز التوبة على كل صاحب بدعة (نعم يقصد البدعة

في الإسلام) .

٢٨١٨ — من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً .

٢٨٩٧ — من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام .

٢٨١٠ — من أحب عمل قوم خيراً كان أو شراً كان كمن عمله .

٢٨١٤ — من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .

٢٨٢٨ — من تشبه بقوم فهو منهم .

٢٨٣٧ — من أثر محبة الله على محبة الناس كفاه الله مؤنة الناس (لأنها

رأس التقوى) .

٢٩١٧ — من قبل بين عيني أمه كان سترأ له من النار .

٢٩٢٥ — من عال ثلاثة بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة .

- ٢٩٤٥ - من أعان ظالماً سلطه الله عليه .
- ٢٩٥٢ - من اشترى سرقة وهو يعلم أنها سرقة فقد شرك في عارها وإثمها .
- ٢٩٧٣ - من أحب أن يبسط في رزقه وأن يناء له في أجله فليصل رحمه .
- ٢٩٧٥ - من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام (دعاء عليه من الإمام) .
- ٢٩٨١ - من اتقى الله وقاه الله كل شيء .
- ٢٩٨٦ - من أحب قوماً حشره الله في زمريهم .
- ٢٩٩٥ - من رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله .
- ٣٠٠٦ - الدال على الخير كفاعله .
- ٣٠٢٢ - من سره أن يسلم فليزم الصمت .
- ٣٠٤٥ - من شكر النعمة افشاؤها .
- ٣٠٤٩ - من خاف الناس لسانه فهو من أهل النار .
- ٢٨٤٩ - مدارات الناس صدقة .
- ٢٨٦١ - من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته .
- ٢٨٦٤ - من طلب العلم تكفل الله برزقه .
- ٢٨٦٨ - من أتاه الله خيراً فلير عليه .
- ٢٨٧٣ - من قسى مع ظالم فقد أجرم .
- ٢٨٧٩ - من أسلم على يديه رجل وجبت له الجنة .
- ٢٨٨٠ - من أولى رجلاً من عبد المطلب معروفاً في الدنيا فلم يقدر أن يكافئه كافأته عنه يوم القيامة .
- ٢٨٩٢ - مهنة احداكن في بيتها تدرك جهاد المجاهدين إن شاء الله .
- ٢٩٠١ - من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يروعن مسلماً .
- ٢٩٠٢ - من كتم شهادة إذا دعي إليها كمن شهد بالزور .

الرسالة : -

- ٨٨٠ - إن لجواب الكتاب حقاً كرد السلام، و١٦٦١ منه .
٢١٢٥ - كرم الكتاب ختمه .
٢٨٤٦ - من نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فكأنما ينظر في النار .

الجماعة : -

- ٥٦ - اثنان خير من واحد ، وثلاثة خير من اثنين ، وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة (الأتقياء) .
٦٣٨ - الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد .
٣٢١١ - يد الله مع الجماعة .

وأما ما ورد في الضعفاء في كتاب الله ، فنذكر بعضها أدناه أخص
اليتيم :

ما جاء في سورة الدهر الآيات : ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ حتى
٢٢ منه^(١) ، وسورة الإسراء : ٢٨ و ٣٠ و ٣٣ و ٣٦ منه . وسورة النساء ٢
و ٦ و ١١ و ١٢ و ٤٠ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩ .

(١) سورة الإنسان/ ٥ منه : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ ،
٦ منه : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ ، ٧ منه : ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ
وَيُخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ ، ٨ منه : ﴿وَيُطْعَمُونَ فِيهَا مِنْ ثَمَرِهِمْ عَلَىٰ حَيْثُ كَانَ يَرْضَوْنَ
وَيُتِمُّونَ فِيهَا حَقَّهُمْ وَيُسْكَرُونَ بَرْدًا﴾ ، ٢٢ منه : ﴿إِنْ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ .
وسورة الإسراء/ ٣٣ : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ ، ٢٦ منه : ﴿وَآتِي ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ
وَالْمَسْكِينُ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْهُ تَبْذِيرًا﴾ ، ٢٨ منه : ﴿وَأَمَّا تَعْرِضْنِ عَنْهُمْ ابْتَغَاءَ
رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِيسُورًا﴾ ، ٣١ منه : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ
خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاهُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خَطِيئَةً كَبِيرًا﴾ .
وسورة النساء/ ١٠ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي
بَطُونِهِمْ نَارًا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ سَعِيرًا﴾ ، ٤ منه : ﴿وَآتُوا النَّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ =

- والضعفاء : (الأيتام والنساء والمساكين . . . الخ .) في السنة عن رسول الله (ص) من نهج الفصاحة : —
- ٣٠٣٣ — من ضم يتيماً له أو لغيره حتى يغنيه الله عنه وجبت له الجنة .
- ٢٧ — أتحب أن يلين قلبك وتذكر حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك .
- ٨٨ — احب بيوتكم إلى الله بيت فيه يتيم مكرم .
- ٩٥٦ — إني أخرج عليكم حق الضعيفين : اليتيم والمرأة .
- ٨٦٤ — إن في الجنة داراً يقال لها دار الفرح لا يدخلها إلا من فرح يتامى المؤمنين .
- ١٥١١ — خير بيوتكم بيت فيه يتيم مكرم .
- ١٢٢٠ — ثلاث في ظل العرش يوم القيامة : واصل الرحم . . الخ . وذات أيتام . . الخ . وطاعم اليتيم المسكين .
- ١٥١٠ — خير بيت في المسلمين : بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشرهم فيه يتيم يساء إليه ، أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا .
- ١٧٥٧ — الساعي على الأرملة واليتيم كالمجاهد في سبيل الله والقائم الليل والصائم النهار .
- ١٨١٠ — الأشرار ستة وشر المأكل أكل مال اليتيم .
- الأولاد : قال تعالى في سورة الإسراء / ٣١ : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياهم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً ﴾ .

= لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً ﴾ . ١٩ منه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبن ما أتيتهن من أموالهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف ، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ ، و ٢٠ منه : ﴿ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وأنتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً تأخذونه بهتاناً وإثمياً مبيناً ﴾ ، و ٢١ منه : ﴿ وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً ﴾ .

دعاء الإمام السجّاد عليه السلام :

وما أجمل دعاء الإمام السجّاد حفيد رسول الله (ص) وعلي عليه السلام حين يدعو لأولاده دعاءً ملؤه الأدب والأخلاق السامية والحكمة ، وإليك قسمًا مهمًّا منه .

قال : اللهم مُنَّ عليّ ببقاء ولدي وبإصلاحهم لي وبإقناعي بهم ، إلهي امدد لي من أعمارهم وزد لي في آجالهم ، وربّ لي صغيرهم مولى ضعيفهم ، وأصحّ لي أبدانهم ، واديانهم وأخلاقهم ، وعافهم في أنفسهم وفي جوارحهم ، وفي كل ما عُنيْتُ به من أمرهم ، وآذِرْ لي وعليّ يدي أرزاقهم ، واجعلهم أبراراً أتقياء بصراء سامعين مطيعين لك ولأوليائك محبين مناصحين ، ولجميع أعدائك معاندين ومبغضين آمين . اللهم اشدّد بهم عضدي ، وأقم بهم أودي ، وكثر بهم عددي ، وزين بهم محضري وأخيسي بهم ذكرري ، واكفني بهم في غيبيتي ، وأعنيّ بهم على حاجتي ، واجعلهم لي محبين ، وعَلَيَّ حُدين مقبلين ، مستقيمين لي ، مطيعين غير عاصين ، ولا عاقين ، ولا مخالفين ، ولا خاطئين ، وأعني على تربيتهم وتأديبهم وبرّهم ، وهب لي من لدنك معهم أولاداً ذكوراً ، واجعل ذلك خيراً لي ، واجعلهم لي عوناً على ما سألتك ، وأعزني وذريتي من الشيطان الرجيم .

وأقدم أدناه نبذاً من دعاء الإمام السجّاد لأبويه لترى فيه رقة الأدب والأخلاق الكريمة ، قوله عليه السلام :

اللهم صَلِّ على محمد عبدك ورسولك وأهل بيته الطاهرين ، واخصصهم بأفضل صلواتك ورحمتك وبركاتك وسلامك ، واخصص اللهم والديّ بالكرامة لديك ، والصلوات منك يا أرحم الراحمين . اللهم صل على محمد وآله وألهمني علم ما يجب لهما عليّ إلهاماً ، واجمع لي علم ذلك كلّهُ تماماً ، ثم استعملني بما تلهمني منه ، ووفقني للنفوذ فيما

تبصرني من علمه حتى لا يفوتني استعمال شيء علمتني به ، ولا تثقل أركاني
عن الخُفُوفِ فيما ألهمتنه . اللهم صل على محمد وآله كما شرفتنا به ،
وصل على محمد وآله كما وصيت لنا الحق على الخلق بسببه . اللهم
اجعلني أهابهما هبة السلطان العسوف ، وأبرهما بر الأم الرؤوف ، واجعل
طاعتي لوالدي وبري بهما أقر لعيني من رقدة الوسنان ، واثلج لصدري من
شربة الظمان ، حتى أوثر على هواي هواهما ، وأقدم على رضاي
رضاهما ، واستكثر برهما بي وان قل واستقل بري بهما وان كثر . اللهم
خفض لهما صوتي ، وأطب لهما كلامي ، وألن لهما عريكتي ، واعطف
عليهما قلبي وصيرني بهما رفيقاً وعليهما شفيعاً . اللهم اشكر لهما
تربيتي ، وأثبهما على تكرمتي ، واحفظ لهما ما حفظاه مني في صغري .
اللهم وما مسهما مني من أذى وخَلَصَ إليهما عني من مكروه أوضاع قلبي
لهما من حق فاجعله حطّةً لذنوبهما وعلواً في درجاتهما ، وزيادة في
حسناتهما ، يا مبدل السيئات باضعافها من الحسنات .

اللهم وما تعدّيا عليّ فيه من قول أو اسرفا عليّ فيه من فعل أو
ضيعة لي من حق أو قصرا بي عنه من واجب فقد وهبته لهما ، وجدت به
عليهما ورغيت إليك في وضع تبعته عنهما ، فإني لا أتهمهما على نفسي ،
ولا أستبطئهما في بري ، ولا أكره ما تولياه من أمري ، يا ربّ فهما أوجب
حقاً عليّ ، وأقدم إحساناً إليّ ، وأعظم منّةً لديّ من أن أقاصهما بعدل أو
أجازيهما على مثلٍ ، أين إذاً يا إلهي طول شغلهم بتربيتي ، وأين شدّة
تعبهما في حراستي ، وأين اقتارهما على نفسيهما للتوسعة عليّ ، هيهات ما
يستوفيان مني حقهما ، ولا أدرك ما يجب عليّ لهما ، ولا أنا بقاضٍ وظيفة
خدمتهما . فصل على محمد وآله وأعني يا خير من أستعين به ، ووفقني يا
أهدى من رُغِبَ إليه ، ولا تجعلني في أهل العقوق للآباء والأمهات يوم
تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون .

اللهم صل على محمد وآله وذريته ، واخصص أبويّ بأفضل ما

خصصت به آباء عبادك المؤمنين وأمهاتهم يا أرحم الراحمين ، اللهم لا تنسى ذكرهما في ادبار صلواتي وفي آناً من آناء ليلي ، وفي كل ساعة من ساعات نهاري . اللهم صل على محمد وآله ، واغفر لي بدعائي لهما ، واغفر لهما ببرهما بي مغفرةً حتماً وارضى عنهما بشفاعتي لهما رضىً عزماً ، وبلغهما بالكرامة مواطن السلامة . اللهم وإن سبقت مغفرتك لهما فشفعهما فيَّ وإن سبقت مغفرتك لي فشفعني فيهما حتى تجتمع برأفتك في دار كرامتك ومحل مغفرتك ورحمتك ، إنك ذو الفضل العظيم والمن القديم وأنت أرحم الراحمين .

وجاء في السنة من نهج الفصاحة قال صلى الله عليه وآله :

- ٣٦ — اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم كما تحبون أن يبروكم .
- ٣٤٠ — اعدلوا بين أولادكم بالنحل (هدية) كما تحبون أن يعدلوا بينكم بالبر واللفظ .
- ٣٧٠ — أعينوا أولادكم على البر ، من شاء استخرج العقوق من ولده .
- ٤٥١ — اكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم .
- ٥٦٤ — انظروا في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس .
- ١١٣٢ — تخيروا لنطفكم .
- ٧٥٤ — إن الله يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى في القبل . إن لكل شجرة ثمرة وثمره القلب الولد .
- ١٦٦٠ — رحم الله والداً أعان ولده على برّه .
- ١٩٢٣ — إن من حق الوالد على ولده أن يعلمه الكتابة وأن يحسن اسمه وأن يزوجه . و١٣٩٤ منه .
- ١٩٥٤ — علموا أبتاءكم السباحة والرمي والمرأة المغزل .
- ١٥٣١ — خير ما يخلف الإنسان ثلاث : ولد صالح يدعو له ، وصدقة تجري يبلغ أجرها ، وعلم ينتفع به من بعده .

- ١٩٤٠ - عرامة الصبي (رعايته) في صغره زيادة في عقله في كبره .
 ٢٣٧٧ - من عال والديه وولده ومن عال نفسه فكفها عن الناس فهو في جهاد .
 ٣٢٠١ - الولد من ريحان الجنة .
 ٣١٨٥ - ولد الرجل من كسيه من أطيب كسيه فكلوا من أموالهم .
 ٢٢٠٩ - لئن يؤدب رجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع .
 ٣٢٠٠ - الولد ثمرة القلب وانه مجبته ومبخله ومحزنه .
 ٢٦٧٦ - ما من رجل نظر وجه والديه نظر رحمة إلا كتب الله له بها حجة مقبولة مبرورة . و٢٦٢٥ منه .
 ٢٩٥٦ - من أصبح مطيعاً لله في والديه أصبح له بابان مفتوحان من الجنة وإن كان واحداً فواحد .

في الزوجين : وبحثت سورة الطلاق في الآيات : ١ و ٢ و ٦ و ٧ ، وسورة التحريم في الآيتين : ١٠ و ١١ ، وسورة النساء في الآيات ٤ و ١٩ و ٢٣ و ٢٤ و ٣٠ و ٣٨ و ٣٩ نذكر بعضها أدناه^(١) .

(١) النساء/ ١٩ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهماً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما أتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ ، و٢٠ منه : ﴿ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وأتيتم إحداهن قسطاً فلا تأخذوا منه شيئاً تأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ ، و٢١ منه : ﴿ وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً ﴾ ، و٣٤ منه : ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي يخافون نشوزهن فعضوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً ﴾ .

وفي السنة في الزوجين : جاء كثيراً نذكر أدناه بعضاً منها من نهج
الفصاحة : —

٤٥٤ — أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنساءه .
٩٥٦ — إني أخرج عليكم حق الضعفين اليتيم والمرأة .
٧٧٩ — إن الله يوصيكم بالنساء خيراً فإنهن أمهاتكم وبناتكم وخالاتكم .
وقال الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة : المرأة ريحانة
وليست بقهرمانة ، وكذا جاء في نهج الفصاحة عن رسول الله
(ص) :

٤٥٦ — ألا أخبرك بخبر ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة إذا نظر إليها
سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته .
٤٦٠ — ألا أخبركم بنساءكم من أهل الجنة؟ الودود الولود العتود (التي
تسرع للرضا) التي إذا ظلمت قالت : هذه يدي في يدك لا
أذوق غمضاً حتى ترضى كما ورد فيها ٥٣٤ و ٦٢١ و ٧١٠ . وقال
الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة ، الكلمة ١٣١ : جهاد
المرأة حسن التبعل . وجاء في نهج الفصاحة : —
٣٥١ — أعظم الناس حقاً على المرأة زوجها ، وأعظم الناس حقاً على
الرجل أمه .
٢٢٣٧ — لعن الله المسوفات التي يدعوها زوجها إلى فراشه فتقول سوف
حتى تغلبه عيناه . — إن المرأة التي تهجر فراش زوجها تلعنها
الملائكة حتى الصباح .

مكارم الأخلاق في السنة العملية

لقد ثبتت في سيرة رسول الله (ص) في شتى أنواع سيرته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية خلال حياته الزوجية منذ بدأ زواجه الأول مع أم المؤمنين خديجة التي كانت تكبره (١٥) سنة ، فكان لها خير زوج شهدته البشرية من الالفه والمحبة ، وبعدها مع زوجاته الأخرى ، وقد سار معهن سيرة بالغة في الخلق والسلوك الأمثل ، أخص في العهد الذي كان مشغولاً في ادارة أموره الاجتماعية الدينية والسياسية والاقتصادية مع صحابته ، وقامت في بيته الفتن التي لا يسمح لنا المقام هنا بشرحها بعلل غير نسائية محضة ، يشهد بها ما ورد في القرآن الكريم ، وعرضه لكل واحدة منها تريد الطلاق أن يطلقها ويسرحها بمعروف .

وهناك سيرته مع الصحابة بالمفاهمة والمشاورة ووضع أساس التآخي بينهم حتى نزلت الآية الشريفة في سمو أخلاقه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَّانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ وقيامه بمشاورة صحابته في كثير من الموارد ، رغم غناؤه عن ذلك ، ولا تنسى غضبة عمر بن الخطاب (رض) عليه يوم صلح الحديبية^(١) حتى كان

(١) يوم رضي رسول الله (ص) ان من ترك الإسلام عائداً إلى قريش تستبقه عندها وبالعكس من ترك قريش والتحق بالمسلمين يعيده لها ، حتى إذا وقعت الحوادث والتحاق فلولا من قريش بالإسلام ، وقبول إسلامهم على شريطة أن يعودوا ، واتخاذهم مقرأً يهاجمون به قريشاً وبلغ استفحالهم ان طلبت قريشاً من رسول الله قبولهم وضمهم إلى صفه ليشملهم العقد بعدم مهاجمة قريش وتجاريتها .

شكاً منه في نبوته ، فقابله أبو بكر (رض) بغضب قائلاً : «ثق إنه لرسول الله» .

ومقابلة رسول الله لعمر بما يدل على تواضعه وقوله انه لم يعمل سوى الأصلاح ، وسيرى نتيجة ذلك ، حتى إذا عادت قريش نفسها تطلب من رسول الله فسخ هذا الشرط من العقد فوجد عمر أن الحق مع رسول الله (ص) ، واعتراضه على رسول الله بوعده للفتح ، فقال : ستفتح إن شاء الله . ويوم الفتح طلب عمر وأراه صدق وعده . وسلوكه مع أهل مكة يوم الفتح ، وفيهم ما فيهم من ألد أعدائه الذين لما يدخل الإسلام بعد إلى قلوبهم أمثال أبي سفيان ومعاملتهم بتلك المكارم الأخلاقية السامية ومنحه له حرياتهم وأموالهم بعد أن ملكها ومنع التعرض لأي منهم ، وازداد بإكرام أعدائه حتى ظنّت الأنصار به الظنون ، بيد بتلك الأخلاق الكريمة استطاع أن يدرك رضاءهم وإفهامهم بالحقائق .

وهكذا عمل في جميع شؤونه حتى ملك ولايتهم له جسماً وروحاً وضمهم عصبة واحدة متكاتفين متضامنين ، واستطاع بفترة قصيرة يضم الجزيرة العربية جميعها للإسلام ككتلة واحدة لم يسبق لها مثل ، حتى بلغ الأمر أن تسير تلك العجلة التي أسسها والمبادئ التي نظمها أن تفتح بلاد كسرى وقيصر .

وعلى خلاف ما نشر أعداؤه لم تكن غايته سوى نشر السلام والوئام والقضاء على الفقر والحرمان والدفاع لا الهجوم ، ومنع القتل والسلب إلاّ تحاشياً ودفاعاً عن حريم الإسلام والإنسانية مما دلت عليه فتوحه وسلوكه مع الأسرى والغنائم .

وهكذا سار بعده خليفته عليّ في سلوكه الاجتماعي ، وأخص منها عند فتح البصرة التي أثارها من بايعه ونكث وجماعة من مغرضي آل أمية وأتباعهم وإغراء الغفل من الناس بأم المؤمنين .

فنجده عند تقابل الجيشين حرم البدء بالحرب ، وسمح لهم بالدفاع إن هاجموهم ، وهكذا كان ، وقد استطاع بقدرته البيانية وإيمانه أن يفهم جيشه الصغير بالنسبة لعدوه كيف يدافع ويقوده القيادة الحكيمة ، حتى إذا تغلب واندحر خصومه أوقف ومنع متابعة الفارين وغارة البصرة وأعاد لها حرياتهم في منع القتل والسلب وتحرير الأسراء من ألدّ خصومه ، أمثال : مروان بن الحكم وعبدالله بن الزبير ، وتكريم أم المؤمنين عائشة الشائنة على إمام زمانها أمير المؤمنين وخليفة رسول الله حقاً ، وعلى حد قولها في عليّ أحب الرجال إلى رسول الله وإلى الله ، أعادها تحت رعاية أخيها محمد بن أبي بكر مصونة مكربة إلى المدينة ، وهي التي كانت قطب رحى الحرب ، وقتل بأمرها الألوف بل عشرات الألوف منهم صبراً ، ومنهم حرباً ، وما كان ذلك من علي عليه السلام إلاّ لتمسكه بسيرة وسنة رسول الله محمد (ص) القولية والعملية ، في اتباع مكارم الأخلاق .

مكارم الأخلاق (من نهج البلاغة)

كما جاء في كلماته عليه السلام ج/٦ :

في البر والإحسان : (٧٨) قال عليه السلام : قيمة كل امرئ ما يحسنه .

في العفو (١٠) ، قال عليه السلام : إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه ، (وقد فعل ذلك أخص في حروب الجمل) .

في حسن الخلق : (٢٢٠) كفى بالقناعة ملكاً ويحسن الخلق نعيماً .

في القناعة : (٢٢١) سئل عليه السلام عن قوله عز وجل : ﴿ فلنحينه حياة طيبة ﴾ فقال : هي القناعة .

وصايا غيته (٧٩) : أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها اباط الإبل لكانت لذلك أهلاً : لا يرجون أحد منكم إلا ربه ، ولا يخافن إلا ذنبه ، ولا يستحي أحد منكم ان سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ، ولا يستحي أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه ، وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد ، ولا خير في جسد لا رأس له ، ولا في إيمان لا صبر معه .

وصفه للعاقل والجاهل (٢٢٧) : قيل له عليه السلام : صف لنا العاقل؟ قال : هو الذي يضع الشيء في موضعه ، فقيل : فصف لنا الجاهل؟ فقال : قد فعلت .

في الأحمق (٢٨٥) : قال عليه السلام : لا تصحب المائق (الأحمق) فإنه يزين لك فعله ويود أن تكون مثله .

في المعاشرة (٨) : قال عليه السلام : خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكو عليكم ، وإن عشتهم حنوا عليكم .

وصايا للحسن عليه السلام (٣٧) : قال عليه السلام : يا بني احفظ عني أربعاً وأربعاً لا يضرّك ما عملت معهن : إن أغنى الغنى العقل ، وأكبر الفقر الحمق ، وأوحش الوحشة العجب ، وأكرم الحسب حسن الخلق . يا بني إياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرّك ، وإياك ومصاحبة البخيل ، فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه ، وإياك ومصادقة الفاجر ، فإنه يبيعك بالتافه ، وإياك ومصادقة الكذاب ، فإنه كالسراب يقربُ عليك البعيد ويبعد عليك القريب .

في الإمام وأدب سلوكه (٧٠) : من نصب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم ، (ولا شك وان هذا يشمل الأب مع أولاده ، والمعلم مع تلامذته ، والرئيس مع مرؤوسيه ، والواعظ مع المتعظين . الخ) .

طريق السعادة (٨٦) : قال عليه السلام : من أصلح بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن أصلح آخرته أصلح الله له أمر دنياه . ومن كان له من نفسه واعظ كان من الله عليه حافظ .

تعقل العلم (٩٤) : قال عليه السلام : اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية ، فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل .

وقال متعجباً (١٢١) : قال عليه السلام : عجبت للبخيل يستعمل الفقر الذي منه هرب ، ويفوته الغنى الذي إياه طلب ، فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء . وعجبت للمتكبر الذي كان بالأمس، نطفة ويكون غداً جيفة . وعجبت لمن شك في الله وهو

يرى خلق الله . وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى من يموت . وعجبت لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى . وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء .

خلق مزرية (٢) : قال الإمام عليه السلام : ازري بنفسه من استشعر الطمع ، ورضي بالذل من كشف عن ضرر ، وهانت عليه نفسه من أمر عليها لسانه .

ومن حكمه في ذم البخل والجبن والفقر (٣) : البخل عار ، والجبن منقصة ، والفقر يخرس الفطن عن حجته ، ونعم القرين الرضا .

وقال في العجز والصبر والشجاعة والزهد (٤) : العجز آفة ، والصبر شجاعة ، والزهد ثروة ، والورع جنة ، ونعم القرين الرضا .

وعن العلم والأدب والبشاشة (٥) : العلم وراثه كريمة ، والآداب حلل مجددة ، والفكر مرآة صافية ، والبشاشة حباله المودة .

سر العاقل وذم العجب (٦) : صدر العاقل صندوق سر ، من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه .

في السلوك الحسن (١٠) : خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم وإن عشتهم حنوا عليكم .

في العفو (١١) : إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للمقدرة عليه .

في اكتساب الأصدقاء (١٢) : أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان ، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم .

في وصف العاقل (٢٣٥) : العاقل من وضع الشيء في موضعه .

في الشكر لزيادة النعم (١٣) : إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقله الشكر .

رفع ذوي المروءات (٢٠) : اقبلوا ذوي المروءات عثراتهم فما يعثر منهم عاثر إلا ويد الله بيده يرفعه .

في التحذير والجد (٢١) : قرنت الهيبة بالخيبة ، والحياء بالحرمان ،
والفرصة تمر مر السحابة ، فانتهبوا فرص الخير .

التحريض على العمل (٢٣) : من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه .

الدعوة للبر والإحسان (٢٤) : من كفارة الذنوب العظام ، اغاثه
الملهوف والتنفس عن المكروب .

اضمر دائماً خيراً (٢٦) : ما اضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات
لسانه وصفحات وجهه (أقول : فحسن ظنك دوماً واضمر الخير لكل
فرد) .

السماحة والتقدير (٣٣) : كن سمحاً ولا تكن مبذراً ، وكن مقدراً
ولا تكن مقتراً .

أحسنوا مع الجميع (٣٥) : من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه
بما لا يعلمون .

ابدأ بالواجب (٣٩) : لا قربة بالنوافل إذا أخرت بالفرائض .

في النطق (٤١) : قلب الأحق في فيه ولسان العاقل في قلبه
(والكلام صفة المتكلم) .

إياك والعجب وكن متواضعاً (٤٦) : سيئة تسوؤك خير عند الله من
حسنة تعجبك .

العفو أقرب للتقوى (٥٢) : أولى الناس بالعفو أقدرهم على
العقوبة .

بارك الله بالعقل والأدب والمشاورة (٥٤) : لا غنى كالعقل ولا فقر
كالجهل ولا مرآت كالأدب ولا ظهير كالمشاورة . و (٧٠) منه : لا ترى
الجاهل إلا مفراطاً ومفرطاً .

اصبر في كسب الخير ودفع الشر (٥٥) : الصبر صبران صبر على
ما تكره ، وصبر عما تحب .

ما هو مال لا ينفذ (٥٧) : القناعة مالا لا ينفذ . و (١٧١) منه :

كم من أكلة منعت أكالات (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) .
التحذير بشارة (٥٩) : من حذر كمن بشر .
لا تطلب من لثيم (٦٦) : فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها .
انفق وان قل (٦٧) : لا تستحي من اعطاء القليل فالحرمان أقل منه . و(٦٨) منه : العفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى .
عليكم بالحكمة (٨٠) : الحكمة ضالة المؤمن ، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق .
ما هي قيمة المرء (٨١) : قيمة كل امرئ ما يحسنه . و(٨٩) منه : من كان له من نفسه واعظ ، كان عليه من الله حافظ (فكن دوماً معلماً وواعظ نفسك) .
الخير في حسن العافية (٢٢١) : شتان ما بين عمليين ، عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤنته ويبقى أجره .
في نيتك وقولك وعملك (١٢٣) : طوبى لمن ذل نفسه وطاب كسبه وصلحت سريرته وحسنت خليفته ، وأنفق المفضل من ماله ، وأمسك الفضل من لسانه ، وعزل عن الناس شره ، ووسعته السنة ، ولم ينسب إلى البدعة .
ما هو جهاد المرأة؟ (١٣٦) : جهاد المرأة حسن التبعل (أقول ومنه تربية الأطفال) .
ما قيمة التودد إلى الناس ٣ (١٤٢) : التودد نصف العقل . و(١٤٣) و(١٧٧) منه : ازجر المسيء بثواب المسحون .
اقطع الشر (١٧٨) : احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك .
عائب ورد الشر بالإحسان (١٥٨) : عائب أخاك بالإحسان إليه وارد شره بالإنعام عليه .

اتقوا مواضع التهم (١٥٩) : من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من أساء الظن به .

شارك العقلاء بمشاورتهم (١٦١) : من استبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها .

لا طاعة بمعصية الله (١٦٢) : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع (من صبر ظفر) .

ان لمعروفك معروفاً (٢٠٤) : لا يزهدنك في المعروف من لا يشكر ذلك ، فقد يشكرك عليه من لا يستمتع بشيء منه .

وعاء العلم يتسع (٢٠٥) : كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلاّ وعاء العلم فإنه يتسع به .

الناس أنصار الحليم (٢٠٦) : أول عوض الحليم من حلمه أن الناس أنصاره على الجاهل .

ما يهدم الرأي (٢٠٩) : الخلاف يهدم الرأي و (٢٢٠) منه : ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن (لا شك مع ثقة) .

حاول رد سوء الظن (٢٢٢) : من أشرف أعمال الكريم غفلته عما يعلم (من إساءة من أساء إليه) .

لا تطمع تُذَل (٢٢٦) : الطامع في وثاق الذل .

ما هو الإيمان؟ (٢٢٧) : الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان .

خيرة صفات النساء (٢٣٤) : خيار خصال النساء شرار خصال الرجال ، الزهو والجبن والبخل ، فإذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها ، وإذا كانت بخيلة حفظت مالها وما لبعلها ، وإذا كانت جبانة مزقت من كل شيء يعرض لها .

مقام الكرم (٢٤٧) : الكرم أعطف من الرحم . و (٢٤٨) منه : من ظنّ بك خيراً فصدق ظنه .

الحدة والجنون (٢٥٥) : الحدة ضرب من الجنون لأن صاحبها يندم
فإن لم يندم فجنونه مستحكم .

من الوصايا القيمة (١١٣) : لا مال أعود من العقل ، ولا وحدة
أوحش من العجب ، ولا عقل كالتدبير ، ولا كرم كالتقوى ، ولا قرين
كحسن الخلق ، ولا ميراث كالأدب ، ولا تجارة كالعمل الصالح ، ولا
ورع كالوقوف عند الشبهة ، ولا علم كالتفكر ، ولا إيمان كالحياء والصبر ،
ولا حسب كالتواضع ، ولا شرف كالعلم ، ولا عز كالعلم ، ولا مظاهره
أوثق من المشاورة .

طرفاً من عظاته لمن طلب أن يعظه (١٥٠) : لا تكن ممن يرجو
الآخرة بغير العمل ، وينهى ولا ينتهي ، ويأمر بما لم يأت ، يحب
الصالحين ولا يعمل عملهم ، ويبغض المذنبين وهو أحدهم ، تغلبه نفسه
على ما يظن ، ولا يغلبها على ما يستيقن ، يقصر إذا عمل ، ويبالغ إذا
سأل ، يصف العبرة ولا يعتبر ، ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ ، يستعظم
من معصية غيره ، ما يستقل أكبر منه من نفسه فهو على الناس طاعن ،
ولنفسه مداهن ، يحكم على غيره لنفسه ، ولا يحكم عليها لغيره ، يرشد
غيره ويغوي نفسه . و (٢٨٧) منه : إذا أرذل الله عبداً حَظَرَ عليه العلم .

حسن ظنك (٣٦٠) : لا تظن بكلمة خرجت من أحد سوءاً وأنت
تجد لها في الخير محملاً .

احفظ لسانك (٣٨١) : الكلام في وثاقتك ما لم تتكلم به فإذا
تكلمت به صرت في وثاقه ، فرب كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة .
و (٣٩٤) : رب قول أنفذ من صول . و (٤١٠) منه : التقى رئيس
الأخلاق . و (٤١١) منه : لا تجعل درب لسانك على من أنطقك ،
وبلاغة قولك على من سددك .

كن مؤدباً (٤١٢) : كفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك .

عزة النفس (٤٤٩) : من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهواته .
و (٤٦١) منه : الغيبة جهد العاجز .

خير العفو من قدر (٤٧٤) : ليس المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً
ممن قدر فعفى ، لكاد العفيف أن يكون ملكاً من الملائكة .

ذكرنا فيما مرّ عن مكارم الأخلاق التي حكم به العقل على لسان
الحكماء والعلماء ، وما ورد على لسان الأنبياء في الكتب السماوية اخص
القرآن المجيد ، وما جاء عن السنة النبوية القولية والفعلية ، كما ذكر
كلمات قصار لخليفة رسول الله (ص) أمير المؤمنين علي (ع) مما ورد في
نهج البلاغة ، وبالتالي نذكر شيئاً عن مكارم الأخلاق التي جاء بها الإمام
السجاد حفيد رسول الله وعلي عليه السلام ذكرها على شكل دعاء واستغاثة
ارشاداً ونصيحة وتوجيهاً للمسلمين في عهد إمارة بني أمية التي تزعمت
منصب الخلافة قهراً وحاولت انحراف النهج الإسلامي ، والطعن بآل البيت
ووقف نشاطهم السياسي ، ذكرها الإمام السجاد في مجموعة من الأدعية
المشحونة الأخلاق السامية والآداب الإسلامية أذكر أدناه نبذاً مما ورد في
دعائه حول مكارم الأخلاق : قال عليه السلام :

دعاء مكارم الأخلاق :

اللهم صل على محمد وآله ، وانه بنيتي إلى أحسن النيات ويعملي
إلى أحسن الأعمال ، واستعملني بما تسألني غداً عنه ، ولا تبتلني بالكبر ،
ولا تفسد عبادتي بالعجب ، وأجر للناس على يدي الخير ، ولا تمحقه
بالمن ، وهب لي معالي الأخلاق ، واعصمني من الفخر ، ولا ترفعني في
الناس درجة إلا حططتني عند نفسي مثلها ، ولا تحدث لي عزاً ظاهراً إلا
أحدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها ، ومتعني بهدى صالح لا أستبدل
به وطريقة حق لا أزيغ عنها ، ونية رشد لا أشك فيها ، ووفقي لطاعة من
سددني ، ومتابعة من أرشدني ، وسددني لأن أعارض من غشني بالنصح ،
وأثيب من حرمني بالبذل ، وأكافئ من حرمني بالصلة ، وأخالف من

اغتابني إلى حسن الذكر ، واشكر الحسنة ، واغض عن السيئة ، وحلني بحلية الصالحين ، وألبسني زينة المتقين ، في بسط العدل ، وكظم الغيظ ، وإطفاء النائرة ، وضم أهل الفرقة ، وإصلاح ذات البين ، وستر العائبة ، ولين العريكة ، وحفظ الجناح ، وحسن السيرة ، وطيب المخالقة ، والسبق إلى الفضيلة ، وإيثار التفضل ، وترك التعيير ، والافضال على غير المستحق ، والقول بالحق وإن عز ، واستقلال الخير وإن كثر من قولي وفعلي ، واستكثار الشر وإن قل من قولي وفعلي ، واكمل ذلك لي بدوام الطاعة ، ولزوم الجماعة ، ورفض أهل البدع ، ولا تبتلني بالكسل عن عبادتك ولا العمى عن سبيلك ، فصل على محمد وآله ، وتفضل عليّ اللهم وانطقني بالهدى ، وألهمني التقوى ، ووفقني للتي هي أزكى ، واستعملني بما هو أَرْضَى ، اللهم وأسألك بي الطريقة المثلى ، واجعلني على ملتك أموت وأحيى ، ومتّعني بالاقتصاد ، واجعلني من أهل السداد ، ومن أدلة الرشاد ، ومن صالح العباد ، وارزقني فوز المعاد .

اللهم وعندك مما فات خلف ، ولما فسد صلاح ، فامن عليّ قبل الضلال بالرشاد ، وامنحني حسن الإرشاد ، ووفقني إذا اشتكلت عليّ الأمور لأهداها ، وإذا تشابهت الأعمال لأزكاها ، وإذا تناقضت الممل لأرضاها ، وهب لي صدق الهداية ، وامنعي من السرف ، وحصن رزقي من التلف ، وارزقني علماً في استعمال ، وورعاً في إجمال ، وسهلاً إلى بلوغ رضاك سبيلي ، وحسن في جميع أحوالي عملي ، وانهج لي إلى محبتك سبيلاً سهلاً أكمل لي بها خير الدنيا والآخرة .

مكارم الأخلاق عملاً

أما مكارم الأخلاق في السنة العملية التي جاء بها الرسول الأكرم فما أبدعها وما أجدر بنا اقتداء سبيله وسيرته بدقة في كل واحدة منها .

وسنذكر منها طرفاً ، جاء في رياض الصالحين ص ٢٢ عن جابر بن عبد الله (رض) قال : كنا مع رسول الله (ص) بذات الرقاع ، وكنا إن أتينا شجرة ذات ظل تركناها لرسول الله (ص) ، وفي مرة ورسول الله وحده جاءه رجل من المشركين ، وسيف رسول الله (ص) معلق بالشجرة فاخترطه ، ودنى من رسول الله وقال : تخافني؟ فأجابه رسول الله (ص) : لا . فقال الرجل : فمن يمنعك مني؟ فأجابه رسول الله (ص) : الله . فسقط السيف من يده ، فأخذه رسول الله (ص) وقال : من يمنعك مني؟ فأجابه الرجل ، كن خير آخذ ، فقال رسول الله (ص) : تشهد أن لا إله إلا الله واني رسول الله؟ فقال الرجل : لا ، ولكنني أعاهدك أن لا أقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، فخلّى رسول الله (ص) سبيله .

وأتى المشرك أصحابه فقال : جئتم من عند خير الناس .

ولا شك وان تلك خلق الإسلام الأصيلة التي يؤيدها كتاب الله في مواقع كثيرة منها في سورة الكافرين ومنها في سورة البقرة قوله تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ ، وقوله : ﴿ إنا هدينه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ ، وهذا يدل أن الإسلام دائماً لا يقصد القتل والأذى ، وإنما ينشر السلام والتعاليم الفاضلة ، وما حصل من حرب

وقتل إنما كان دفاعاً واتقاءً لشر الأعداء المهاجمين والكائذين ويكفيها فتح مكة دليلاً .

قد جاء في كتاب مكارم الأخلاق ص ٢٣ عن علي عليه السلام في حديث يصف مكارم أخلاق رسول الله (ص) قال : « وما سؤال شيئاً قط؟ فقال : لا . وما رد سائلاً حاجة قط إلا بها أو بميسور من القول » .

ومن الأخلاق الفاضلة رعاية المدخل والمخرج والمجلس والسلوك والمعاملة ، فقد جاء عن كتاب سنن النبي صلى الله عليه وآله ص ١٤ وكتاب مكارم الأخلاق ص ١٢ مأخوذاً من كتاب « محمد رسول الله (ص) » للجنة التأليف في دار التوحيد عن الحسين بن علي عليهما السلام قال : سألت أبي عن مدخل رسول الله (ص) فقال : كان دخوله في نفسه مأذوناً في ذلك ، فإذا آوى إلى منزله جزأً دخوله ثلاثة أجزاء : جزء لله ، وجزء لأهله ، وجزء لنفسه . ثم جزأً جزأه بينه وبين الناس ، فيرد بذلك بالخاصة على العامة ، ولا يدخر عنهم منه شيئاً ، وكان من سيرته في جزء الأمة : إثارة أهل الفضل بأدبه وقسمه على قدر فضلهم في الدين ، فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج ، فيشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم ، والأمة من مسألته عنهم ، وبأخبارهم بالذي ينبغي ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، وابلغوني في حاجة من لا يقدر على ابلاغ حاجته ، ومضى الحسين عليه السلام قائلاً : فسألته عن مخرج رسول الله (ص) كيف كان يصنع فيه : فقال عليه السلام : كان رسول الله (ص) :

(١) يخزن لسانه إلا فيما يعنيه .

(٢) ويؤلفهم .

(٣) ولا يفرقهم .

(٤) ويكرم كريم كل قوم ويوليهم عليهم

(٥) ويحذر الناس الفتن .

(٦) ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحداً بشاره ولا خلقه .

- (٧) ويتفقد أصحابه .
- (٨) ويسأل الناس عما في الناس .
- (٩) فيحسن الحسن ويقويه .
- (١٠) ويقبّح القبيح ويوهنه .
- (١١) معتدل الأمر غير مختلف .
- (١٢) لا يغفل مخافة أن يملوا .
- (١٣) لكل حال عنده عتاد .
- (١٤) لا يقصر عن الحق ولا يجوزه .
- (١٥) الذين يلونه من الناس خيارهم .
- (١٦) أفضلهم عنده أعمهم نصيحة .
- (١٧) وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة .

قال : فسأله عن مجلسه ؟ فقال :

كان رسول الله (ص) : لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر الله جلّ اسمه ، ويوطن الأماكن ، وينهي عن إيطانها (أي لا يتخذ لنفسه مجلساً يتميز به) وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ، ويأمر بذلك ، يعطي كلاً من جلسائه نصيبه ، حتى لا يحسب جلسيه أن أحداً أكرم عليه منه ، من جالسه أو قاومه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس منه بسطه وخلقه ، فكان لهم أباً ، وصاروا عنده في الحق سواء .

مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ، ولا يوهن فيه الحرم ، ولا تغشى فلتاته ، متعادلون متفاضلون ، يوقرون فيه الكبير ، ويرحمون فيه الصغير ، ويؤثرون ذا الحاجة ، ويحفظون الغريب .

وأما سيرته (ص) مع جلساءه كما نقل الحسين عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال : « كان رسول الله (ص) دائم البشر، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب (من الصخب أي شدة الصوت) ، ولا فحاش ، ولا عيَّاب ، ولا مدَّاح ، يتغافل عما لا يشتهي ، فلا يؤسي منه ولا يخيب فيه مؤمليه ، قد ترك نفسه من ثلاث : المرء والاكتار ومما لا يعنيه . وترك الناس من ثلاث : كان لا يذم أحداً ولا يعيِّره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما يرجو قوله . إذا تكلم أطرف جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير ، فإذا سكت تكلموا ، ولا يتنازعون عنده الحديث ، متى تكلم انصتوا له حتى يفرغ في منطقه وحديثهم عنده حديث أولهم ، يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يتعجبون منه ، ويصبر للغريب على الجفوة مسألتة ، حتى إن كان أصحابه يستجلبونهم ، ويقول : إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فارفدوه ، يقبل الثناء إلا من مكافئ ، ولا يقطع على أحد حديثه ، حتى يجوز فيقطعه بانتهاء أو قيام » .

وعن علي عليه السلام في أدبه مع قومه قال : وما صافح رسول الله (ص) أحداً قط فنزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده ، وما فاوضه أحد قط في حاجة أو حديث ، فانصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف ، وما نازعه أحد الحديث فيسكت حتى يكون هو الذي يسكت ، وما روي مقدماً رجله بين يدي جليس له قط » .

وجاء في الكافي ج ٢ ص ٦٧١ عن الإمام جعفر الصادق : « كان رسول الله (ص) يقسم لحظاته بين أصحابه فينظر إلى ذا ، وينظر إلى ذا بالسوية ، ولم ييسط رسول الله رجليه بين أصحابه قط ، وإن كان ليصافحه الرجل ، فما يترك رسول الله يده من يده حتى يكون هو التارك ، فلما فطنوا لذلك كان الرجل إذا صافحه مال بيده فنزعها من يده » .

وجاء في كتاب سنن النبي ص ٦٠ عن علي عليه السلام قال :

« كان رسول الله (ص) ليسر الرجل من أصحابه إذا رآه مغموماً بالمداعبة » .

ذلك ما جاء في سنن النبي (ص) ص ٦٠ في كشف الريبة للشهيد الثاني .

وجاء في مكارم الأخلاق ص ١٦ عن أنس بن مالك أن رسول الله (ص) مرّ على صبيان فسلم عليهم ، كما جاء في نفس المصدر ص ٥٢ عن أسماء بنت زيد قالت : « إن النبي (ص) مرّ بنسوة فسلم عليهن » . . عن أنس أيضاً : « لقد كان رسول الله (ص) يدعو أصحابه بكناهم إكراماً لهم واستمالة لقلوبهم ، ويكنى من لم يكن له كنية ، فكان يدعى بما كناه له ويكنى أيضاً النساء اللواتي لهن أولاد واللاتي لم يلدن ويكنى الصبيان فيستلين به قلوبهم ، وكان (ص) يكلم الناس كل على قدر عقله وهو القائل : « انا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم » . جاء في الروضة وفي الكافي ص ٢٦٨ .

وجاء في كتاب الوفاء ج ٢ ص ٤٢١ ومكارم الأخلاق ص ١٧ عن أنس قال : كنت أمشي مع رسول الله وعليه برد نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه اعرابي فجذبه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله (ص) قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ، ثم قال : يا محمد مرني من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه رسول الله (ص) ثم ضحك ثم أمر له بعتاء .

وجاء في كتاب المحجة ج ٤ ص ١٢٩ أنه قيل له في القتال : ادع الله على المشركين ، فقال (ص) : إنما بعثت رحمة مهداة ، لم أبعث لعناً .

وما أعظم حلمه وعفوه يوم فتح مكة ، يوم تملك أشد أعداءه بطشاً به وبصحابته من قتل وسلب وتشريد وتعذيب ومطاردة وإثارة الحروب بقصد قتله واستئصال شأفة الإسلام بكل ما لديهم من قدرة مادية ومعنوية ،

وتحريض . وبعد الحروب الدامية والفتك بأعز صحابته وأخص بني عمومته .

ولكنه وقف على باب الكعبة بعد الفتح يخاطب قريشاً قائلاً : يا معشر قريش ماذا تقولون ، وماذا تظنون اني فاعل بكم؟ قالوا : خيراً . أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال (ص) : أقول كما قال أخي يوسف : لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، اذهبوا فأنتم الطلقاء .

وبذلك تتجلى أسمى معاني الخلق الكريمة من حلم وعفو وإحسان وبر درجة لم يسبقه بها سابق ، ولا لاحق ، تلك الخلق النبوية البالغة في العظمة ، وبهذا امتدحه الله في كتابه المجيد بقوله : ﴿ وإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾ ، وأي قدوة لنا أعظم منه في هذه السجاياء الإسلامية الإنسانية السامية من حلم وصبر أمام الشدائد من جوع وفقر وأهوال الحروب والمكائد وإدارة شؤون مدينة يحيطها الأعداء من الداخل والخارج ، من مشركين ومنافقين ومردة أهل الكتاب ، وضعف صحابته المادية والمعنوية التي قومها بحكمته وحلمه وإرادته وتجلده . .

جاء في مكارم الأخلاق ص ١٧١ عن ابن عباس : ان رسول الله (ص) دخل عليه عمر وهو على حصير قد اترقى جنبه ، فقال : يا نبي الله لو اتخذت فراشاً! فقال (ص) : ما لي والدنيا وما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة منها ، ثم راح وتركها .

وجاء في كتاب الوفاء ص ٤٨٠ ج ٢ عن عمر قال : لقد رأيت رسول الله (ص) يقبل اليوم يتلوى ما يجد دقلاً يملأ به بطنه ، ومن نفس المصدر عن أنس بن مالك : جاءت فاطمة بكسرة خبز إلى النبي (ص) فقال : ما هذه يا فاطمة؟ قالت : قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى آتيك بهذه الكسرة ، فقال (ص) : اما انه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام .

وما أجمل أخلاقه السامية المشغوفة ببيانه الحكيم لإصلاح أمور أمته وجمع شملهم ، ومن أمثالها ما جاء في كلمة الرسول الأعظم ص ٢٢٣ والرسول ج ١ ص ١٢٤ لأحمد بن حنبل ، والتي نقلها لآعيان الشيعة ج ٢ ص ١٩٤ الإمام الحجة المحقق السيد محسن الأمين ، لما وجد الانصار بعد معركة حنين من اكرام النبي من الغنائم للمؤلفة قلوبهم ولمسلمي بعد الفتح بينما أصاب الأنصار منه القليل قائلين لقد لقي رسول الله قومه . فبلغ ذلك النبي (ص) فجمعهم وقام فيهم خطيباً ، ثم حمد الله عليه وقال :

« يا معشر الأنصار ما مقالة بلغتني عنكم وموجدة وجدتموها؟ إني سائلكم عن أمر فأجيبوني : أستم كتم ضللاً فهداكم الله بي؟ . ألم تكونوا على شفا حفرة من النار فأنقذكم الله بي؟ . ألم تكونوا قليلاً فكثركم الله بي؟ . عالة فأغناكم الله بي؟ وأعداء فألف قلوبكم بي؟ .

قالوا بلى والله ، فله ولسوله المن والفضل .

فقال : ألا تجيبوني بم عندكم؟

قالوا : بم نجيبك فداك آباؤنا وأمهاتنا؟ قد أجبناك بأن لك الفضل والمن والطول علينا .

قال : أما لو شئتم لقلتم فصدقتم : وأنت قد جئتنا مكذباً فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فأويناك وخائفاً فأمنناك ، وعائلاً فأسيناك .

فارتفعت أصواتهم بالبكاء ، وقاموا معتردين يقبلون يديه ورجليه ، قائلين : رضينا بالله وعنه وبرسوله وعنه . وهذه أموالنا بين يديك ، فإن شئت فاقسمها على قومك ، وإنما قال من قال منا على غير وعر صدر وغل في قلب ، ولكنهم ظنوا سخطاً عليهم وتقصير بهم ، وقد استغفروا الله من ذنوبهم فاستغفر لهم يا رسول الله .

فقال (ص) : اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار .

يا معشر الأنصار : أما ترضون أن يرجع غيركم بالشاة والنعم ورجعتم أنتم ومن سهمكم رسول الله؟ قالوا : رضينا بالله رباً ورسوله قسماً .

تلك كلمة قالها وهو في أوج نصره ، بيد كيف استمالهم وكيف تواضع في كلامه واستلان وهو يبدي حقائق لا تنكر حتى أعادهم أوفياء مخلصين منيبين ، وأوداء صادقين بتلك اللهجة المنبعثة عن نفس جبلت على الصدق والصفاء والنجدة والوفاء ، والحب والاخاء ، والتواضع والسخاء ، حتى أعاد قلوبهم صافية زائفة ولودة متسابقة عالقة ؛ والكلام صفة المتكلم .

وجاء في تحف العقول ص ٣٢ عن النبي (ص) قوله : « أقربكم مني غداً في الموقف أصدقكم للحديث وأداكم للأمانة ، وأوفاكم بالعهد ، وأحسنكم حلقاً وأقربكم من الناس » .

وفي صفحة ٣٤ منه قوله (ص) : « ود المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الإيمان ، ومن أحب في الله ، وأبغض في الله ، وأعطى في الله ، ومنع في الله فهو من الأصفياء » .

وعن ناسخ التواريخ ج ٣ ذكر في كلمة الرسول الأعظم ص ٨٨ قوله (ص) : « من تعلم العلم للتكبر مات جاهلاً ، ومن تعلمه للقول دون العمل مات منافقاً ، ومن تعلمه للمناظرة مات فاسقاً ، ومن تعلمه لكثرة المال مات زنديقاً ، ومن تعلمه للعمل مات عارفاً » .

الأصل الثاني فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

ومن ضمن قواعد المجتمع الذي نعيش أن عصرنا هو عصر التخصص، فالمجالات العلمية والعملية والفنية بات لكل منها متخصصون يدرسون أساليب العمل والتعامل في هذا المجال. ولما كانت سمة عصرنا الحاضر التخصص فقد بات لكل مجال متخصصون هم القائمون على هذا المجال وبات علينا التعامل مع هؤلاء كل في مجال اختصاصه، فالطبيب المتخصص في مداواة الجسم البشري غير الميكانيكي المتخصص في إصلاح الأعطال الميكانيكية أو الكهربائي المتخصص في الكهرباء، وقد يكون أثر الميكانيكي أشد من الطبيب فخطأ الميكانيكي المتخصص في الطائرات قد يؤدي إلى قتل جماعة إن أخطأ في إحكام آلة قد تكون بسيطة هذه قد تؤدي إلى سقوط الطائرة وتحطيمها بما فيها، هذه المسؤولية تلاحق كل متخصص متعمد أو متهاون في عمله صغيراً كان أو كبيراً. حتى ذوي الحرف وقد قيل شرعاً التاجر فاجر إن لم يتفقه، فانحراف التاجر قد يؤدي إلى أخذ الربا، أو التلاعب بالمقياس والكيل أو الاحتيال في الوقت أو تحويل شيء مكان آخر أو مقدار مكان آخر أو أموراً كثيرة أخرى تسبب الإضرار بالغير. وأمر التخصص ضروري في جميع المجالات للفرد والشركات والجمعيات وحتى بدوائر الدولة يجب أن يعهد كل فرع وشعبة لتخصصه العالم الأمين والمجد المخلص للملة والدين.

لذا نرى باب التقليد والاجتهاد مفتوحاً في الفقه الجعفري الإسلامي وقد فرض قيود عظيمة في عمل كل فرد واختصاصه.

الأصل الثالث : المسؤولية الفردية

حتى لتجده يقول الشارع الحكيم في جملة : « كلّم راعٍ وكل مسؤول عن رعيته » هذه الكلمة الاجتماعية الصغيرة البالغة من الأهمية مبلغاً يدركه علماء الاجتماع وعلماء القانون والنفس ، أي مسؤولية وضعها المشرع الإسلامي على كل فرد يراعي فيها سير خطواته ومعاملته وسلوكه مع نفسه والغير ، قريباً كان هذا أو بعيداً .

وإننا نجد هذه الجمل أصولاً اجتماعية لا تنفك تلازم كل فرد في خطواته الاجتماعية فلا يستطيع أن يقول لا أدري أو لا أعلم ، وعليه أن يكون واعياً في نفسه وأهله وقريته ومدينته وعمله في صحبته في قوله وفعله وفي وظيفته ومهنته في كل حركة من حركاته وسكناته تجاه نفسه وغيره ، كل ذلك بغية جلب الخير للنفس والغير ، ودفع الشر ، هذه المسؤولية الجزائية تبلغ أشدها في الإسلام ، فقد يقر المرء في الأمم والعقائد الأخرى إن استطاع في دقة متناهية أن يقوم بعمل بغية منفعة خاصة أن يصيب آخر أو آخرين باضرار دون أن يدع مجالاً للشك من الرقابة القانونية أو يؤخذ بها ، بيد في الإسلام تلاحقه تلك فالإسلام يلاحق هذا الفرد ويفرض عليه رقيباً يراقب حتى الحسنة ، ويشبه عليها ، ونواياه السيئة . وهذه تبقى عالقة به يؤخذ عليها عند القيام بها ، هذا الرقيب هو الله الذي أشد خفاءً وصلة بالفرد من الضمير ووخزه والوجدان ونقده ، هو الله الواقف

على السراء والضراء ، المعطي والمقاصص ، الخير المحيط ، الواقف على النفس وخلجاتها وغاياتها ومراميها ، الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها حتى قال : ﴿ وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفصيلاً ﴾ ، مر ذكرها فمن لم يقاصص بنواياه وأقواله وأفعاله في هذه الدنيا فهي تلاحقه في اخره ، وقد وجدنا أن العقيدة بيوم القيامة يوم القصاص يوم البعث إحدى أصول العدل الإلهي .

أصل السنة النبوية في قوله : « كلكم راعٍ وكلٌ مسؤول عن رعيته » الأقرب فالأقرب ، فالمرء مسؤول عن نفسه وكيف هذبها ، من العلوم والاختيارات والتجارب والصحبة والمعاشرات والسلوك .

وكيف عودها من عادات في السلوك والمرادة والملذات والمأكول والمشرب ، وكيف أحسن لنفسه في كل واحدة منها أو أساء في كل ناحية من نواحي الحياة ، حتى لتجد الله يؤاخذ الناس على ظلمهم أنفسهم ، ونذكر آية منها أدناه :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُم الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجَرُوا فِيهَا أُولَئِكَ مَاوَاهُم جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ .

وقول رسول الله (ص) : « لا تسكنوا بلدة يحكمها ظالم » .

وقد أوردنا في العدالة آيات وسنن هذه ربما كانت أقل المسؤوليات ، وهناك المسؤولية تجاه الأصدقاء ، والمسؤولية تجاه أفراد العائلة ، تجاه الأبوين أو الاخوة أو كان رب عائلة تجاه زوجته وأولاده ، والمسؤولية تجاه من تعاشره ، والمسؤولية تجاه من تعاملهم ، المسؤولية تجاه من تعلمهم وتدرّبهم ، والمسؤولية تجاه من تعيلهم ، والمسؤولية تجاه الحكومة ، والمسؤولية تجاه المجتمع الإسلامي أو المجتمع الإنساني ، وحتى المسؤولية تجاه الأحياء من حيوان ونبات ، والمسؤولية تجاه الأجيال الحاضرة والماضية والمقبلة .

الأصل الرابع : المساواة بين الناس

وهذا يذكرني بجملة بالغة في الأهمية جاءت في عهد مالك الأشتر ،
عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيثما ولاه مصر ، حيث
يقول فيها : كيف يدير أمر رعيته ويحسن ولايته عليهم في قوله : (والناس
إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق) انظر إلى هذه العبارة الفائقة
في الجمال والكمال كيف يضع الأسس الاجتماعية الإنسانية (والرفق
بالرعية .

والآية هذه في القرآن : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾
كما لها أهميتها في كافة النواحي العلمية والعملية المارة الذكر ، لها
أهميتها في الشؤون السياسية والاجتماعية والقدرية ، وجميع الشؤون
الفقهية بما فيها من أصول الدين وفروعه في الأصول المارة ، والعبادات
والمعاملات والأحوال الشخصية ، والشؤون الشخصية ، والموارد
القضائية ، وحيث ان الزعيم يجب أن يكون فقيهاً ذو تقوى في الإسلام ،
هو الزعيم الأعلى ، والمرجع الأسمى في كل الشؤون ، كان لزوماً أن
يكون هذا خليفة حقاً لرسول الله وأن يكون من أعلم الأمة وأتقاهم
وأعظمهم حنكة وحكمة وتجربة ، وأنفذهم إرادة وتصميماً في الأمور
وأوسعهم صدرأ وخبرة وبصيرة الأمور ، وأقدرهم دراية بإسناد الأمور لذويها
من ولاية وحكام وقضاة وأمراء وأساتذة معلمين والخ... والناس على

اختلاف ألوانهم ولغاتهم وأجناسهم متساوون أمام الله والعدالة وأكرمهم
أتقاهم وأعلمهم .

ولم نجد بعد رسول الله (ص) من تجمعت فيه هذه الصفات كاملة
إلا في علي عليه السلام ، ذلك الذي كان حقاً كما قال في خطبته
الشقشقيه : « أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة ، وهو يعلم أن محلي
منها محل القطب من الرحي ينحدر عن السيل ولا يرقى إليّ الطير » .
وبعد قوله فيالله وللشورى .

وقد وجدنا كما مر^(١) ولايته المعقولة والمنقولة من الله ورسوله
وإجماع الأمة عليه بعد قتل عثمان بيد وقد رصد له من رصد له وحاربه
من حاربه من ناكث ومارق وقاسط ، ولم يطل عهده حتى خر صريعاً في
مسجد الكوفة بيد ذلك الخارجي ، وهو يقول : فزت ورب الكعبة . ولماذا
لا يفوز وقد أدى واجبه وأبلى بلاءه ، وأكمل وصيته عدلاً وقسطاً ، ولا أريد
أن أطيل وأخرج عن الموضوع ، ومن شاء فليراجع موسوعتنا
(المحاكمات) ، فقد كان عليّ المثل الأكمل الأعديل الأتقى والأقبل
والأزكى الأطهر بعد رسول الله (ص) ، الذي تجمعت فيه أسس الإمامة ،
ولم يسبقه بعد رسول الله (ص) ولم يتلوه خليفة يحق أن يقال له خليفة
رسول الله (ص) .

(١) راجع ما كتبناه في موسوعتنا عن علي في الجزء الثالث والرابع .

الأصل الخامس المشورة

ومن الأصول المشورة وقول الله تعالى في الآية ٤٩ من آل عمران : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾^(١) ، وقوله في الآية ٣٦ من سورة الشورى^(٢) ، وأمرهم شورى بينهم تفترق الواحدة عن الأخرى في طرز

(١) ١٥٩ آل عمران قوله تعالى : ﴿ فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في . الخ .
(٢) الشورى/٣٨ قوله تعالى : ﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ . والنساء/٥٩ قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ﴾ ، فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه وإلى الرسول الأخذ بستته الجامعة غير المغرقة ، وعن رسول الله (ص) من قصار أقواله في نهج الفصاحة :

- ٢٢٩٦ — لن يهلك امرؤ بعد مشورة .
- ٢٥٠٦ — لا مظاهرة أوثق من المشاورة ولا إيمان كالحياء .
- ٢٥٠٩ — ما ندم من استشار ولا افتقر من اقتصد .
- ٢٥٧٠ — ما شقى عبد قط بمشورة وما سَعَدَ باستغناء برأي .
- ٢٥٨٩ — ما ندم من استشار ولا خاب من استخار ، ولا آمن بالقرآن من استحل محارمه .

= ٣٠٩ — المشاورة حض من الندامة وأمن من الملامة .

المشورة ، فالأولى وشاورهم في الأمر إنما هو تدريب الصحابة من جهة على طريقة المشاورة ، ومن جهة أخرى باعتباره مقر القيادة ، والتشريع ، والأمر والنهي من الله ، والذي إطاعته هي إطاعة الله ، وأنه العقل الأكمل ، والمرجع الأعلى ، والمولى . والذي أولى بالمؤمنين من أنفسهم هذا الرسول الأعظم يريد الله أن يزيده مكرمة وأن يدرب صحابته على التواضع والمكارم ويعلمهم على نكران الذات وابعاد الكبر والأنانية بجمع

= ١٦٣٧ - ما يستغنى رجل عن مشورة ، رأس الحكمة بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس ، وإن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وإن أهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة .

١٨٠١ - شرار أمتي من يلي القضاء إن اشتبه عليه لم يشاور ، وإن أصاب بطر ، وإن غضب عنف ، وكاتب السوء كالعامل .

٢٩٣٨ - من أشار على أحد ويعلم أن الرشيد في غيره فقد خانته ، ومن أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتى بلا علم .

٢٣٢ - إذا كانت أموركم شورى بينكم وامراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاؤكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها . وإذا كانت امراؤكم أشراركم ، وأغنياؤكم بخلاؤكم وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها .

٣١١ - المستشار مؤتمن ، إن شاء أشار وإن شاء لم يشر .

٣٢١١ - يد الله مع الجماعة .

٦٣٨ - إن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد .

وقال الإمام علي عليه السلام في عهده لمالك الأشتر في المشورة : « أكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك » ، وقال عليه السلام في الجماعة : اثنان خير من واحد وثلاثة خير من أربعة وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة .

ومن كلام لأمير المؤمنين علي حول المشورة في عهد مالك الأشتر قوله عليه السلام : « ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك للفقر ولا جبناً يضعفك عن الأمور ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور ، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله .

شمل المؤمنين، وتدريبه (ص) صحابته على المشاورة ، والمداولة في أمور الإسلام ، وان يكون في هذا العمل المعلم الأول والقُدوة الصالحة ، وهو المصون المزكى والطاهر المعلم من الله كما وجدناه ، فهو في الوقت الذي يتشاور معهم فهو يدرّبهم على أصول المشاورة وطرح الخطط وانتخاب الأصلح ، ولقد وجدناه في كل مرة يتشاور معهم كيف يدلي كل بآراءه ، وكيف يسدّد هذا ويفند ذلك ، وبالتالي نجد رأيه هو الرأي الصائب ، ولماذا لا يكون ذلك وهو المستمد من الوحي ومن الله ، وهو بذاته يختلف بما ألهمه الله من العقيدة الصادقة والعقل والحكمة والرأي السديد عن باقي أمته ، ولم يكن بحاجة إلى مشورة غيره ، وقد أعلمه الله وسدّد خطاه وأوقفه على كثير ممّا لم يقف عليه غيره ، ولم يكن اتباعه وصحابته على مختلف عقولهم وعقائدهم وآرائهم ودرجات إيمانهم وإخلاصهم لدين الله وتضحيتهم له من بعده إلاّ آل بيته ، أخصّ منهم عليّاً الذي انتخبه خليفة ووصياً بعده ، وأوقفه على كثير من الأسرار التي وهبها الله إليها من علم وحكمة وحوادث مدبرة ومقبلة ، ذلك الذي خصه الله بالطهارة ولم يدنسه بالرجس كغيره منذ بدأ خلقته ، ذلك الذي لم نجد رسول الله ولا مرة أمّر عليه غيره ، ولم نجده ولا مرة ان ادلى برأي أو قضى بين اثنين إلاّ وأيده رسول الله في حكمه وقضائه ، وحمد الله أن جعل من أهله من يقضي بعده بهذه العدالة ، بينما نجد رسول الله (ص) في كثير من المواقف يرد كثيراً من الصحابة أقوالهم وآرائهم التي ارتأها أو بدت تعارضه في كثير من مواقفه ومقرراته . نضرب لذلك مثلاً اعتراض عمر على رسول الله في صلح الحديبية حينما قال لرسول الله (ص) : انك قبلت الدنيا لنا حينما رضيت باعادة من فر منهم (أي المشركين) لهم ولم تقر ذلك لنا^(١) .

وحينما شك برسول الله ورسالته كما قال له وقد أوعدتنا بدخول مكة

(١) ترى شرح ذلك مفصلاً في موسوعتنا في الكتاب السادس .

منتصرين فأجابه : هل حددت موعداً وخالفته؟ فأجاب : لم تحدد . فقال له : ثق اننا سندخل مكة منتصرين ، آنذك ترى أبا بكر ينكر عليه اعتراضه ويقول : ثق أيها الرجل انه لرسول الله وان الله ليؤتيه النصر . وغير ذلك ، راجع بذلك موسوعتنا في كتاب عمر بإسنادها . وكيف أثبت رسول الله لعمر (رض) بطلان شكه وكانت العاقبة الخير للمسلمين والدنية للمشركين على خلاف ظن عمر^(١) .

ثم نعود إلى الآية : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ ، وترى ما يسبق هذه المشاورة قوله تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ﴾ ، فالتواضع واللين هي رحمة من الله وهي دليل الحكمة وسعة الصدر الدالة على الرياسة والكياسة التي طالما امتدحها الله حتى قال تعالى في كتابه : ﴿ ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ ، وقوله تعالى لرسوله : ﴿ وإنك لعلی خلق عظیم ﴾ ، هذه تدلنا بروابط هذه الآيات وأصول التعليمات الإنسانية التي يجب أن نكون صراطاً مستقيماً ، وهدياً يهتدي بها المسلم المؤمن ، وعبرة في حياته للسيرة الحسنة والسلوك الممتاز ، ومنها تدريب الصحابة على المشاورة وتدريبهم على نكران الذات والتواضع والسماح للأفراد للإفراج عن خوالجهم ومصالحهم دعماً للوحدة وتنفيساً للكبت الذي يولد في الافراد والجماعات شتى الأمراض النفسية والروحية وتصبح نقمة على الفرد والجماعة .

نعود لنقول ان المشاورة هي بذاتها من أبرز مظاهر الاتحاد والخلق الفاضلة ونشر الفضيلة والقضاء على البغضاء وهدم العصبية ومحو العقد النفسية والمنابزات ، حتى نرى أن الله سبحانه وتعالى يمتدح المؤمنين بأطيب الصفات التي تخصهم والتي تنجلي بها خصائصهم السامية بقوله في الآيتين ٣٥ و ٣٦ من سورة الشورى : ﴿ والذين يجتنبون كبائر الإثم

(١) ترى شرح ذلك مفصلاً في موسوعتنا في الكتاب السادس .

والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون * والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون * والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ﴿٤٠﴾ .

فالشورى : إنما هي اتحاد العقول كاتحاد الأبدان ، والاحلاص في النية والقول والعمل وانتخاب الأصلح للجماعة التي يعد بسعادتها الفرد ، (لا الغايات الفردية تلك التي تتجلى في المجالس النيابية التي تقام في بلاد ذات سلطة مطلقة دكتاتورية كتلك التي قامت في عهد الملوك والسلطات المطلقة الدكتاتورية ، ولا ترى لنائب من النواب في المجالس النيابية إلا وقد انتخب بأمر الملك ولا أدلى برأي إلا قصد بها رغبة الملك ، دون أن تكون في ذلك مصلحة عامة ومصلحة الجماعة) .

وكما أن اتحاد اثنين يكون قوة قد تتضاعف ، وربما للعشرات والثلاثة تتضاعف عن الاثنين ، وهكذا العقول ، حتى قال رسول الله (ص) : لا مظاهرة أوثق من المشاورة ، وقوله (ص) : ما شقى عبد قط بمشورة . وقوله (ص) : المشاورة حصن من الندامة وأمن من الملامة .

واشترط في المشورة الأمانة والإخلاص حتى قال (ص) : المستشار مؤتمن ، وقوله (ص) : إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاؤكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها ، وأقوال كثيرة أخرى .

وفي كل مشاورة يجب دائماً رعاية كتاب الله وسنة رسوله إذ ذلك ما تصرح به الآية القرآنية التالية : النساء/ ٦٢ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ، فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه وإلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة ، والقصد من أولي الأمر هم الذين ولاهم الله بكتابه أو الرسول في سنته ، الذين منحوهم الإمارة على المسلمين ، ومنهم من عينهم رسول الله على الأقاليم التي انضمت إلى رقة المسلمين .

ولا يجوز أبداً الاكتفاء بالقرآن وترك السنة ، لأن السنة واجبة كوجوب كتاب الله بما نزل مؤكداً في كتاب الله بوجوب اتباع سنة رسوله ، وإن تركها كترك كتاب الله ، إذ اننا نجد أن السنة هي المفصلة لأصول وفروع الدين ، كالصوم والصلاة والحج والزكاة والصيام والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكثير غيرها ، وإن السنة جاءت بكثير من أمور لم نجدوها في الكتاب ، وكل من قال اننا نكتفي بكتاب الله فقد حاد الله ورسوله وخالفهما وابتدع في الإسلام بدعة وأدخل وأخرج من الكتاب والسنة وشملته الآيات الثلاثة : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ (أو الفاسقون أو الظالمون) والآيات الكثيرة المارة الذكر في مخالفة الله ورسوله .

وقد قال رسول الله (ص) عمّن قال ذلك بأن أمّته من بعده ستتهج نهج أهل الكتاب من بعده من بني إسرائيل في تحريف التوراة والإنجيل وإظهار البدع^(١) .

ولقد ثبت أن الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول أبا بكر وعمر وعثمان (رض) منعوا تدوين السنة بدعوى أن عندنا كتاب الله ، ورغم أن الصحابة أجمعوا على التدوين عند مشاورة عمر لهم أصر على منع تدوينها^(٢) .

(١) راجع موسوعتنا الولاية والمحاكمات الجزء الخامس والسادس ١٤٢ و ١٤٣ وتوابعها في الصفحات الثلاثة الآتية .

(٢) سورة البقرة: ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون * وآمنوا بما أنزلت مصداقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون ﴾ . و٤٢ منه : ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾ ، و٤٤ منه : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ . و٧٩ منه : ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ ، و٧٥ منه : ﴿ أفطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون =

بدعوى أن السنة قد تضيع كرامة القرآن ، أو تختلط وتشوه مفعوله لذا منعوا تدوين السنة بل ومنعوا نقل أحاديث رسول الله الذي قال (ص) : نصر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه . وقال أيضاً : « نصر الله امرءاً سمع

= كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴿ ، و ١٥٩ منه : ﴿ إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴿ ، و ١٧٤ منه : ﴿ إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيهم ولهم عذاب أليم ﴿ .

وفي سورة آل عمران/ ١٨٧ : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبش ما يشترون ﴿ ، و ٧٨ منه . والنساء/ ٤٥ : ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا ﴿ .

من سورة المائدة/ ١٣ : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم... ﴿ الخ.

وبعدها راجع ما ورد في القرآن عن النبي وقد ذكرناه في باب النبوة لترى أن اطاعة النبي اطاعة الله وأقواله وأوامره هي من الله ، فهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، وكل تحريف وكل ما يوجب تضعيف أقواله وعدم الأخذ بها ومخالفتها إنما هي محادة لله وكفر مأخوذ عليه في الدنيا والآخرة .

قال (ص) : كما جاء في نهج الفصاحة (٣١٢٤) : نصر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه . ولقد وجدنا عدم تدوين السنة ومنع أحاديث رسول الله بحجة أن عندنا كتاب الله هو محادة لله ورسوله بل هو الفسق والظلم والكفر ومخالفة لأوامر الله ورسوله ذلك الذي بدأ بمنع أبي بكر لتدوين السنة والحديث وتلاه عمر وعثمان (رض)، وجاء عهد بني أمية للفساد والوضع والتحريف حسب أهوائهم وغاياتهم وأهدافهم حتى أدى إلى انقسام الأمة إلى مذاهب وفرق كل يناهض ويخالف ويكفر الآخر ، راجع لتثبيت أن رسول الله تنبأ بانحراف أمته على يد أمرائها عن سنته ما ورد في سنن الدارمي ١/ ١٤٥ باب السنة قاضية على كتاب الله عن حديث حسان .

منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه إلى ما هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه . كما صرح بها رسول الله أن امته تجريها بعد موته حذو النعل بالنعل كما أجراها الفسقة الكفرة من أهل الكتاب من بعد موسى والنبون من بعده . راجع بذلك كتب السنة والشيعة من بعده^(١) .

فالقول بالقرآن وحده وترك السنة نكران القرآن والسنة ، وبدعة إسرائيلية وتجاهل بل محاورة لما أمر به الله في القرآن ، راجع بذلك الآيات : ١٨٥ آل عمران ، و ١٨ و ١٩ لسورة المائدة ، و ٣٩ و ٧٥ و ١٤٢ و ١٧٠ و ١٥٥ البقرة ، تلك هي تحريفات ودسائس إسرائيلية^(٢) .

(١) وسنن أبي داود ٢/٢٥٥ .

(٢) وسنن الترمذي باب نهى النهي عما يسمع عن أحاديث الرسول (ص) ١٣٢/١٠ سنن ابن ماجه في تعظيم أحاديث الرسول من مقدمة ٦/١ ، ومسند أحمد ١٣٢/٤ و ١٣١/٣٠ ، عن مقدم . وأيضاً سنن أبي داود ٢/٢٥٦ في وجوب السنة وسنن الترمذي ١٣٣/١٠ ، وابن ماجه ٦/١ ، ومسند أحمد ٨/٦ ، عن عبدالله بن أبي رافع . وأيضاً في سنن أبي داود ٦٤/٢ باب تعشير أهل الذمة كتاب الخراج عن عرباض بن سارية .

في مسند أحمد ٢/٣٦٧ عن أبي هريرة .

وأدناه أحاديث تدل على أن هذه الأمة سارت حذو النعل بالنعل حسب ما أنبأ به رسول الله (ص) ما يحصل بعده من الوضع والدس والتحريف والتزييف باسم الدين ، وبدأ منع تدوين السنة منذ عهد أبي بكر ثم عمر ثم عثمان (رض) وتهيئة الأمر لبني امية وبنو العباس ، وبذلك خلفت المذاهب والطوائف والعداء والتفرقة والضعف بسبب ذلك المنع الذي تلاه التلاعب بالسنة والتحريف بتأويل الكتاب . راجع صحيح البخاري ج ١٧٢/٢ كتاب الأنبياء ، و باب ما ورد عن بني إسرائيل ، و باب سيرتكم حذوماً في سنن من قبل من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، وما ورد في كنز العمال ١٢٣/١١ كل ذلك روي عن أبي سعيد الخدري ، ومثله ما جاء في مسند الطيالسي الحديث ٢١٧٨ ومسند أحمد ٣/٩٦ وصحيح مسلم في شرح النووي ١٦/٢١٩ ، وما رواه ابن حجر في فتح الباري ١٧/٦٤ مسنداً للإمام محمد بن إدريس الشافعي . =

قلنا عن أولي الأمر ، هم الذين أشار لهم القرآن الكريم إنما هم الذين وردوا في آيات قرآنية أو سنن نبوية لا يحق أن يكون إلا منتخباً من هاتين المصدرين ، وان رضينا بغيرهم فقد رضينا بكل جبار فاجر وظالم كافر ، من تظاهر بالإسلام وهدم أسسه أو من جاهر بالعداء له وأراد محقه ودرسه من كل مبتدع منافق ودساس مشاqq أو ملحد جاحد أو مشرك معاند ، ممن أكل عليهم الزمن وعرفنا حقائقهم من خلفاء وأمرأ أمثال معاوية وابنه يزيد بن معاوية ، ومروان بن الحكم وابنه عبدالملك وحفيده الوليد وعمالهم ، أمثال : ابن أرقطاة وعبيد الله بن زياد والحجاج ابن يوسف الثقفي واضرابهم الذين لم يبقوا رذيلة في الإسلام من الفتك بالأبرياء

= وفي صحيح البخاري في شرح فتح الباري ٦٣/١٧ ، وسنن ابن ماجه الحديث ٣٩٩٤ ، ومسند أحمد ٣٢٧/٢ و٣٦٧ و٤٥٠ و٥١١ و٥٢٧ ، وكنز العمال ١٢٣/١١ كلها مروية عن أبي هريرة .

وكذلك ما ورد عن أبي الوائد الليني في سنن الترمذي ٢٧/٩ - ٢٨ ومسند أحمد ٢١٨/٥ ومسند الطيالسي الحديث ١٣٤٦ ، وكنز العمال ١٢٣/١١ باب الأقوال من كتاب الفتن .

وما ورد عن عبدالله بن عمرو في سنن الترمذي ١٠٩/١٠ في أبواب الإيمان والدر المنثور للسيوطي ٦٢/٤ حول تفسير الآية من سورة البقرة: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا﴾ في سورة آل عمران عن مستدرك الحاكم .

وما ورد عن ابن عباس في مجمع الزوائد ٢٦١/٧ عن البزاز والحاكم ، وكنز العمال ١٢٣/١١ عن مستدرك الحاكم ، ذلك بعض ما ورد في كتب أهل السنة .

وأما الشيعة فقد جاء عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن جده رسول الله (ص) في كتاب إكمال الدين للصدوق ص ٥٧٦ ط حيدري سنة ١٣٩هـ ، وذكره المجلسي في البحار ٣/٨ والطبرسي في مجمع البيان وكتاب جلاء الأذهان للكاثر حول تفسير ﴿ولتركين طبقاً عن طبق﴾ .

وبالتالي راجع كتاب الأديان السماوية حول التحريف للعلامة المحقق السيد مرتضى العسكري حفظه الله وأيده .

والصلحاء والتلاعب بمقدرات المسلمين بالقهر والغلبة ومحادة الله في تحريف الحدود والسنن ووضع الأحاديث وتشويه الحقائق وكل منكر وموبقة يتبرأ منها القساة والطغاة ممن سبقهم ولحقهم من الملوك والأمراء ، ومن ينكر أفعال معاوية من قتل الأبرياء من صحابة الرسول وأشياعهم وخيرة المسلمين ، ووضع سب أسبق المسلمين وأتقاهم وأعلمهم وأزكاهم علي بن أبي طالب عليه السلام كسنة يفتح بها خطبهم ودسهم وتحريفهم ووضعهم وتبديلهم لسنن وأحاديث رسول الله ، ولم ننس وقائع يزيد في كربلاء وقتله على يد ابن زياد خير آل رسول الله وسيد شباب أهل الجنة حبيب رسول الله (ص) ووقعة الحرة في قتل أهل المدينة وهتك أعراضهم وضرب مكة وشربه الخمر ، وتفآخره بعد تدمير المدينة وقتل أبنائها وهتك أعراضهم واستباحتها لجيشه الشامي ناشداً :

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل . . الخ .
وهو يعني ويتمنى لو يشهد أجداده المشركون المقتولون في معركة بدر بيد المسلمين أخص الأنصار وكيف انه أخذ لهم بالثأر من المسلمين سكان المدينة من الخزرج ، وقول الوليد بن عبد الملك حيثما أراد أن يستفتح بالقرآن فوجد الفاتحة آية تهديد ووعيد فغاضه ذلك وعندها أخذ يرمي القرآن بسهمه ويمزقه قائلاً :

تهددني بجبار عنيدها أنا ذاك جبار عنيدها
إذا لاقيت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد

وأما فتك عمّالهم وقوادهم بالمسلمين أخص ابن ارطأة في اليمن والحجاز والحجاج في الحجاز والعراق ، وما أحدثوه في الشرق والغرب من أنواع المظالم والمذابح ما يقشعر منه الأبدان ، وتجزع منه النفوس .
ويكفرهم حتى نمروذ وفرعون وعاد وشداد ، وهاك الآية : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ﴾ ، كما ورد في ص ١٢٨ .

وبعد أيجوز اطاعة هؤلاء بأنهم أولو الأمر الدين فرض الله علينا طاعتهم وأذن ، فأين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ وأين كتاب الله وسنة رسوله؟ وأين هي الحدود؟ وقوله تعالى في القتل والضرب وأذى المؤمنين في كتاب الله؟ وأين العظات؟ وكيف يجوز الخنوع والرضا بهذه المعاصي من إمام جائر ظالم فاسق وكافر؟ وهل يجوز أن نطلق على أمثال هؤلاء أولي الأمر الذي ورد ذكر طاعتهم في القرآن الكريم؟ ، فلماذا قاوم الإسلام ونبي الإسلام زعماء مكة وأمراء القبائل والملوك والسلاطين وكل منهم له امارة وولاية وهو لا يزال فقيراً وضعيفاً كان عليه طاعتهم ، لا أبداً ليس هؤلاء أولي الأمر وإنما أولي الأمر هم الذين نص الله عز وجل في قرآنه عليهم وأشار إليهم ومن نصبهم رسول الله وعينهم ، وليس الغاصبين وإن تغلبوا والأميرين وإن حكموا ، ولهذا ترى الفرقة والتفرقة والضعف والهوان ، لأن بعد رسول الله انقلبوا على أولي الأمر واستباحوا حرمتهم وأوقفوا أوامر رسوله في سنته وأهل بيت العصمة ، وابتدعوا لهم بدعاً أقاموها مقام السنة ، وحاددوا بذلك الله في دينه ، وساروا سيرة من حاربهم الإسلام وعادت الجاهلية التي حاربها الإسلام تحت لواء مصطنع ويرقع مزركش ظاهره الإسلام ، وباطنه الشرك والإلحاد ، فكانت عاقبة الأمر ما نجده من الضعف والوهن والفرقة والمحن .

فالغاية من الآية المارة وأمرهم شورى بينهم إنما يريد بها المصالح الإسلامية المطابقة للقرآن والسنة ، وأما المخالفة فتلك التي نهت عنها الآية في النجوى^(١) من سورة المجادلة ، الآيات : ٦ إلى آخر السورة ، تجد فيها نوعاً خاصاً من المشاورة والنجوى ، وترى فيها كيف يمنع الله

(١) سورة المجادلة الآية ٥ و ٦ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَحَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَبَتُوا كَبْتِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ، ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ، و ٧ و ٨ منه : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا =

النجوى والمشاورة فيما يحاور الله ورسوله ويأمرهم بالنجوى والحديث فيما أمر الله به ورسوله ، فالمشاورة والشورى والنجوى يجب أن تكون مطابقة لما أمر الله به في كتابه ورسوله في سنته في القول والعمل .

المجالس النياية والاستشارية :

كل هذه المجالس في الإسلام يجب أن تتكل على الكتاب والسنة ومن بينها الآيات : سورة النحل/ ٤٣ : ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ ، وقوله تعالى : ﴿فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾ . سورة الزمر ١٧ - ١٨ .

وأقوال رسول الله وسنته المارة الذكر ص ١٢٧ وحشه على تبليغ أحاديثه وسنته صحيحة كما جاء في نهج الفصاحة قوله صلى الله عليه وآله :

٣١٢٤ - نصر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه .

٣١٢٥ - نصر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره فربما حامل فقه إلى ما هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه .

٢٦٠٨ - (وحدث رسول الله (ص) على النصيحة) قوله (ص) : الدين النصيحة .

٢٠٧٤ - قوله عن الله تعالى : أحب ما تعبدني به عبدي النصيح لي .

= ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ﴿ . و٨ منه : ﴿ ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ، وإذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ﴿ . وقوله تعالى في الآية ٩ منه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون ﴿ ، و١١ منه و١٣ منه و١٤ منه و١٥ منه إلى ٢٢ منه .

وقد مر وذكرنا عن رسول الله (ص) كم للمشورة من ميزة وأثر ، وإن المستشار مؤتمن ، والحقيقة لو محصنا كل فرد من رجال مجالس التأسيس والمجلس النيابي وغيره من المجالس العامة لوضع القانون الأساسي الدائم للحكومة الإسلامية المستمد من القرآن والسنة للشريعة الإسلامية بأصوله وفروعه القائمة الثابتة الدائمة الرامية لمصالح الفرد والجماعة ، كأصلح ما تجب لهم السعادة والهناء ، قوله تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ ، وتدفع عنهم البؤس والشقاء ، ومثلها القوانين المدنية الحقوقية والجزائية والإدارية والاقتصادية ، والأحوال الشخصية والتجارية ، والقوانين العامة الأخرى والخاصة في شتى مجالات الحياة من تربية وتعليم وموارد صحيّة وفنيّة وغيرها مهما كانت ، والتي يحتاجها هذا المجتمع البشري الإسلامي وغير الإسلامي ، كل واحد وحسب أهميته ، يلزم أن يتألف كل مجلس خاص أو عام لقصبه أو قرية أو ناحية أو مدينة كبيرة أو صغيرة ، وكل مجمع أو محفل أو مجلس يخص أمراً اجتماعياً علمياً أو فنياً مهنياً أو حرفة أو شؤون اقتصادية وزراعية أو صناعية أو هندسية أو طبية أو أي شيء آخر فيه لكافة أفراد ذلك المجتمع الصغير أو الكبير حصته في الرأي من الذكور والإناث المميزين البالغين لانتخاب الأعلام والأمهر والأشد إخلاصاً والأتقى في الحياة ليقوم نيابة عن جماعة الناخبين ويمثلهم ويراعي مصالحهم العامة والخاصة ، فطوّراً يمثل هذا النائب عدداً معلوماً من أطباء أو مهندسين أو قضاة أو معلمين ، أو تجار أو زراع أو ذوي حرف خاصة من عطارين أو بقالين أو خرازين أو خبازين أو قصابين من بائعي المفرد وآخرون من بائعي الجملة ، وآخرون من المستوردين أو من المصدرين .

وهكذا والقصد أن يكون لكل ممثل خبرة عن أسرار وحقائق مُتَخَبِّه وأعمالهم الخاصة والعامة ونواقصهم وزوائدهم وآثارها عليهم وعلى المجتمع الأعم ، وهذه الاجتماعات الصغيرة تتجمع ممثلوها في النواحي والأقضية التي تضم تلك القصبات والقرى وهؤلاء بدورهم ينتخبون من بيتهم من هو أصلح يمثلهم في مراكز الأولوية واجتماعات الأولوية يقوم بدورها لانتخاب

الأصلح الذي يمثل الجميع في العاصمة ، ويحدد لكل مجلس عدد أعضاء لكل منهم صفة خاصة عن مناطقهم وعامة عن جميع القطر ولمصلحة عامة مشتركة ، ويستمر كل من نواب القرى والقصبات والنواحي والأقضية والألوية والعاصمة بدورهم الخاص من الاجتماعات المحلية بصفة خاصة لإدارة شؤون البلدية من ناحية الصحة والعمران والإدارة وضروريات مالية واجتماعية كما يجتمع نواب وممثلوا كافة القطر لبحث الأنظمة والقوانين العامة لخير الشعب ووضع ما يحتاج تعديله من حين لآخر مع العلم أنها جميعاً تتصل بمبدأ العدالة الشرعية والحدود التي يقرها الفقه الإسلامي من كافة الوجوه المالية للجمع والصرف وغير الأمور المالية من آخر ما وصلت إليه الحضارات البشرية في العلوم والفنون والإدارة والتجارة وكل صغيرة وكبيرة ، وتحاول في كل مرة أن يكون النفع عاماً تارة لجميع أفراد الأمة وأخرى عاماً لأفراد الطبقة الخاصة من ذوي المهن والحرف ، كالأطباء والتجار والصناع والمهندسين دون أن يعني النفع لذات واحد أو أفراد معينين وعندها تحتل العدالة والموازنة ، وتحتل المقاصد الديمقراطية من معاني الديمقراطية الإسلامية من خدمة المجموع للمجموع ، ومن قصد بها منفعة خاصة فردية كشخصية متنفذة مهما كانت أو اشخاص وجماعة معينين بالذات ينتفعون بها دون غيرهم من مجموع الشعب .

وعندها تختل العدالة والموازنة ، وربما كان العمل الخاص هذا فيه منفعة خاصة مرموقة دون أن يكون فيه ضرر أو أي اجحاف على الآخرين . وهذا أيضاً يجب أن ينظر إليه من جهتين مادية ومعنوية ، وأن يكون النفع المادي غير مقرون بضرر معنوي وشعور عداوة ومنافسة تؤدي إلى اجحاف وعدم مساواة في المستقبل ، وعلى كل حال ان تكون منافع الجماعة مقدمة على منافع الفرد دون أن يكون فيه اضرار واجحاف على جهة ، وأن يكون العمل المقصود خارجاً عن كونه عقاباً وقصاصاً، بل علاجاً واصلاحاً ، وان ينظر دوماً لجمع الشمل وربط الهمم واحكام الالفة والقلوب وجلب محبة ورأفة الآخرين في محيط لا يدنسه الحسد والغيرة والكبرياء والرياء مغدقاً

بالبر والإحسان والإيثار ونكران الذات في سبيل بني النوع والمصالح العامة ، وأن يكون الزعيم خادماً حقاً للجماعة لا قهرماناً وكلاً ومجحفاً سيان منها أكان هذا الاجحاف والشعور مادياً أو معنوياً . وأن يكون أداء النصيح له صلة بالضمير والوجدان ، وصلة وثيقة بالله العالم بالمغيبات والواهب المعطي والمنتقم الجبار الرحمن الرحيم ، والمهيمن المبدع ، يجب أن تكون أعمالنا مقرونة بإيمان وإخلاص ديني وتقوى روحية وعقيدة راسخة ولهذا فنحن بحاجة إلى تهذيب أخلاقي إسلامي رفيع مستمد من روح الإسلام من الكتاب والسنة النبوية وسيرته وسلوكه ، وهداة كقدوة صالحة حكيمة رشيدة كما طراه الله في كتابه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾ ، وقوله تعالى له : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَا نَقُضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ ، مع العلم أنه الزعيم الروحي والقائد الأعظم بيد نراه بكل خطوة في خطواته يتودد إلى صحبه ويجسون فيه عدى كبر النفس والهمة والجد والاخلاص ومكانة الزعامة أنه يساويهم في كل شيء ويعطف عليهم ويشملهم بأرق إحساساته بكل لين ورحمة ، ولا يجدون فيه ملمساً من الغلظة والفظاظة والكبرياء فهو منبع الخير وواهبه ومعلم الفضائل بنيته وقوله وعمله ، هو الأب الرؤوم الحنون ، وصاحب الإيثار على نفسه وتلامذته أقربهم إليه أشبههم به ، أولئك الذين نزلت فيهم أرق الآيات لرفع شأنهم وامتداح مقامهم في آيات كثيرة وسور جمّة منها سورة الدهر ، قوله تعالى في الآية ٤ إلى ٢٣ (١) .

هذا الإيثار وهذه التقوى وهذا الحب في الله يجب أن يتجلى بها رجال الله المنتخبون من الشعب ، وعندها يأكلون هم والمنتخبون من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم ونعم السعادة الجنس البشري .

تلك هي المجالس ، وتلك أفرادها ، وتلك مشاوراتهم ونصحهم في

(١) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا =

كل أمر ينصحون الله ويرجون رحمته ، ويخافون عذابه ، ولا يرجون من أحد غير الله جزاءً وثواباً .

هكذا يجب أن يكون الاعضاء المنتخبون من نواب وممثلين عن الشعب في الأمة الإسلامية ، وأن يكونوا حريصين على أداء الواجب من جلب الخير ودفع الشر عن مجموع الشعب والشورى من الأصول المهمة جداً ، وربما كان أساساً بعد أصول العقائد لتشكيل جامعة بشرية إنسانية متناسبة عادلة متزنة برة سعيدة .

وأما ذوي الرأي والحل والفصل في المشاورات فيلزم أن يكونوا قسمين قسم دائمى مدى الحياة وهم مراجع التقليد من ذوي الاختصاص من الدرجة الأولى من خيرة الخبراء المتقين ، عليهم دوماً أن يتفوقوا على زعامة أحدهم بالنسبة للعلم والتقوى والقدرة على الاجتهاد ، ورحابة الصدر والادارة الفذة والاحاطة بأمور الفرد والجماعة والخدمة الدائمة الخالصة ، ولهم حق الاشراف على الدولة والقول الفصل ولهم وحدهم كل أربعة سنين من تبديل الرئيس من بينهم وان يتصلعوا عدا الفقه بالسياسة العالمية والاقتصاد العالمى والشؤون العامة والخاصة والكلُ دائميون ، وأعضاء موفقون ينتخبون كل سنتين وان تكون الدولة اسلامية وللأقليات حق الرأي والتساوي في الحقوق ما ساروا مطيعين للقوى التشريعية والتنفيذية .

= يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجييراً * يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً *
ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً * إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً . . . ﴿ حتى يقول في ٢٢ منه : ﴿ إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً ﴾ .

الأصل السادس^(١) - الحريات

وهذه الحريات جاءت صريحة في الكتاب^(٢) والسنة^(٣) (ومنها حقوق البشر) :

(١) منها الحرية الشخصية للنفس والمال والعرض ، حرية الاجتماعات للمشاورة والمداولة كالأحزاب وغيرها ، والعمل ، والقول والطبع والنشر ، وحرية العقائد ، وحرية التعليم ، والتربية ، وحرية المراسلات والمخابرات والتجارة والتملك (على شريطة أن لا يضر بالنفس والغير بفرد أو جماعة)

(٢) اما في الكتاب فتري حرية العقيدة في كثير من سوره ، أخص في سورة الكافرين قوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين ﴾ ، وقوله : ﴿ لا إكراه في الدين . . ﴾ ، والآية ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ من سورة الحجرات ، وبها ترى تساوي البشر في جميع حقوقهم وشؤونهم من أحساب وأنساب وعقائد وأفكار وأعظم ميزة يميزهم عن بعضهم هي التقوى ام الفضائل ، الداعية لجميع الفضائل وهدم الرذائل والموبقات وهناك فرق بين العالم والجاهل ، قوله تعالى : ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ .

وسورة النور الآية ٢٧ قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم . . . الخ ﴾ فيها حرية السكن ، وحرية المشاورة والمشورة ، وقد مر ذكرها في القرآن والسنة ، وفيها ترى التساوي في الحقوق بين كافة الفرق والعقائد والنحل والألوان والأعراق واللغات والأزياء والجنسين الذكر والأنثى وليست هناك ميزة تميزهم سوى التقوى والعلم بما في ذلك ذوي العدل والبر والاحسان والخلق الكريمة حيث التقوى أخص منها إذا ما زجت العلم جمعت كل الفضائل كما ورد في سورة الحجرات .

وهذه الحريات تجمع منذ نزل القرآن وصحبتها سنة رسول الله (ص) في أعماله وأقواله كل المكارم والخلق السامية والعدالة والبر والإحسان ، وأما حقوق البشر التي نُطَق بها أخيراً في هذا القرن فما هي إلا بعض مميزات من العدالة وتساوي الحقوق وما أوجبت من حقوق للفرد وللإجتمع من الحرية الفردية في نفسه وماله ومعاملاته وأقواله وأعماله وما يعتقد ويقول وينشر ويكتب ويخبر ، وحرية الاجتماع والذهاب والاياب والتساوي في المحاكمات والسكنى والإقامة^(٤) ، والمهاجرة والتعليم والمطالعة والبيع والشراء والأكل والشرب (على شرط أن لا يضر بنفسه وغيره) ، فالظلم والضرر بأنواعه سواء كان هذا يمس أو يمس غيره ممنوع إلا إذا قضت العدالة وحكمت الشريعة القصاص والجزاء العادل .

ومع هذا فالآية تقول : ﴿ وإن تعفو أقرب للتقوى ﴾ .

وحقوق البشر التي قالها المصلحون أخيراً وهي المأخوذة من ذلك

= (٣) سنة رسول الله (ص) كما وردت في خطبة حجة الوداع ، قوله (ص) : « أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا » ، ويخص حرية النفس والمال ، وذكره الحقوق المتقابلة بين الرجال والنساء ، وإن كل مسلم أخ للمسلم فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه . . الخ .

وجاء عنه (ص) في نهج الفصاحة قوله :

٣١٧ — أشرف الإيمان أن يأمنك الناس وأشرف الإسلام أن يسلم الناس من لسانك ويدك .

٢١٦٦ — كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه .

٢٤١٤ — ليس منا من غش مسلماً أو ضره أو ما كره . وقوله المسلم من سلم الناس من يده ولسانه

٩٠٩ — ان من أعظم الخطايا من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق .

٢١٥٢ — كل ذي مال أحق بماله يصنع به ما يشاء .

(٤) راجع الفصل الخاص كتابنا الحكومة العالمية المثلى .

النهج القويم الإسلامي الذي طبقه نبي الإسلام (ص) تطبيقاً عادلاً لم نجده مطبقاً حتى في الدول التي قالت به مثل إنكلترا وفرنسا وأمريكا وغيرها ، أخص عندما نعود لتبعيضها مع البشر في استعمار الشعوب ، وشن الحروب ، والفتك الذريع الذي تقشعر منه الأبدان ، وتمجه الأسماع ، الأعمال الوحشية الهتلرية ، والظلم الفظيع الذي استعملته أمريكا الداعية للحرية بإلقاء القنابل الذرية على هيروشيما ونيازاكي ، وفتكها بالأبرياء من شيوخ وأطفال ونساء وأعمالها الوحشية في كوريا وفيتنام ، وأعمالها في الشرق الأوسط والجاسوسية المقيتة في إيران^(١) المستمدة من (C. I. A.) الأمريكية وإقامة الاضطرابات في كافة البلاد منها العربية ، وخلق إسرائيل كبؤرة انتانية تستيح بواسطتها منابع الثروة النفطية ، وغير النفطية ، بإقامة الحروب المصطنعة بين عشية وأخرى وهذه لبنان الدامية وفلسطين الممزقة وأهاليها السبايا ، وهذه سوريا ومصر والأردن الحيرى ، وتلك تركيا وباكستان المبعثرة المصدعة بأيدي العاشين ، ولا ننسى رئيس وزرائها باكستان بوتو قبل سقوطه وهو يصرخ ان أمريكا تهدده وقد قتلته وعذبتة ، وهذه المؤامرات المستمرة في أفريقيا وأمريكا الجنوبية وأوروبا ، فإلى متى وأين الحقوق البشرية المزعومة! وهيئات أن ترضي الشعوب الأمريكية بذلك ، هذه في بلاد الحرية والديمقراطية الأمريكية والرافعة مجسمة الحرية على أشهر مدنها^(٢) فخراً .

وإنك لترى في الكتاب آيات^(٣) وفي السنة أحاديث نبوية^(٤) تعطي

(١) الساواك .

(٢) الساحل البحري لمدخل نيويورك .

(٤) قال تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ ، والآيتين ١٥ و ٧٧ من سورة الحج قوله تعالى : ﴿ ما جعل الله عليكم في الدين من حرج ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرجها لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا... ﴾ الخ . وحتى نجد القرآن ينعت رسوله بحسن الخلق ولين العريكة ، قوله =

الفرد منتهى ما يتوخاه من حرية وتنزع من كاهله كل حمل ينوء به ، كما أن
الحيثية عند الأشخاص واعراضهم يجب أن تكون من الحقوق المصانة ،
ولا يجوز التعرض إليها بأي نوع من الأنواع العامة والخاصة ، نطق بها
الكتاب^(٥) والسنة^(٦) النبوية ، وستأتي بصورة مسهية في الأصول الاجتماعية
والأصول الأخلاقية وغيرها وسيأتي ذكرها .

= تعالى في سورة آل عمران/ ١٥٣ : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ
القلب لانفضوا من حولك... ﴾ الخ . وجاء في الحديث (٢١٦٠) من أحاديث رسول
الله (ص) في نهج الفصاحة قوله (ص) : « كل مشكل حرام وليس في الدين
مشكل » .

(١) تجدها في كثير من السور مثل سورة الحجرات الآية : ٦ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢
و ١٣ والآية ٥٧ و ٥٨ الأحزاب ، قوله تعالى : ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات
بغير ما كسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ .

(٢) وجاء في الحديث في نهج الفصاحة قوله (ص) في الحديث ٩٦٧ : « أهون
الربا كالذي ينكح أمه وإن أربى الربى استطالة المرء في عرض أخيه » . وقوله (ص) في
الحديث (٢١٦٢) : كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله . والحديث
(٢٤١٤) ليس منا من غش مسلماً أو ضره أو ماكره . والحديث (٢١٤٤) كف شرك عن
الناس فإنها صدقة منك على نفسك ، وفي ٢١٤٦ : كل معروف وصدقة ، وفي
(٢١٥٢) : كل ذي مال أحق بماله بماله يصنع به ما يشاء ، وفي (٢١٩٦) : الكلمة
الطيبة صدقة .

الأصل السَّابع : العلم والعلماء

ونرى كتاب الله قد أشاد بالعلم^(١) والعلماء والحكمة^(٢) والحكماء ، فكان للعلم المقام الأسمى ، والعلم واسع الأرجاء ، لم يحدد بنوع ولم يقف عند احداها من فقه وأصول وحسب بل العلم اطلاق على العلوم الفقهية والأدبية والحكمية والطبية الرياضية والكيمائية وغيرها ، وبحث في الفنون والصناعات والاقتصاد وعلوم النفس وغيرها .

وهذا القرآن نشاهد فيه آيات تشير فيه لعلم الفلك وطرفاً من فوائده للبشر وأصول الوقاية والصحة ، قوله : ﴿ كلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ ، وعن الروح^(٣) ، ويشيد بالعلم والحكمة ودرجة أهميتها ، والمقام الشامخ

(١) الزمر/١٢ قوله تعالى : ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾ ، ﴿ ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ ، ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب . . ﴾ الخه ، يونس / ٥ ، وفي سورة الأنبياء/٣٢ : ﴿ وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون ﴾ ، وفي سورة يس : ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ .

(٢) قوله تعالى في سورة الإسراء/٨٤ : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ . والنساء/١٦٠ قوله تعالى : ﴿ لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيموا الصلاة والمؤتوا الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر . . ﴾ الخ . .

لمن أعطيت له (١) .

ويبحث عن البحار (٢) وعن الصنائع (٣) ، وعن الفصاحة والبلاغة (٤) ،

(١) قوله تعالى في سورة البقرة/ ٢٦٩ : ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ ، وقوله تعالى في سورة النحل/ ١٢٥ : ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن...﴾ الخ . ، والبقرة/ ١٥١ : ﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ ، وقوله في آل عمران/ ١٦٤ : ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ ، وسبأ/ ٦ : ﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾ ، والنساء/ ١١٣ : ﴿... وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيماً﴾ ، وفي سورة الجمعة/ ٢ : ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة...﴾ الخ . والإسراء/ ٣٩ : ﴿ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة...﴾ الخ . والمائدة/ ١١٠ ، والبقرة/ ٢٥٢ . وعن العلماء قوله تعالى في سورة العنكبوت/ ٤٣ : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ ، والآية ٥ من سورة فاطر : ﴿كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء...﴾ الخ .

(٢) قوله تعالى في سورة يونس/ ٢٢ : ﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان...﴾ الخ .

(٣) سورة سبأ الآية ١٠ و ١١ و ١٢ : ﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد * أن اعمل سابغات وقدر في السرد...﴾ الخ . ، ﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذنه ربه...﴾ الخ .

(٤) سورة الفرقان ٦٤ قوله تعالى : ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ ، وسورة الرحمن من ١ إلى ٤ ، قوله تعالى : ﴿الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان﴾ ، وسورة العلق ٣ و ٤ و ٥ ، قوله تعالى : ﴿اقرأ وربك الأكرم * الذي علّم بالقلم * علّم الإنسان ما لم يعلم﴾ .

والشعر والشعراء^(١)، وبالتالي ذم الجهل والجهلاء^(٢)، ويشير إلى مقام العالم وينته للجاهل^(٣).

وأما السنة وما يعود لأحاديث رسول الله (ص) فهي تتجلى في أقواله وأفعاله وفي جميع إشاراتهِ وكتاباتهِ وسلوكهِ وتعاليمهِ وسيرته مع القريب والبعيد والكبير والصغير والرجل والمرأة، وتراها في نواياه ووصاياه، فكان حقاً رسولاً ونبيّاً وأباً رؤوماً ومعلماً وزعيماً، قد أشاد وقد أتقن العلم^(١)

(١) سورة الشعراء / ٢٢٤ إلى ٢٢٨ قوله تعالى: ﴿ والشعراء يتبعهم الغاؤون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * ويقولون ما لا يفعلون * إلا الذين آمنوا... ﴾ الخ.

(٢) سورة الأعراف / ١٩٩ قوله تعالى: ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ﴾ ، وسورة النحل / ١١٩ قوله تعالى: ﴿ ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحو إن ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾ ، والفرقان / ٦٤ قوله تعالى: ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾ ، والأنعام / ٥٤: ﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة إن من عمل منكم سوءً بجهالة ثم تاب من بعد وأصلح فإنه غفور رحيم ﴾ .

(٣) فاطر ١٩ / ٢٠ قوله تعالى: ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير * ولا الظلمات ولا النور * ولا الظل ولا الحرور ﴾ .

من نهج الفصاحة كلمات وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله .

٢٠٢٦ - العلم لا يحل منعه .

٣٢٢٢ - مداد العلماء أفضل من دم الشهداء .

٢٠٥ - فضل العالم على غيره كفضل النبي على أمته .

١٩٤ - إذا جاء الموت بطالب العلم مات وهو شهيد .

٢٠٣٧ - الغدو والرواح في تعليم العلم أفضل عند الله من الجهاد .

٢٠٥٨ - فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد .

٢٥٤٦ - لا يشبع العالم من علمه حتى يكون منتهاه الجنة .

١٣٠ - إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رغباً بما يطلب .

ووعاه وأشاد به عارفاً وطراه ، ووصى به أمته وصايا بالغة ، ورفع مقام العلماء رفعة لم تجدها من غيره^(١) .

-
- = ٣٢٧ - اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد .
٣٢٤ - اطلبوا العلم ولو بالصين ، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم .
١٩١٥ - طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .
١٩٠٨ - علموا ولا تصغوا فإن المعلم خير من المصغ .
١٢٦ - إذا أتى عليّ يوم لا ازدد فيه علماً يقربني إلى الله تعالى فلا بسورك لي في طلوع الشمس ذلك اليوم .

(١) قال رسول الله (ظ) في نهج الفصاحة :

- ١٤٦٩ - خيار امتي علماؤها وخيار علمائها حلماؤها .
١٩٢٩ - عالم ينتفع بعلمه خير من ألف عابد .
٣٨٩ - ان العلم ينفعك معه قليل العمل وكثيره وان الجهل لا ينفعك معه قليل العمل ولا كثيره .
١٥٣٨ - خير سليمان بين المال والملك والعلم ، فاختر العلم ، فاعطى الملك والمال لا اختياره العلم .
١٤١٢ - الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ممن سمعها ولا تبالي من أي وعاء خرجت .
٣١٣٨ - نوم العالم أفضل من عبادة العابد .
٣١٤٠ - نوم على علم خير من صلاة على جهل .
٣١٨٤ - وقروا من تتعلمون منه العلم ومن تعلموه العلم .
١٣٤ - العالم يشفع يوم القيامة كالأنبياء .
١٩٤ - إذا جاء الموت بطالب العلم مات وهو شهيد .
٢٦٢ - ارحموا عالماً ضاع بين جهال ، وعزيزاً ذل وغنياً افتقر .
٤٤٢ - أكثر الناس قيمة أكثرهم علماً .
٤٥٠ - اكرموا العلماء فإنهم ورثة الأنبياء فمن أكرمهم فقد أكرم الله ورسوله .
١٦٧٣ - ركعتان من عالم أفضل من سبعين ركعة من غير عالم .
١٩٢٩ - عالم ينتفع بعلمه خير من ألف جاهل .
٢٠٤٤ - العلم ميراثي وميراث الأنبياء من قبلي .

=

وحتى قال للمسلمين أن يبدؤوا عملهم كل صباح بطلب العلم^(١) ،
لأن العمل يكون قليل نافع مع العلم ، بينما كثيره بدون علم لا ينفع^(٢) ،
وحتى جعل تعلم العالم وتعليمه من خير الصدقات والتفقات في سبيل

= ١٩٢٩ — عالم ينتفع بعلمه خير من ألف عابد .

- ٤٠١ — أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً ثم يعلمه أخاه المسلم .
- ٦٦١ — ان الفتنة تجيء فتسف العباد نسفاً وينجو العالم منها بعلمه .
- ٨٧٣ — ان قليل العمل مع العلم كثير وكثير العمل مع الجهل قليل .
- ٩٠٦ — إن مما يلحق المؤمن عمله وحسناته بعد موته علماً نشره . . .
- ٢٤١٠ — ليس من أخلاق المؤمن التملق ولا الحسد إلا في طلب العلم .
- ٢٤١٨ — ليس مني إلا عالم أو متعلم .
- ٢٦١٣ — ما استرذل الله عبداً الا خطر عليه العلم والأدب .
- ٢٦٣٥ — ما جمع شيء إلى شيء أفضل من علم إلى حلم .
- ٢٦٣٢ — ما تصدق الناس بصدقة أفضل من علم ينشر .
- ٢٦٣٦ — ما خرج رجل من بيته يطلب علماً إلا سهل الله له طريقاً إلى الجنة .
- ٢٨٢٩ — من طلب علماً فأدركه له كفلان فالأجر ومن طلب علماً ولم يدركه كتب له كفل من الأجر .

٢٨٦٤ — من طلب العلم تكفل الله برزقه .

٢٢٥٩ — لكل شيء طريق وطريق الجنة العلم .

١٨٩٧ — طالب العلم بين الجهال كالحى بين الأموات .

١٨٩٩ — طالب العلم طالب الرحمة طالب العلم ركن الإسلام .

١٤٨٢ — خير الدنيا والآخرة مع العلم وشرها مع الجهل .

١٨٩٨ — طالب العلم لله أفضل عند الله من المجاهد في سبيل الله .

- (١) قال (ص) في الحديث (٣٧٥) في نهج الفصاحة: «اغدوا عالماً أو متعلماً مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامسة» . وقال صلى الله عليه وآله في (٣٧٦) : اغدوا في طلب العلم فإن الغدو بركة ونجاح .
- (٢) قال (ص) في ٣٨٩ : إن العلم ينفعك معه قليل العمل وكثيره وإن الجهل لا ينفعك معه قليل العمل ولا كثيره .

الله^(١) ، ويستدل استدلالاً منطقياً حيث يقول : إن المرء بالعلم يستطيع توقي شر الفتن^(٢) ، بل أزيد (ص) أن فرض على العلماء تعليم الجاهلين به^(٣) .

وعلم الفقه من أعظم علوم الاجتماع والأخلاق والفقيه الواقعي في المجتمع دعامة الخلق الفاضلة وركن من أركان الدين القويم ، فهو المؤدب الاجتماعي ، وبه ويتعاليمه تصد هوى النفس الشريرة ووسوسة الشياطين الخبيثة^(٤) ، ولحسن البيان وفهم الناس أثراً بالغاً وربما كان العي خيراً من بعض الكلام الصادر من الجهلة^(٥) ، ويشير إلى آداب التعليم والتعلم^(٦) بالسكينة والوقار وتوقير المعلم والمتعلم ، ويفرض بعد العلم العمل^(٧) .

وما أعظم ما وصى به (ص) بالنصيحة والإخلاص عند تعليم العلم حيث يقول : إن الخيانة في العلم أشد من الخيانة في المال^(٨) ، وحقاً

(١) والحديث (٤٠١) أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً ثم يعلمه أخاه المسلم .

(٢) الحديث ٦٦١ : أن الفتنة تجيء فتتسلف العباد نفساً وينجو العالم منها بعلمه .

(٣) الحديث (٧٦١) أن الله تعالى يسأل العبد من فضله كما يسأل عن فضل ماله . والحديث (٩٠٦) إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً نشره... الخ .

(٤) الحديث (٨٩٠) قوله (ص) : « إن لكل شيء دعامة ودعامة هذا الدين الفقه ، (٨) الحديث

(٥) الحديث (٩١٦) قوله (ص) : « إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكماً وإن من القول عياً وإن من طلب العلم جهلاً » ، و٩٢٦ و٩٣٩ منه .

(٦) الحديث (١١٦٠) تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار وتواضعوا لمن تتعلمون منه .

(٧) والحديث (١١٦١) لن ينفعكم الله بالعلم حتى تعملوا بما تعلمون .

(٨) الحديث (١١٧٨) تناصحوا في العلم ولا يكتم بعضكم بعضاً فإن الخيانة في العلم أشد من الخيانة في الحال .

رفع مقام العلماء حتى لتجدهم أوصياء الأنبياء وورثتهم^(١) ، وأمناءه على خلقه^(٢) بل وزاد في مقامهم^(٣) وأشاد في مهامهم ، كما نجد علياً أمير المؤمنين ووصي رسول رب العالمين الذي كان قدوة وإماماً بعد رسول الله لا اتباع كتاب الله وسنة رسوله ، وياب علم مدينة رسول الله^(٤) والذي قال عنه (ص) : علي مني كهارون من موسى ، وإذا كان رسول الله أبو الفصاحة فعلي أبو البلاغة ، ولقد أشاد بالعلم والعلماء ورفعهم إلى أجل المناصب ونصح به ووعظ^(٥) .

(١) جاء في الحديث (٦٥٧) من نهج الفصاحة قوله (ص) : « إن العلماء هم ورثة الأنبياء » .

(٢) والحديث (٢٠١٣) قوله (ص) : « العلماء أمناء الله على خلقه » ، والحديث (٢٠١٤) قوله (ص) : « العلماء مصابيح الأرض وخلفاء الأنبياء وورثتي وورثة الأنبياء » ، وقوله (ص) في الحديث (٢٠١٥) : « العلماء قامة والمتقون سارة ومجالستهم زيارة » .

(٣) قال رسول الله (ص) : « أنا مدينة العلم وعلي بابها ومن أراد المدينة أتاها من بابها » .

(٤) قول علي عليه السلام الحديث (١٣٩) في نهج البلاغة وهو يخاطب كميل بن زياد النخعي قائلاً : —

يا كميل بن زياد ، إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها فاحفظ عني ما أقول لك : الناس ثلاث : فعالم رباني ويتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح ، لم يستضيؤا بنور العلم ، ولم يلجؤا إلى ركن وثيق ، يا كميل : العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكوا على الانفاق وصنيع المال يزول بزواله ، يا كميل بن زياد ، معرفة العلم دين يدان به ، به يكسب الإنسان الطاعة في حياته ، وجميل الاحدوثة بعد وفاته ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه . يا كميل بن زياد ، هلك خزان الأموال والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة ، ها ان ههنا لعلماً جماً وأشار بيده إلى صدره عليه السلام ، لو أصبت له حملة ، بلنى أصبت لقنا غير مأمون عليه ، مستعملاً آلة الدين للدنيا ، ومستظهراً بنعم الله على عباده ويحججه على =

وما أجمل ما وصف به العلم وأجل حقائقه فقال عليه السلام :
« كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلاّ وعاء العلم فإنه يتسع به وكم نصح
ودعى سامعيه حول أصول تعلم العلم وكيفية استعماله واتباعه^(١) ، والجد
في استحصله^(٢) ، وان يكون العالم بما علم عاملاً به^(٣) ، وكيف يتصرف

= أوليائه ، أو منقاداً لحملة الحق لا بصيرة له في امنائه ، يتقدح الشك في قلبه لأول
عارض من شبهه ، لا لذا ولا ذاك . او متهوماً باللذة سلس القيادة للشهوة ، أو مغرماً
بالجمع والادخار ليس من وعاء الدين في شيء أقرب شيء شبهاً بهما الأنعام السائمة ،
كذلك يموت العلم بموت حامله . . . الخ .

(١) قال عليه السلام في الحديث (٢٦٦) في نهج البلاغة « لا تجعلوا علمكم
جهلاً ويقينكم شكاً ، إذا علمتم فاعملوا ، وإذا تيقتم فاقدموا .
وقال في الحديث (٢٧٦) قطع العلم عذر المعلمين (أي من أيقن وعلم فعليه
العمل) .

والحديث (٣١٢) قال عليه السلام لسائل سأله عن معضلة : « سل تفقهاً ولا
تسأل تعنتاً فإن الجاهل المتعلم شبيه بالعالم وإن العالم المتعسف شبيه بالجاهل .
والحديث (٤) « نعم الدين الرضا ، والعلم وراثته والآداب حلل مجددة والفكر
مرآة صافية » .

والحديث (٣١) وهي وصية لابنه الحسن (ع) منها : واعلم أنه لا خير في علم
لا ينفع ، ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه .

(٢) الحديث (٢٨٠) إذا أُرذِل الله عبداً حُظر عليه العلم . والحديث (٣٥٨)
العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل ، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلاّ ارتحل
عنه .

(٣) الحديث (٣٦٤) قوله لجابر بن عبد الله الأنصاري : يا جابر قوام الدين والدنيا
بأربعة : عالم مستعمل علمه ، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم ، وجوار لا ييخل
بمعروف ، وفقير لا يبيع آخرته بدينه ، فإذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن
يتعلم ، وإذا بخل الغني بمعروف باع الفقير آخرته بدينه .

العالم بعلمه^(١) ، وما فرضه على وجوب نشره لأهله^(٢) ، ولقد ذم اختلاف العلماء في الفتوى^(٣) ، وبين أنواع العلم ودرجاته^(٤) ، ويعطي العلم الشرف الأرفع^(٥) والمقام الأعلى ، وبالتالي إشادته بطلب الحكمة^(٦) .

(١) الحديث (٣٧٤) : « لا تقل ما لا تعلم ، بل لا تقل كل ما تعلم ، فإن الله سبحانه قد فرض على جوارحك كلها فرائض يحتج بها عليك يوم القيامة » ، الحديث من خطبة له (ع) في العلم والعالم قوله : « فإن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله ، بل الحجة عليه أعظم والحسرة له ألزم وهو عند الله ألوم » .

(٢) الحديث (٤٧٠) « ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا » .

(٣) الحديث (١٨) قوله عليه السلام في ذم اختلاف العلماء في الفتوى عن الكتاب : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ، وقال تعالى : « فيه تبيان كل شيء » ، وقوله عليه السلام : إن الكتاب يصدق بعضه بعضاً وأنه لا اختلاف فيه لقوله تعالى : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » .

(٤) الحديث (٨٨) : « أوضع العلم ما وقف على اللسان وأرفعه ما ظهر في الجوارح والأركان » .

(٥) الحديث (١٠٩) : « ولا شرف كالعلم ، ولا عز كالعلم ، ولا مظاهره أوثق من المشاورة » .

(٦) الحديث (٧٦) : « خذ الحكمة أنى كانت ، فإن الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجج في صدره حتى تخرج فتسكن إلى صواحبها في صدر المؤمن » .
والحديث (١٧) : « الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق » .

الأصل الثامن : السعي والعمل :

قال تعالى في كتابه المجيد : ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَإِنْ سَعِيهِ سَوْفَ يَرَى﴾ النجم / ٤٠ و ٤١ . ويتم بالسعي والعمل ومتابعة ما بذل بصبر وإرادة وتنظيم وتصميم بصدق وإخلاص في مجهوده وجهاده ، ولم يقف لتنفيذ العلم وكسب التجربة وتوسيع وترسيخ الصناعة والفنون ذات المهارة ، وما يوسع للفرد والمجتمع من الثروة المعنوية والمادية ومنها الاقتصاد والتجارة والبيع والشراء^(١) والعقود والبنود .

(١) قال الله تعالى في كتابه الكريم سورة البقرة الآية ٢٨٢ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَى كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَيَكْتُبَ وَلِيَمْلَلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَخْشَى مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْلَأَ هُوَ فَلِيَمْلَلْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّاهِدَاءِ أَنْ تَضِلَّ أَحَدُهُمَا فَتَذَكَّرَ أَحَدُهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشَّاهِدَاءُ إِذَا مَا دَعُوا وَلَا تَسْتُمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكَمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّاهِدَةِ وَأَدْنَى إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَكْتُبُوهَا وَاشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارِ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ * وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ، والآية ٢٨٣ منه : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّاهِدَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ .

كما نجد القرآن يبحث عميقاً في مصالح البشر فيمنع الربا^(١) لما يعود هذا الأمر من الأضرار على طرفي المعاملة ، وانه فيه من الظلم الفاحش من المرابي حيث لا يقوم بما لديه من أموال بأعمال مولده مثمرة بل العكس يقوم بعمل غير مثمر لنفسه من الناحية العملية ، ومضر بالآخر حيث ينهكه بالاستثمار وربما أدى ذلك إلى خسارة المبلغ ، فأضر بالمعطي والأخذ وحرمان الاثنين من الأعمال المجدية العمرانية أو الزراعية أو الصناعية وغيرها . هذا في الوقت الذي يدعو للإتفاق ومساعدة الفقراء في

= وقال تعالى في سورة النساء : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ . وقال تعالى محذراً البياعين المطففين من الغش والاحتيال وإعطاء المشتري أقل من حقه كما جاء في الآية ٢ و٣ من سورة المطففين : ﴿ وَيَلِ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ ، والآية ٩ و١٠ من سورة الجمعة حيث يدعوا الناس للصلاة بميعادها جميعاً وترك البيع أو اللهو إلا بعد انتهاء الفريضة ، قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾ . وفي ١١ منه : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو مِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ .

(١) قال تعالى في الآيات : ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٧٩ من سورة البقرة ، قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَى لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تَبَتُّمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تَظْلَمُونَ ﴾ ٢٨٠ منه .

الآيتين ٢٧٥ ومنه . قبلها ثم ترى القرآن يضرب لنا أمثالاً في الأعمال الصالحة وكيف تربو عند الله^(١) وبعكسها الأعمال الشريرة . كما يوصي الله أن تكون الأعمال أعمال مجدية وغير مجدية أو ضارة لأن الله يحاسب المرء على عمله فيثيبه في الحسنى ويقاصصه في المصرة^(٢) كما منع الله الحسد وأمر بالسعي للكسب^(٣) ، والله في كل عمل يقوم به العبد قد وضع له حدود ونواميس ونية المرء دائماً تتبع عمله ، والظاهر دليل على الباطن ، حتى قال تعالى في محكم كتابه مبشراً ومنذراً عباده في أعمالهم الدنيوية والأخروية^(٤) ، انها ولا شك لتأتي أكلها إن كانت خيراً فخير أو شراً فشر ، كما ترى الله عز وجل يحذر من عواقب الشك ويدعو إلى الإيمان واليقين والأعمال القائمة عليها^(٥) ، وينهي الله نهياً باتاً عن السعي والعمل

(١) قوله تعالى في الآية ٢٩ من سورة إبراهيم : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾ ، و٣٠ منه ﴿ تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ﴾ ، و٣١ منه : ﴿ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾ ، وقوله تعالى في الآية ٢٦١ من سورة البقرة : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ .

(٢) الإسراء قوله تعالى : ﴿ ولا تقفوا ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾ .

(٣) النساء/٣٢ قوله تعالى : ﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله بفضله على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليماً ﴾ .

(٤) ١٩٥ آل عمران : ﴿ فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض ﴾ .

(٥) قوله تعالى في سورة الحج : ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ﴾ .

الفساد^(١) ، وما أشد جزاء العمل المخرب الفاسد ، وهذا الفساد جزاءه يتضاعف كلما زاد ضرره ، كما جاء في سورة المائدة ، الآية : قوله تعالى^(٢) .

والعمل والسعي يختلف جزاءه الدنيوي والأخروي باختلاف نفعه وضرره للفرد والمجتمع فرب عمل نفع أو أضر المرء به نفسه ، أو تجاوز إلى فرد واحد أو عدة أفراد أو قبيلة أو أمة ، أو امتد ضرره إلى امتداد التاريخ تتناقله الأجيال خلفاً عن سلف ، وتنتقل المظالم معهم فكل له جزاء وحسابه وأثره .

(١) البقرة/ ٢٠٥ ، قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ﴾ ، وقوله تعالى في سورة النجم الآيات الثلاثة ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ : ﴿ وان ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ وان سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى ﴾ ، وقوله تعالى في الآية ٣٥ من سورة النازعات : ﴿ يوم يتذكر الإنسان ما سعى ﴾ ، وهذا التذكر قد يكون دنيوياً إن حصلت نتيجته في الدنيا وإلا فهو أخروي . وقوله تعالى في سورة طه الآية ١٥ : ﴿ لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ ، حتى قال تعالى عن السعي لأجل الآخرة في سورة الإسراء ، الآية ١٩ ، قوله تعالى : ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً ﴾ .

(٢) الآية ٣٢ من سورة المائدة : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ إلا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم .

السعي والعمل في السنة :

ولقد جاءت السنة المأخوذة من أعمال الرسول (ص) وأقواله ونصائحه قواعد وأنظمة متينة هادية للمسلمين في حياتهم ، وقد حث على العمل وعلى أن يجهد الفرد في العمل حتى يدرك الغاية^(١) ، ونراه (ص) يدخل بعض أعمال الأفراد في حكم الجهاد من حيث الثواب^(٢) ، ويوصي بالمداومة على الأعمال النافعة^(٣) ، كما يوصي بالعمل المفيد الذي يوافق

(١) من نهج الفصاحة الحديثة (٤١٧) : « أفضل الناس رجل يعطي جهده » .
والحديث (٧٠٩) : « إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا » . والحديث (٧١٩) : « إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » .

(٢) الحديث (٣٧٧) : « ليس الجهاد أن يضرب الرجل بسيفه في سبيل الله تعالى ، إنما الجهاد من عال والديه وولده فهو في جهاد ومن عال نفسه فكفها عن الناس فهو في جهاد » .

(٢) الحديث (٣٧٧) : « ليس الجهاد أن يضرب الرجل بسيفه في سبيل الله تعالى ، إنما الجهاد من عال والديه وولده فهو في جهاد ومن عال نفسه فكفها عن الناس فهو في جهاد » . والحديث (٢٢٠٨) : « لأن يأخذ أحدكم حبلًا ثم يغدو إلى الجبل فيحتطب فيبيع فيأكل ويتصدق خير له من أن يسأل الناس » ، والمداومة على العمل النافع من التي يحبها الله ورسوله .

(٣) الحديث (٧٣) : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » .

عليه الدين^(١) ، وأن يعمل بنية حسنة ويكون خاتمة خيراً^(٢) ، وتراه يقسم الأعمال ويذكر المفضلة منها بالنسبة لغيرها ، والتي هي أحب لله ولرسوله ولا شك أنها الأنفع للفرد والمجتمع^(٣) ، وإذا ما طالعت الأحاديث وجدت أي مجتمع إنساني يدعوه هذا النبي الكريم ، حتى لتراه يربط عمل الرجل إلى نيته وإلى قرينه الذي انتخبه^(٤) ، ويشترط بالعمل أن يكون نافعا^(٥) ، ويقول : إن الحقائق لا بد وأن تكشف^(٥) ، ويقرن (ص) العمل بالإيمان ، والإيمان بالعمل^(٧) ، وجعل العمل هو نسب المرء وحسبه كما

(١) الحديث (١١١) : « اخلصوا أعمالكم لله فإن الله لا يقبل إلا ما خلص له » .
(٢) الحديث (٣٦٩) : « الأعمال بالنية » ، والحديث (٩٣٧) : « إنما الأعمال بالنيات والخواتيم » ، والحديث (٢٤٦٨) : « لا تعجبون من عمل عامل حتى تنظروا بما يتحتم له » . والحديث (٣٨٧) : « أفضل الأعمال بعد الإيمان التودد إلى الناس » .

(٣) الحديث (٣٦٥) : « أفضل الأعمال ثلاثة : التواضع عند الدولة ، والعفو عند القدرة ، والمعطية بغير منة » . والحديث (٣٨٦) : « أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً أو تقضي عنه ديناً » . و (٣٩٠) : « أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس » ، و (٦٢٧) : « إن الرجل ليعمل عمل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة » .

(٤) الحديث (٦٢٠) : « إن الرجل إذا رضي هَدَى الرجل وعمله فهو مثله » .
و (١٢٨١) : « ثلاث من كن فيه فهي راجعة على صاحبها ، البغي والمكر والنكت » .
و (٢٨١٠) : « من أحب عمل قومٍ خيراً كان أو شراً كان كمن عمله » .
(٥) الحديث (١٤٩٤) : « خير العمل ما نفع وخير الهدى ما اتبع » .
و (١٧٩٣) : « شتان ما بين عاملين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤنته ويبقى أجره » .

(٦) لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائناً ما كان .

(٧) والحديث (٢٥٥٣) : « لا يقبل إيمان بلا عمل ولا عمل بلا إيمان » .

جاء في الحديث (٢٨٤٢) : « من أبطأ عمله لم يسرع به نسبه » .

ونراه (ص) ينصح لمن أراد السلامة في عمله كيف يعمل^(١) ،
ويحذر كل الحذر من العمل بدون علم^(٢) ، ويشيد بالعمل حتى بعد
الموت^(٣) ، كما يدعو بالتوئدة والتدبر في العمل ليكون عاقبته يعود
بالخير^(٤) ، كما يدعو إلى اتقان العمل وإتمامه^(٥) ، ويرى أن أوسط الأمور
خيرها^(٦) ، ويوصي (ص) بالتساهل والسماح في الأعمال ما أمكن^(٧)
ويوصي بعدم التأخير في العمل وما أمكن عدم تأجيل عمل اليوم إلى غدٍ
لأن في الترك آفات ، وفي الترك غصص ، وربما فاتت الفرصة السانحة
وبعدها الندم حيث لا ينفع الندم^(٨) ، وما أبدع قوله في الحديث (٢٦٥٦)

(١) الحديث (٣٠٥٣) : « من أراد السلامة فليحفظ ما جرى به لسانه وليخرس
ما انطوى عليه جنانه وليحسن عمله ، وليقصر أمله » .

(٢) الحديث (٣٠٥٨) : « من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما
يصلح » .

(٣) الحديث (٣٢١٠) : « يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحدة ، فيرجع
أمله وماله ويبقى عمله » .

(٤) الحديث (١٦٩) : « إذا أردت أمراً فعليك بالتوئدة حتى يريك الله منه
المخرج » والحديث (١٧١) قوله (ص) : « إذا أردت أن تفعل أمراً فتدبر عاقبته ، فإن
كان خيراً فامضه وإن شراً فانتبه » ، والحديث (٢٨٤) : « استفت نفسك وإن أفناك
المفتون » .

(٥) الحديث (٢٢١) : « إذا عمل أحدكم عملاً فليتقنه » . و (٣٢١٧) : « يحب
الله العامل إذا عمل أن يحسن » كما جاء : « رحم امرء عمل عمل فأتقنه وفي أخرى
فأتمه » . و (٢٧١) قوله (ص) : « استتمام المعروف خير من ابتداءه » .

(٦) الحديث (١٤٨) : « خير الأمور أوسطها » .

(٧) الحديث (١٦٥٥) : « رحم الله عبداً : سمحاً إذا باع ؛ سمحاً إذا اشترى ،
سمحاً إذا قضى ، سمحاً إذا اقتضى » .

(٨) الحديث (٢٤٣٣) : « لا تدعن حقاً لغدٍ فإن كل يومٍ ما فيه » .

قوله (ص) : « ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله إذا خلوت » .
ويريك النتيجة التي تحصل للمرء فهي تنبيك عن خيره وشره^(١) ، ويدعو
(ص) للعمل بالمعروف والنهي عن المنكر في الحديث ٣٠١٠ قوله
(ص) : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن
لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

وقد جاء عن أمير المؤمنين علي عليه السلام ما ذكره في نهج البلاغة
عن العمل المقرون بالتصميم والإرادة ، وقد أجاد ولا نشك وإن كلامه كله
حكم مستمدة من الشريعة الغراء ، الكتاب والسنة الغراء ، لأنه نفس
رسول الله ، وباب مدينة علمه ، وبمقام هارون من موسى بالنسبة له ،
وهو من أهل الكساء الذين طهرهم القرآن في آية الطهارة^(٢) ، وأذهب
عنهم الرجس ، وهو يهيب بالمسلمين ويحذرهم بالعمل قبل فوات
الفرصة ، ويحرض الأفراد على الشجاعة الأدبية دون حياء ورهبة لعمل
الخير^(٣) ، وجعل العمل هو حسب المرء ونسبه^(٤) ويشيد بالعلم المقرون

(١) الحديث (٢٨٣١) : « من مات على خيرٍ عَمِلَهُ فأرجوه خيراً ومن مات
على شر عمله فخافوا عليه ولا تيأسوا » .

(٢) قوله تعالى : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم
تطهيراً ﴾ .

(٣) قال عليه السلام في ج ٦ الكلمة (٢٠) : « قرنت الهيبة بالخيبة ، والحياء
بالحرمان ، والفرصة تمر مر السحاب ، فانتهزوا فرص الخير » . وقال عليه السلام في
ج ٦ الكلمة (٤٣٣) : « ما انقضى النوم لعزائم اليوم » ، وفي (٣٧٩) منه : « من
طلب شيئاً ناله أو بعضه » . وقوله عليه السلام : « اضاعة الفرصة غصة » ، وقوله عليه
السلام في ج ٦ الكلمة (٢٧٧) : « كل معاجل يسأل الانظار وكل مؤجل يتعلل
بالتسويق » .

(٤) قال عليه السلام في ج ٦ الكلمة (٢٢) : « من أبطأ به عمله لم يسرع به
حسبه » وفي الكلمة (٣٧٨) : « من أبطأ عمله لم يسرع به نسبه » .

بالعمل^(١) ، وما أجمل ما وصف به الإسلام حتى أنهاء إلى العمل ،
فالإسلام بنظره غاية مأخوذة من التسليم بعد اليقين والتصديق والإقرار
والأداء بالعمل^(٢) ، ويرى الكسل يورث الهم^(٣) ، ويؤيد كلمة رسول الله
والقرآن في الجهد والسعي وجهاد النفس على عمل الخير^(٤) ، وترى
البلاغة في أقواله المستدلة على اتباع العمل بالعلم^(٥) ، ومن حكمة
المنطقية في العمل الدائم والمنقطع إملأ^(٦) ، وعند تعارض العمل
الواجب والمستحب ترك المستحب إن أضر بالواجب^(٧) ، وهو ما يواقع
المنطق السليم .

(١) قال عليه السلام في ج ٦ الكلمة (٨٨) : « أوضع العلم ما وقف على
اللسان (أي لم يتجاوزه) وارفعه ما ظهر في الجوارح والأركان » .

(٢) قال عليه السلام في ج ٦ الكلمة (١٢٠) : « لا نسب الإسلام نسبة لا ينسبها
أحد قبلي ، فقال : « الإسلام هو التسليم ، والتسليم هو اليقين ، واليقين هو التصديق ،
والتصديق هو الإقرار ، والإقرار هو الأداء والأداء هو العمل » .

(٣) قال عليه السلام في ج ٦ : « من قصر في العمل ابلي بالهم ، ولا حاجة
لله فيمن ليس لله في ماله ونفسه نصيب » .

(٤) قال عليه السلام في ج ٦ الكلمة (٢٤١) : « أفضل الأعمال ما أكرهت
نفسك عليه » لأن الأجر على قدر المشقة » .

(٥) قال عليه السلام في ج ٦ الكلمة (٢٦٦) : « لا تجعلوا علمكم جهلاً
ويقينكم شكاً ، إذا علمتم فاعملوا ، وإن تيقنتم فاقدموا » ، وقال عليه السلام في ج ٦
الكلمة (٣٥٨) : « العلم مقرون بالعمل ، فمن علم عمل والعلم يهتف بالعمل فإن
أجله وإلا ارتحل عنه » .

(٦) قال عليه السلام في ج ٦ الكلمة ٢٧١ : « قليل تدوم عليه أرجى من كثير
مملول منه » ، وفي ج ٦ الكلمة (٣٩٥) : « من أوماً إلى متفاوت خذنته الحيل (أي
من أراد الكل فاته الكل ، فيجب الامتناع عن القيام بأعمال متناقضة أو أعمال متعددة
في آن واحد فهذا خلاف التدبير .

(٧) قال عليه السلام في ج ٦ الكلمة (٢٧٢) : « إذا خلت النوافل بالفرائض
فأرفضوها » .

الأصل التاسع : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالوقت من الفروض:

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : هي مجمع الفضائل وكرم الأخلاق وسمو العقل البشري والنزعة الإنسانية الصادقة ، والآباء والشهامة ، ونكران الذات الوحشية البهيمية الأنانية القاسية ، والاندفاع إلى سمو المعنى وهداية العقل والحكمة بشجاعة ويسالة ونبالة وكرم ، واعتناق كل مكرمة والانصياع للضمير الحي ، ونكران العداء والمظالم والتجاوزات سيان منها المادية أو المعنوية بروح العدالة والمساواة والبر والإحسان والتقوى ، تلك التي تحمل روح الدين الإسلامي من الكتاب والسنة ، وهنا ونحن نذكر ما ورد من الكتاب والسنة النبوية وما ورد في نهج البلاغة لأمر المؤمنين علي عليه السلام نجلب نظر القارئ الكريم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما هو الدعوة لكل خير والابتعاد عن كل شر ، ويشمل جميع الأصول الداعية لذلك ، أخص ما مر وما سيأتي في الأصل الأخلاقي وغيره ، وبهذا الأصل (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) تقوم دعائم الحقوق البشرية وكل مقومات الحياة السعيدة .

قال الله تعالى في الآية ١٠٦ من آل عمران ، يطري بها الأمة الإسلامية بقواعدها المتينة وروحها الأخلاقية والإنسانية الرفيعة بقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ، ويأمر الله بكتابه المجيد الناس لاعتناق مبادئ

الإسلام بقوله تعالى في الآية ١٠٤ من آل عمران : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ .

ويفرق الكتاب بين المعروف وآمره والمنكر والناهي عنه ، فيقول في سورة النحل الآية ٩٠ قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ ، وترى في الآية ٢٦٧ من سورة البقرة كيف أن الموبقات والمنكرات من وساوس الشيطان ، والنفس الأمارة بالسوء قوله تعالى : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم ﴾ ، وقوله تعالى في سورة النور الآية ٢١ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم ﴾ .

فهناك بين الناس حزين فمثم من يتبع أوامر الله ودعوته إلى الخير ، ومنهم من يتبع دعوات الشيطان إلى عمل المنكرات^(١) . كما ورد ذلك في كتاب الله ، فالمؤمنون يتبعون أوامر الله^(٢) والكفار والمنافقون

(١) الآية ٦٧ من سورة التوبة : ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون ﴾ ، ٦٨ منه : ﴿ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم ﴾ . وقوله تعالى في الآية ٧١ من سورة التوبة : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ .

(٢) سورة النحل الآية ٩٠ : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى بعضكم لعلكم تذكرون ﴾ .

يتبعون أوامر الشيطان وخطواته ، وكل سيلقى جزاءه الدنيوي والأخروي^(١) ، وترى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن من الأصول الأولى التي يرسل الله أولي العزم من رسله لإقامتها ، وأخص ما ورد عن رسول الله محمد (ص) قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذي آمنوا وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ ، وترى من فحوى الآية أنها موجهة إلى اليهود والمسيحيين أولئك الذي غيروا وبدلوا واتبعوا خطوات الشيطان باتباع المنكر ، وعدم الأمر بالمعروف ، وهذا ما نصت عليه الآيات أخص ٨٢ و ٨٣ من سورة المائدة^(٢) .

(١) آل عمران الآية ٢١ قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم ﴾ .

(٢) والآيتين : ٧٨ و ٧٩ من سورة المائدة : ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ . فقد كانوا يعملون الموبقات وهم يطلقون على أنفسهم أهل الكتاب دون أن يتحاشوا من اتیان أي موبقة من الموبقات من ظلم واعتداء على الأنفس والأموال وحتى كانوا من ألد أعداء الأنبياء ، وكل من يعظهم بذلك ولا يتحاشون من أكبر الجرائم حتى قتل الأنبياء والمؤمنين الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في السنة

جاء في نهج الفصاحة عن رسول الله (ص) في الحديث (١٣٣٨)
قوله (ص) : -

« الجهاد أربعة : ١) الأمر بالمعروف ، ٢) والنهي عن المنكر ، ٣)
والصدق في مواطن الصبر ، ٤) وشنآن (تنفر من) الفاسق .

فنرى حسب السنة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الجهاد
الوارد الواجب على المسلمين ، وسترى في الموارد الآتية أثره الأساسي
في إقامة الإسلام والحياة العادلة الإنسانية وسمو الخلق والتقوى ، وقد
جعل رسول الله (ص) الأمر بالمعروف كفاعله^(١) ، كما جعل كل معروف
صدقة ، ولو قالها ولم يفعلها بنفسه^(٢) ، والأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر من الأصول والأركان الضرورية في الحياة ، والفروض الواجبة
الإسلامية لإقامة الفضائل وتشديد العدالة والبر والإحسان ، وكل المكرمات
ومنع وصد الرذائل والموبقات وحدها ومتى فقدت تسلط أهل المنكر وساد
الفساد وفشى الظلم واختفت العدالة ، وهي التي صرح بها رسول الله
(ص) في أحاديثه^(٣) ، وأكد عليها ، بل جعل الأمر بالمعروف والنهي عن

(١) قوله (ص) في نهج الفصاحة الحديث (١٠٤٨) : « الأمر بالمعروف
كفاعله » .

(٢) الحديث (٢١٤٦) : « كل معروف صدقة » . وأيضاً قوله (ص) في الحديث
(٢٧٣٧) : « مروا بالمعروف وإن لم تفعلوه وإنه عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله » .

(٣) الحديث (٢٢١٨) : « لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليسلطن الله
عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم » .

المنكر سمة خاصة للمسلم ، وإن لم يرعها فليس بمسلم ^(١) .

ويوصي (ص) أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فذاً حنوناً ذوباً وإحساناً وتقوى ، وإن يكون أمره هذا صادراً من مصدر معروف غير منكر ، غير ذي غلظة وكبرياء ، يستنكر لهجته السامعون ^(٢) ، لذا نراه (ص) يحسب الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر من أفضل المسلمين وخيرتهم ^(٣) ، ويرى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي وحدها الفضيلة مما تشتمل عليها الحياة ^(٤) ، ويرى متى توقف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غشيت الناس الجهل وموبقات الحياة ^(٥) ^(٦) ، ولذا أمر (ص) أمراً قاطعاً بذلك وقال في الحديث (٣٠١٠) من نهج الفصاحة : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » ، والأخيرة قال عنها وأكدها في حديثه (١٠٨٣) : « يحسب المرء إذا رأى منكراً لا يستطيع له تغييراً أن يعلم الله تعالى أنه له منكر » (أي الإنكار بالقلب) .

-
- (١) الحديث (٢٤١٦) : « ليس منا من لا يوقر الكبير ويرحم الصغير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر » .
- (٢) الحديث (٢٨٤٤) : « من كان آمراً بمعروف فليكن أمره ذلك بمعروف » .
- (٣) الحديث (١٤٩٩) : « خير الناس أقرؤهم في دين الله وأتقاهم لله ، وأمرهم بالمعروف ، وأنهاهم عن المنكر ، وأوصلهم للرحم » .
- (٤) الحديث (١٦٠٢) : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا أمراً بالمعروف أو نهياً عن المنكر » .
- (٥) الحديث (٢٠٣٢) : « متى غشيتكم سكرتان : سكرة حب العيش ، وحب الجهل ، فعند ذلك لا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر » .
- (٦) الحديث (٢١٤٥) : « كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر أو ذكر الله تعالى » .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن أمير المؤمنين علي (ع) في نهج البلاغة

وهو يؤيد كلام الله وسنة رسوله بفصاحة وبيان بليغ وحكمة يأخذ بمجامع قلوب المؤمنين .

من نهج البلاغة الحديث (٣٦٧) عن أبي جحفة قال : سمعت أمير المؤمنين (ع) يقول : إن أول ما تغلبون عليه من الجهاد والجهاد بأيديكم ، ثم بالسنتكم ثم بقلوبكم فمن لم يعرف بقلبه معروفاً ولم ينكر منكراً قلب فجعل أعلاه أسفله وأسفله أعلاه .

والحديث (٣٦٥) منه : وروى ابن جرير الطبري في تاريخه عن عبدالرحمن بن أبي ليلى الفقيه ، وكان ممن خرج لقتال الحجاج مع ابن الأشعث ، انه قال فيما كان يحض به الناس على الجهاد : إني سمعت علماً رفع الله درجته في الصالحين وأثابه ثواب الشهداء والصديقين يقول يوم لقينا أهل الشام :

أيها المؤمنون : إنه من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرىء ، ومن أنكره بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه ، ومن أنكره بالسيف لتلكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين هي السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ونور في قلبه اليقين .

والحديث (٣٦٦) منه : وقال عليه السلام في كلام آخر له يجري هذا المجرى (وهو يجري حديث رسول الله صلى الله عليه وآله) ٣٠١٠ من نهج الفصاحة : فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه ، فذلك المستكمل لخصال الخير ، ومنهم المنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده ، فذلك مستمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيق خصلة ، ومنهم المنكر بقلبه وتارك بيده ولسانه ، فذلك الذي ضيع أشرف الخصلتين من الثلاثة وتمسك بواحدة ، ومنهم تارك لإنكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميت الأحياء ، وما أعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجى ، وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق ، وأفضل من ذلك كلمة عدل عند إمام جائر .

ومن الخطبة القاصعة : وان عندكم الأمثال من بأس الله وقوارعه وأيامه ووفائعه ، فلا تستبطؤا وعيده جهلاً بأخذه وتهاوناً ببطشه وبأساً من بأسه ، فإن الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلا لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلعن الله السفهاء ركوب المعاصي ، والحلماء لتركهم التناهي .

ومن الخطبة ١٥٥ قوله (ع) : لعن الله الأمرين بالمعروف التاركين له والناهين عن المنكر العاملين به .

والحديث (٣٠) في الجهاد قال (ع) : والجهاد منها على أربع شعب ، على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والصدق في المواطن ، وشنأ الفاسقين ، فمن أمر بالمعروف شد ظهور المؤمنين ، ومن نهى عن المنكر أرغم أنوف المنافقين ، ومن صدق في المواطن قضى ما عليه ومن شنىء الفاسقين وغضب لله ، غضب الله له وأرضاه يوم القيامة .

الأصل العاشر : الجهاد

وأما الجهاد وهو على نوعين : فالأول وهو الجهاد الأكبر ، وفيه جهاد النفس لاتباع الخير والابتعاد عن الشر أو بالأحرى اتباع المعروف بالنسبة للنفس وسوقها للفضائل والامتناع عن المنكر لمنعها عن الرذائل ومنها نشر الإصلاح في الأقربين الأبعد كما أمر الله وحد وقمع بذور الفساد ، قلباً ولساناً وعملاً .

والقسم الثاني وهو الجهاد للدفاع المسلح تجاه الغاصبين والمعتدين والظالمين كما أمر الله ورسوله ، وفي هذا نزلت آيات محكمات ويترتب عليه جزاء دنيوي وآخروي ، إما إلى النعيم وإما إلى الجحيم ، ذاك في الآخرة . وأما في الدنيا فلكل حكمه وقصاصه في الأموال والأنفس أو كلاهما^(١) .

وترى الآيات القرآنية آمرة بالجهاد بالترغيب والترهيب أمراً المعروف ونهياً عن المنكر لقمع المفساد والفتن والشرك والكفر والنفاق والقضاء على الرذائل والموبقات وصد كيد الأعداء وعدواتهم ، أولئك الذين يحاربون

(١) سورة العنكبوت الآية ٦ قوله تعالى : ﴿ ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين ﴾ .

وسورة التوبة الآية ١٩ قوله تعالى : ﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ ، آل عمران/١١٦ قوله تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خير بما تعملون ﴾ ، و١٦ و٨٩ التوبة .

الدين الإسلامي الحنيف ويريدون نشر مظالمهم ونشر مفاسدهم الاجتماعية بكل الوسائل الممكنة ، وأشد بإقامة حرب شعواء ضد المسلمين ، لذا نرى الآية القرآنية من سورة التوبة ٤١ قوله تعالى : كيف يدعوا المسلمين ويهيب بهم : ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ .

ويختلف المسلمون إيماناً وجهاداً ، فمنهم الذين قد آمنوا إيماناً ملكهم وأخلصوا لله ومنهم المترفون أولي الطول لا يريدون أن يتجاوز إيمانهم عن الأقوال ، بل ولما يدخل الإيمان بعد في نفوسهم ، وفيهم من يخفي الكفر ويظهر الإيمان ، وهم المنافقون . والله سبحانه وتعالى يعلم

= وقوله تعالى : ﴿ ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ، إن ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾ النحل/ ١١٠ منه : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ العنكبوت ، وقوله تعالى في سورة الأنفال/ ٧٣ : ﴿ إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض... ﴾ ، والبقرة/ ٢١٥ نفس المعنى ، وبراءة/ ٢٠ .

وقوله تعالى من سورة الحجرات / ١٥ منه : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ .

وقوله تعالى في سورة التوبة/ ٧٣ منه : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ ، ومثله الآية ٩ من سورة التحريم ، وقوله تعالى لنيه أيضاً في سورة الفرقان الآية ٥٢ : ﴿ فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً ﴾ .

وقوله تعالى في سورة النساء/ ٩٥ : ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة... ﴾ الخ . وقال تعالى في سورة محمد الآية ٣١ : ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم ﴾ .

سرهم وجهرهم ويعلن لرسوله الحقائق ويفضحهم في آياته بقوله تعالى في الآية ٨٧ من سورة التوبة والآيات ٤٤ و٨٢ منه ، فالآية ٨٦ : ﴿ وإذا نزلت سورة ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين ﴾ ، والآية ٤٤ و٤٥ منه : ﴿ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين ﴾ إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون * ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ﴾ .

وحقاً مثل هؤلاء المتشككين ممن لا زالوا في ريبهم والمنافقين إنما هم علة الشيط والخمول والفساد لذا نزلت الآية (٤٧) : ﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خيالاً ولا وضعوا خلالكم ييغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين ﴾ ، والآيات ٤٨ إلى ٧٠ والآية ٨٠ من قوله تعالى : ﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون ﴾ ، إلى الآية ٩٧ .

والجهاد في سبيل الله عند الضرورة الإسلامية من أعظم الأعمال التي يدعوا إليها القرآن ويقدمها على كثير من الحسنات كما ورد في الآية ٢٤ من سورة التوبة ، قوله تعالى : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ .

ويحذر القرآن المسلمين وهم يجاهدون الكفار والمنافقين أن يتوددون إليهم ويسرّون إليهم بالمحبة إذ إن ذلك ما هو إلا نفاق لا يوافق الشريعة ، ويخالف أمر الله ورسوله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لذا قال الله سبحانه عز وجل في كتابه المجيد في سورة الممتحنة الآية ١ : ﴿ يا

أيُّها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم المودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل .

وحتى نزلت في الجهاد والترغيب فيه أحسن الآيات وعدّ الله هذا الجهاد للأفراد كمعاملة تجارية يربحون فيها الدنيا بالنصر والفتح ان اخلصوا وصيروا وثبتوا ويدركون فيها الفوز الأخروي بالخلود في الجنة والسعادة الأبدية فيها ، قوله تعالى في سورة الصف الآيات ١٠ إلى ١٥ : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ﴾ (١) .

ولم يكن الجهاد بالسيف فقط فكل مجهود يبذله المرء للأمر بالمعروف والدفاع عن المنكر والنهي عن الموبقات والوقوف لصد الرذائل فهو يعتبر جهاداً ، وربما بذل الطرف الآخر مجهوداً مقابلاً فهو جهاد معكوس لصد المعروف ، ونشر المنكرات كما ورد في سورة العنكبوت الآية ٧ قوله تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلى مرجعكم فانبؤكم بما كنتم تعملون ﴾ وكما جاء في الآية ١٤ من سورة لقمان قوله تعالى : ﴿ وإن جاهداك أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إليّ . . . ﴾ (٢) الخ .

(١) الآيات من ١١ - ١٤ من سورة الصف قوله تعالى : ﴿ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظمي * وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين * يا أيُّها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين .

الجهاد في السنة : وكلما مر وذكرنا أن الجهاد نوعين : جهاد النفس
وجهاد الغير ، ومما جاء في نهج الفصاحة^(١) في جهاد الغير قد يدرك
المرء أعظم درجات الجهاد في كلمة الحق^(٢) ، وأعظم الجهاد جهاد
النفس^(٣) وحراسة الإسلام المادية والمعنوية^(٤).

(١) هنا ترى الله يحفظ كفاية لمكارم الأخلاق وسمو المعنى حفظ كرامة الآباء
رغم إتيان الرذيلة تجاه أولادهم فإن الله يوصي الأولاد رغم عدم اطاعتهم لما يدعوانه
من المنكرات أن يحتفظ الولد تجاههما بالمعروف والإحسان لمقام الأبوة الشامخ بالنسبة
للأبناء .

(٢) أحاديث رسول الله (ص) في الجهاد من نهج الفصاحة :

١٣٢٩ – الجنة تحت ظلال السيوف .

٢٢٥٠ – لقيام الرجل في الصف في سبيل الله عز وجل ساعة أفضل من عبادة ستين
سنة .

١٢٤٢ – ثلاثة من قالهن دخل الجنة : من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً ومحمد (ص)
رسولاً ، والرابعة لها فضل كما بين السماء والأرض وهي الجهاد في سبيل الله
عز وجل .

١٦١٩ – ذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله لا يناله إلا أفضلهم .

(٣) قال رسول الله (ص) من نهج الفصاحة :

٣٩٤ – أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر .

٣٩٥ – أفضل الجهاد من أصبح ولم يَهم بظلم أحد .

٦٨٥ – إن الله اطلع على أهل بدر وقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .

٣٩٧ – أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه .

١٣٦٤ – حرم على عيين أن تنالهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت
تحرس الإسلام وأهله من الكفر .

٧١٠ – إن الله كتب الغيرة على النساء والجهاد على الرجال ، فمن صبر منهن ايماناً
واحساباً كان لها مثل أجر الشهيد .

١٢٤١ – ثلاثة لا ينفع معهن عمل : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، والفرار من
الزحف .

الأصل الحادي عشر : حسن الانتخاب

وهو الأصل الذي يشمل الفكرة في الموارد التعليمية من درس وكتاب وراديو وتلفزيون والقول فيما يتكلم ويكتب وينشئ ، والعمل فيما يعمل من مهنة وصناعة وتجارة وسفرة ، وأفراد وجمعات يعاشروهم ، وعقيدة وأحزاب وجمعيات يحضرها وينتمي إلى بلاد يختارها مسكناً دائماً أو مؤقتاً بقصد التمتع والاستجمام ، أو الاستطلاع والاكتشاف . وكل ذلك يدل على مدى ما يحمله من صفة ذهنية وعقلية وخبرة ، ومنها أي عقيدة ودين منتخب ، وحتى في الأكل والشرب والبيع والشراء ، وكل شيء فيه حسن وقبيح حتى أنواع السمر والابتعاد عما يضر كالقمار ومثله في الشرب الابتعاد عن المسكرات والمخدرات ، وكلما يضر . لذا قال الله تعالى : ﴿ وبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ﴾ ، وقال تعالى في كتابه : ﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إنا هديناه النجدين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وليس للإنسان إلا ما سعى وإن سعيه سوف يرى ﴾ ، أي مقدار السعي ونوع السعي أهو خير أم شر .

وقال الحكماء : الكلام صفة المتكلم ، كما وأن العمل صفة العامل . ولكل نية وقول وعمل وسلوك ميزان معلوم ودرجة من الخير والشر والحسن والقبيح ، يدركه العقل السليم ، الذي يوجد في الإنسان كموهبة

إلهية ، كما وهب الله لكل فرد قدرة إرادية يحكم بها تصميمه وتنظيمه وعلى قدر تنفيذها وتوجيهها يدرك السعادة والشقاء الدنيوي والأخروي .

كما قام رجال الفكر من حكماء وعلماء وقادة ومجربين وأنبياء وأئمة لنشر نصائح وحكم ومآثر وأقوال لإرشاد الغافلين ، ومعونة العقلاء المدبرين وتوضيح المحامد من المفساسد والفضائل من الرذائل ، سيان منها في الأقوال أو الأفعال كلما مر أعلاه لهداية الناس ، فنرى القرآن مثلاً يعتبر ظلم النفس له قصاص ، وجزاء يؤخذ عليه المرء في شتى الشؤون حتى في محل السكنى والإقامة ، وانتخاب الوطن الأصلح كما ورد في القرآن الكريم الآية ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالَ فِيما كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالَ أَوْلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجَرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ .

وجاء عن رسول الله (ص) قوله من نهج الفصاحة :

١١١٦ - البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فحيثما أصبت خيراً فأقم .

١١٩٠ - تهادوا تزدادوا حباً وهاجروا تورثوا أبناءكم مجداً وأقبلوا الكرام عثراتهم .

وقال الإمام علي عليه السلام في ج ٦ الكلمة (٤٣٤) من نهج البلاغة : « ليس بلد بأحق بك من بلد - خير البلاد ما حمك » ، و(١١١٦) : واسكن الأمصار العظام فإنها جماع المسلمين .

وعلى المرء الاطلاع والعلم فيما يختاره للفكر والقول والعمل ومما يعود عليه في الحاضر والمستقبل من الخير ويتبعد عن الشر ، وعلى قدر ذلك تعرف أفكاره ونواياه وأقواله وأعماله لصفة قائمة فيه ، وراثياً ومكتسبة علماً وتجربة من التربية والمحيط ، فإن قال عرف من قوله مكنوناته من الثروة العلمية وما يحمله من الخبرة والحكمة والإرادة والهمة أو السذاجة المبتذلة أو الجهالة المحتملة ، وفي صنعه أو عمله يعرف منه مدى مهارته وخطره وإحاطته وقدره ، ومن انتخابه للمعاشرة والمجالسة والمسكن والمسلك وصديقه ورفيقه وكتبه وخطبه نقف على آراءه وأفكاره وصفاته وأطواره .

الأصل الثاني عشر: الاعتدال

والاعتدال أصل اجتماعي إنساني أمر به الله في كتابه ورسول الله في سنته وسيرته والأئمة في وصاياهم ، والحكماء في أقوالهم وأعمالهم ، والاعتدال في كل شيء من مستلزمات الاستقرار والسلام ، فالبدن المعتدل في مزاجه هو البدن الصحيح السالم من العوارض والأمراض والنفس المعتدلة في سلوكها والمقتصدة في أفكارها وأقوالها وأعمالها هي السعيدة المتنعمة ، والمجتمع المعتدل في عواطفه وميوله المعتدل بين العقل والشهوات تتجلى له الحقائق ويهتأ في عيشه ، والاعتدال في جميع الموارد الطبيعية (الفيزيائية والكيميائية) هي المنتجة للمواد المستقرة ، فإذا اختل الاعتدال تشابكت وتضاربت وتخاصمت وانفجرت واختلت وبعثت بالدمار والخسران والحروب والنكران ، أو اختلت وانهدمت وانعدمت حتى يتغلب القوي على الضعيف ، ذلك هو أصل في الماديات والمعنويات ، وذلك هو حكم القانون الطبيعي المنبعث من منبع الحكمة والمعرفة من الله المبدع الحكيم .

قال الله تعالى في سورة الإسراء / ٢٩ : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ﴾ ، وفيها أهم أمر اقتصادي يلزم أن يسلكه الفرد والجماعة لضمان حياته الاقتصادية .

وقال تعالى في ١١٠ منه : ﴿ ... ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾ .

وقوله تعالى في سورة لقمان ١٨ منه : ﴿ ولا تصغر خدك للناس ولا تمشي في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾ .

ولا يقصد في هذه الآية التواضع لا أبداً فالتواضع مستحسن وإنما يمنع التذلل المبتذل والتكبر المستهجن ، ويدعو إلى الاعتدال والمجاملات والآداب الحافظة لعزة المرء وكرامته والتآلف .

وقوله تعالى في سورة لقمان ١٩ منه : ﴿ واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ .

وفي هذه الآية التي يدعو الناس إلى الأدب والتربية الرفيعة يوجهه إلى التعادل والحد الوسط حتى في سيره وسيرته وصوته وحديثه والقاء أفعاله وأقواله على الأبصار والأسماع مما يكسبه الالفة والمحبة والاحترام .

وجاء في السنة من أحاديث رسول الله (ص) قوله :

١٤٨١ - خير الأمور أوسطها .

٥٤١ - أمر بين أمرين وخير الأمور أوسطها .

١٦٤٩ - رحماء امتي أوسطها .

٢٦٠١ - ما عال من اقتصد .

٢٦٠٨ - ما أحسن القصد في الغنى ، ما أحسن القصد في الفقر ، وأحسن القصد في العبادة .

٢٧٥٤ - من قدر رزقه الله ومن بذّر حرمه الله .

٢٩٣٩ - من اقتصد اغناه الله ومن بذّر أفقره الله ومن تواضع رفعه الله ومن تجبر قصمه الله .

١٢٩٠ - ثلاث منجيات : خشية الله في السر والعلانية ، والقصد في الغنى والفقر ، والعدل في الغضب والرضا .

٤٣٧ - أكبر امتي الذين لم يعطو فيبطروا ولم يُقتر عليهم فيسألوا .

١٠٤٥ - أيها الناس عليكم بالقصد عليكم بالقصد ، فإن الله تعالى لم يَمَلْ حتى تَمَلُّوا .

وما أبدع ما قاله الإمام محمد الباقر لابنه جعفر بن محمد الصادق
حفيد رسول الله (ص) قوله :

« يا بني خذ الحسنة من بين السيئتين » ، فما زاد سيئة وما نقص
سيئة ، والاعتدال وحده هو الحسن .

وما أبدع من قال : لا تكن رطباً فتعصر أو يابساً فتكسر .

ومن وصايا أمير المؤمنين علي عليه السلام لمالك الأشر قوله :
وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق .

وقال عليه السلام في نهج البلاغة ج ٦ الكلمة ١١٣ هلك في
رجلان محب غالٍ ومبغض قال .

وقال عليه السلام : أحب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغضك
يوماً ما ، وابغض بغضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما .

فالحد الوسط في كل شيء هو حد الاعتدال الذي يجب أن يكون
قاعدة في السلوك الاجتماعي الإنساني ؛ حتى في الحب والبغض ، فالغلو
في الحب منقصة كما أن الغلو في الكراهية مشينة ، مهما داخلك في
الحب من الإعجاب والإجلال والإكرام فلا تغالي فالغلو سيئة ، ولا تقلوا
قلواً فاحشاً مهما داهمك من النكران والكراهية والصدمة ، فالقلو سيئة
واتخذ في الحب والبغض حداً وسطاً ، فعساك اضطررت يوماً ما من نقد
من أحببت وعندها يشملك قول القائل : من مدح وذم فقد كذب مرتين ،
أو بالعكس قد وجدت مدح من ذممت ولم تكن أبقيت لوصمه من قبل
محلاً للمدح فيشملك نفس المعنى (من ذم ومدح فقد كذب مرتين) ،
والقصد لا يوقعك في الخطيئة والاعتدال فيه خلاصك دائماً من السيئة
ووضعك في الطريق الوسط الطريق الصائب .

الأصل الثالث عشر : اغتنام الفرصة

هذا البحث ضروري ودقيق ، ومن الموارد الاجتماعية البالغة في الأهمية لتقدم الحياة وبلوغ الأهداف وتحقيق الأمنيات وإدراك الأماني الصالحة وتجنب المواقف العارضة الخبيثة الطالحة ، إذ رُبَّ إهمال أو كسل خيَّب أملاً أو آمال يومية ، أو أسبوعية ، أو شهرية ، أو سنوية ، أو مدى الحياة . فقد تواتي المرء فرص مادية أو معنوية في حياته مختلفة من دراسية أو تجارية أو اقتصادية أو رابطة جنسية أو سياسية وغيرها تفتح له باباً لسعادة مؤقتة قصيرة أو مديدة أو دائمة أو تسد له باباً أو أبواباً من المحن والكروب ، تلك التي أدرك وتحقق خيرها وأحرز ووثق توقي شرها ، وهذه الفرص مهما كانت صغيرة أو ضعيفة أو كبيرة وقوية مؤقتة قصيرة أو طويلة أو دائمة وجب اغتنامها إتياناً للخير ونفعاً ودفعاً للشر ، وما أحلى ما قاله الشاعر حين قال :

اغتنم الأوقات فالوقت فرص ولا تجيء في أخريات من قنص

فلحظة وربما أقل من عشر الثانية إن اغتنم الفرد الفرصة وهو أمام خصمه اللدود المبرز له في القتال وأسرع بالمبادرة لضرب خصمه وأرداه قتيلاً سلّم نفسه من القتل والاندحار والفوز بالحياة ، وتخلص من الموت وإلاً تغلب خصمه عليه باللحظة وكسب كأس الغلبة ، وهكذا في كل شيء ترى الإهمال والكسل والتباطؤ والنوم ولو لثواني يخسر فيها المرء صفقته الرابعة للوصول إلى بُغيته .

ولعمري تتجلى تلك حتى في حياة كافة الأحياء ، فكم شاهدت خصمين من الحيوانات متكافئين في القوة سبق بها أحدهما الآخر في لحظة أقل من ثانية ، وتغلب على خصمه . قتلك حيتان تريد أن تلتهم الواحدة الأخرى ، فالبادئة الأولى والمسددة مسبقاً التهام رأس الأخرى هي الفائزة . انظر إلى بعض الحيات السامة كيف تبعث برأسها بصورة خاطفة إلى حيوان أو إنسان لتوجيهه عضه سامة له لترديه ، وإذا بالصياد الماهر يتغلب عليها والقبضة على رقبتها ، وليس دوماً الهجوم هو الفاتح ، لا ورب أن يفوز المرء ويتخلص باغتنام الفرصة وتجنب الخطر ولو بأقل من دقيقة فيفارق محل وضع القبلة قبل انفجارها أو إبطال عملها ولو بثانية ، وعندها النجاة من الدمار الحتمي ، وقد يمكن توقف حرب طاحنة كالحروب العالمية باغتنام فرصة منطقية ومبادرة إنسانية ومجابهة سلمية لتوجيه وجهة الحرب إلى سلام ، والخصام إلى وئام ، أو بالعكس ، ولا شك وإن الرأي والحزم والإرادة دائماً دخيلة في المرء العاقل ، لا بل حتى في الحيوانات العجماء بما يحملنه من غريزة ، ولا يفرق الإنسان العاقل عن الحيوانات إلا قدرته العقلية وحكمته وبصيرته وتدبيره ، التي إذا مزجت باغتنام الفرصة زماناً ومكاناً والمناسبة المطلوبة أعطت بدرجة تلك المناسبة ثمارها . واغتنام الفرصة مادية ومعنوية ، فالحداد يضع الحديد في النار لتلين وتصبح سهلة للطرق كلما كانت الحرارة شديدة والطرق فنياً ومتناسباً وكلما اغتنم الفرصة وأسرع بلغ مراده حتى أصبح عمله مضرب مثل مادي بل وتتخذ هذه التجربة حتى في الموارد المعنوية فقال :

اضرب حديداً حامياً لا خير فيه إن برد

وأما الموارد المعنوية ومنها الموارد الأدبية كمقابلة زعيم أو أديب أو حكيم أو شخصية مرموقة أو استاذ واقناعه أديباً ، والقاء خطابه ، أو بحث علمي أو أدبي أو القيام بأمر تمثيلي يرفع مقام المرء في المجتمع ، يجب القيام بها قياماً مليئاً بالشجاعة الأدبية دون أن تأخذ المرء ذكراً أو أنثى أي

حياءٍ أو أدنى هبة أو رهبة ودونما تململ أو ثبوت أبداً أو أي تأخير أو تقديم غير مناسب زمني أو لوضع غير متناسب في الحركات أو السكنات أو الهيكل أو اللباس أو غير ذلك أي يجب لمن أراد بلوغ الهدف رعاية الفرصة في كل صغيرة وكبيرة .

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام كلمته الحكمية الخالدة في نهج البلاغة : —

قرنت الهبة بالخيبة ، والحياء بالحرمان ، والفرصة تمر مر السحاب ، فانتهزوا فرص الخير . . نعم كما مرَّ يجب ألا يفوتنا إننا دوماً علينا أن نغتني فرص الخير إيجاباً وسلباً في الإقدام والإحجام ، يجب اغتنام الفرصة أينما قصدنا أن يكون قصدنا فيه الخير الخاص والعام . وإذا حقاً أردنا إدراك المرام أن يكون سعينا دوماً مقروناً بالحزم والإرادة والشجاعة والنبالة ، وأن تكون كل هذه الصفات الرفيعة من المثل والخلق السامية مكنونة في سويداء القلب كي يكون عملنا خالصاً نقياً واقعياً .

قال علي عليه السلام : الظفر بالحزم ، والحزم بإحالة الرأي ، والرأي بتحصيل الأسرار . ومن أسرار النجاح لاغتنام الفرصة رعاية كل جوانبها ، كأن تغتنم الفرصة ، وتعمل مريداً ولو تطلب الشيء من غير أهله أو تسدي المعروف إلى غير أهله ، لا على حد قول علي عليه السلام أيضاً : « فوت الحاجة أهون من طلبها من غير أهلها » ، وقوله عليه السلام : إضاعة الفرصة نغصة ، وهذه النغصة قد تكون صغيرة أو كبيرة ، سطحية أو عميقة ، فقد فوت المرء الفرصة ليوم أو أسبوع ، وبإمكانه إعادة الكرة وتجديد الهمة واغتنام فرصة أخرى ، وكلما كانت هذه الفرصة قصيرة كان وقعها ونغصتها أقل وبالعكس وأشدّها وأعمقها متى وجدنا فوت الأمر للأبد ، وضياح الفرصة مدى العمر ، ولهذا على المرء أن يكون دوماً واعياً أخص في الأنواع الأخيرة ، فقد يكسل أو يهمل أو يأخذ الحياء أو الهبة أو التردد لأمد قصير ،

وحتى لحظة ، وإذا بفوات الفرصة إلى الأبد أو عودتها بعد الأتعاب والأزمان الطويلة ، فالهبة والترديد غالباً ما تجلب للمرء ندماً وغصة ، لذا نرى الإمام علي عليه السلام يقول : إذا هبت أمراً فقع فيه فإن شدة توقيه أعظم مما تخاف منه ، وقال الله في العزيمة والعمل في الآية ١٥٩ آل عمران : ﴿ فإذا عزمتم فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ ، ويريد بذلك التعبير عن آية أخرى هي الآية ٣٩ و ٤٠ من سورة النجم : ﴿ وليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ وإن سعيه سوف يرى ﴾ ، وهذا السعي يقصد به نوعه الإيجابي والسلبي المقرون بالفرصة السانحة من الزمان والمكان ، وعلى قدر هذا السعي ونوعه سوف يرى نتيجته على قدر بذله وحزمه حتى لترى الحزم والعزم من أجل ما يطرى به الله خلقه ، وهذا يدخل في جميع شؤونه الدنيوية والأخروية ، فالمرء مهما كان مادياً أو معنوياً ، مؤمناً أو ملحداً سينال من سعيه على قدر حزمه وعزمه .

قال الله في محكم كتابه الآية ١٧ لقمان : ﴿ يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ ، ومن الفرص السانحة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كلمة حق عند إمام جائر ، مثل كلمة مؤمن آل فرعون في نبي الله موسى وأخيه هارون مدافعاً عنهم في الآية القرآنية حينما أرادوا الفتك بهما قائلاً إن قال خيرٌ فقد يصيبكم منه خيرٌ وبذلك وقف حائلاً في فرصة مناسبة دون الفتك بموسى وأخيه .

وكما أشاد رسول الله بكلمة حق تقال عند إمام جائر في الحين المناسب وانها تساوي أعظم درجات الجهاد .

وهذه الفرصة تشتد نغصتها متى أحجم المرء عن أمر وهو يعلم خيره من شره ، وعلى هذا قال علي عليه السلام : لا تجعلوا علمكم جهلاً ويقينكم شكاً إذا علمتم فاعملوا وإذا تيقنتم فاقدموا ، حقاً إن كلام الملوك ملوك الكلام ، وما أعذب هذه المقولة وأعظم حكمتها ، وقد تكون نغصة

الجاهل بالاحجام عن الأمر، وفوت الفرصة أقل جداً عن عالم بالأمر وبقينه به، وبعد ذلك احجامه اهمالاً أو كسلاً أو ترددًا، حتى تفوته الفرصة وعندها يصطدم بأشد أنواع الندم، وبعد النغصة المرة وآلامها، نعم من الخرق المعالجة قبل الإمكان، كما أن من الخرق الأناة بعد الفرصة من حكم نهج البلاغة حتى ليوجب علينا الحزم والعزم أن نتخذ الأبهة والحذر مقدماً من فوات الفرص علينا والعمل على تعيين الوقت بدقة، وحذف كل أمر قد يؤدي إلى فوات تلك الفرص، من إهمال وكسل ونوم أو القيام بأعمال وأفعال وأقوال تنسينا أو تحول دون قيامها بوقتها وقد تكون سكرة نوم تجلب لنا أعظم الغصص على حد قول رسول الله (ص) في الحديث (١٨٥٧) : « الصبحة (نوم الصبح) تمنع الرزق » ، وقوله (ص) : « إِيَّاكَ وَخَصْلَتَيْنِ : الضجر والكسل فإنك إن ضجرت لم تصبر على حق وإن كسلت لم تؤد حقاً » . . . وقول علي عليه السلام : « ما انقض النّوم لعزائم اليوم » .

وما أجمل قول رسول الله (ص) الحديث (٢٨٧٨) : « من فتح له باب من خير فاليتهزه فإنه لا يدري متى يغلق عنه » ، وهذا الحديث يريد به اغتنام الفرصة لعمل الخير قبل فواتها، وغلق الباب المرجو وإدراك الخير، ويوضح رسول الله (ص) في الحديث التالي « الجّد عند سَنوحِ الفرصة وعدم التعلل والتباطؤ للأعمال السانحة التسويف والتماهل كما يفعله الكثير من طلبة علم وتجارة أو أعمال إصلاحية وعمرانية أو علمية أو غيرها بقوله (ص) الحديث (١٠٠٦) : « إِيَّاكَ وَالتَّسْوِيفَ بِالْمَلِكِ فَإِنَّكَ لِيَوْمِكَ وَلَسْتَ بِمَا بَعْدَ ، فَإِنْ يَكُ فِي غَدٍ لَكَ فَكُنْ فِي الْغَدِ كَمَا كُنْتَ فِي الْيَوْمِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَدٌ لَكَ لَمْ تَنْدَمْ . وقال (ص) الحديث (١٢٠٥) : « التَّسْوِيفُ (الإهمال) شعار الشيطان يلقيه في قلوب المؤمنين » والحقيقة ان الإنسان في بعض الأحيان طلباً للراحة يسوق نفسه ويستميلها للإهمال والإبطاء أي التسويف حتى تفوته الفرصة السانحة، أو كالتألب يحيل مطالعة درسه ليوم غدٍ أو يعلل نفسه بالمطالعة طلباً للراحة حتى تتراكم عليه الدروس أو تحول دون قيامه بالواجب الحتمي لنجاحه بالفرصة المناسبة فيزيد خوفه وإرهاقه كلما تراكت عليه وعندها

الندم حيث لا ينفع وبعدها الهوة والسقوط وتأخره في آخر السنة وعند الامتحان وتقدم الآخرين عليه وعندها الغصة والندم حيث لا ينفع الندم ، والجدة بالجد والحرمان بالكسل .

وقد يخدع المرء نفسه أحياناً خداعاً فيؤل الحديث والكلام طبق هواه لا عقله ، قال رسول الله (ص) الحديث (١٢٠١) : « التآني من الله والعجلة من الشيطان » ، وقوله (ص) الحديث (١٢٠٨) : « التؤدة في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة » ، وقوله (ص) : « من تآنى أدرك ما تمنى » ، وهذا ليس معناه ترك الواجب أو عدم اغتنام الفرصة والتسويق وإنما معناه الواقع ، المثابرة والاستمرار على بلوغ الغاية ودون تركها ، وربما قصده التؤدة في عمل لم يتحقق خيره وشره ، أو عمل قد يكون عاقبته شراً ، أو لعمل يقوم به الإنسان مدفوعاً بالأنانية ، أو الغيرة ، أو الطمع ، أو الحماسة ، أو نزعة عصبية لا يدري ما تؤل إليه عاقبتها ، وكثيراً ما تكون شراً ، لهذا وفي كثير من الموارد التي يندفع بها المرء اندفاعاً بالموارد الماضية غير واثق من نجاح عمله أو يعمل في ضرر خاص أو عام ، أو عمل انتقامي أو أمثال ذلك فخير له الاحجام والتآني وعدم النزعة العمياء والحمة الحمقاء ، فهنا الصبر والأنة خير وهنا كما قال (ص) الحديث (١٢٠١) : « التآني من الله والعجلة من الشيطان » ، ومن الموارد التي يجب رعايتها دوماً بعض الأحاديث النبوية الحكمية كقوله (ص) : « اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » إذ في كل هذه المناسبات الخمسة فروض وواجبات ، دينية وأخلاقية واجتماعية ودينية وأخروية يجب القيام بها من قبل الفرد دون تسويق وإهمال وإلا فانتهاز الفرصة من كسب ، وعلم ، وتجربة ، وصحة ، وثقافة ، ومعروف ، وكسب أحبة وأصدقاء ، وانتخاب المحيط الأحسن والمعشر الأحسن وانتخاب الأحسن لعشرة ومسكن وغير ذلك .

وعلى هذا على المرء أن يكون حذراً حازماً مجداً يقظاً للسرعة إلى

كسب الخير وتجنّب الضرر قبل فوات الفرصة وبعدها الغصّة ، فالامتناع عن
إتيان الشر من التطبع على ما يجلب الشر له ولمحبّيه من العادات السيئة
والمخدرات والمسكرات والقمار والسهر في الملاهي والحانات ، ومحلات
الفحشاء وغيرها ، وترك ما فيه الخير والصلاح وبعدها من حيث لا ينفع
الندم .

الأصل الرابع عشر : التساهل

لبسط المحبة والوداد واتقاء العداء والخصومة والتفرقة وما ينتج منها من وهن وضعف ومحنة والتساهل إحدى الأصول الإسلامية الاجتماعية في الكتاب والسنة ، تجده في المعاملات والمعاشرات والأحكام وفي كل شيء ، وكثيراً ما يتقرب من العفو والبر والإحسان والصدقة رفقا بالأفراد والمجتمعات وجلباً للمحبة والتودد ، وهو مظهر بارز لمكارم الأخلاق الذي قام الدين على أساسه كما قال (ص) : « أرسلت لأتمم مكارم الأخلاق » ، وسوف نؤيد أقوالنا بما ورد في الكتاب الكريم من الآيات وما يتبع ذلك من الأحاديث النبوية الأكيدة ، وهذا كله يؤيد العقل الحكيم والمنطق السليم ، وهكذا نبدأ بالآيات القرآنية المجيدة قوله تعالى في : -

- ١ - البقرة/ ١٨١ قوله تعالى : ﴿... يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر...﴾ .
- ٢ - الحج/ ٧٧ قوله تعالى : ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج...﴾ .
- ٣ - الفرقان/ ٦٤ قوله تعالى : ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ .
- ٤ - الفرقان/ ٧٢ قوله تعالى : ﴿والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾ .

- ٥ - النحل / ١٢٥ قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ ، و ١٢٦ منه : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ .
- ٦ - الإسراء / ٥٣ قوله تعالى : ﴿ قل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزع بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً ﴾ .
- ٧ - الأنعام / ١٠٨ قوله تعالى : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبؤهم بما كانوا يعملون ﴾ .
- ٨ - التوبة / ٦ قوله تعالى : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ﴾ .
- ٩ - الأنفال / ٦١ قوله تعالى : ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ﴾ .
- ١٠ - الأعراف / ٣٢ : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ .
- ١١ - الحجرات / ١١ و ١٢ منه : ﴿ يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون * يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً... ﴾ ، وكذلك الآية ١٣ منه تشمل البشر كله .
- ١٢ - النور / ٢٧ و ٢٨ فيما يخص حرية المساكن وآداب المعاشرة .
- ١٣ - فصلت / ٣٣ قوله تعالى : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ .

- ١٤ - فصلت/ ٣٤ : ﴿ ولا تستوي الحسنة والسيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌ حميم ﴾ . هذه الآية أصل اجتماعي بحد ذاتها ، و٣٥ و٣٦ منها .
- ١٥ - آل عمران/ قوله تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواء بيننا وبينكم . . . ﴾ الخ .
- ١٦ - إبراهيم / ٢٤ ، قوله تعالى : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة . . . ﴾ الخ .
- ١٧ - وقوله تعالى : ﴿ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة . . . ﴾ الخ . . و٢٦ ، وهكذا من زرع حصد من نوع زرعه ، فازرعوا الطيبات واجتنبوا الخبائث في النية والقول والفعل ، وازرعوا الحب في النفوس لتجدوا المحبة والسعادة .

التساهل وما جاء في السنة منه قولاً وعملاً :

أما عملاً فهو كثير جداً ، ونذكر أشهرها وأكبرها وهي يوم فتح مكة ، والقبض على زمام النفوس ، والأموال ، لألد أعداء الإسلام الذين حاربوه وقتلوا أشهر المهاجرين وغير المهاجرين المسلمين ، وفعلوا ما فعلوا قبل الهجرة وبعدها ، ولم يؤلوا جهداً من العداة والشقاق والنفاق بقصد قتل نبي الإسلام والمسلمين المؤمنين ومحو اسم الإسلام ، ولم يألوا جهداً في إثارة الفتن والحروب وزعزعة هذا الكيان من محاربة الله ورسوله ، وفي الساعة التي أمكن الله رسوله منهم وكانوا في قبضته وكان بإمكانه القضاء المبرم عليهم باسم الشرك والمحاريين والمفسدين في الأرض وهم حقاً البؤرة الانتانية المثيرة للأحقاد والفتن من أمويين وفي رأسهم أبوسفيان وألد خصوم الإسلام وبني هاشم وأخص رسول الله ، ورغم كل ذلك فقد غلبت الرحمة على النعمة ، والعفو والغفران على العقاب والقصاص ، وإذا برسول الله (ص) يقول كلمته العامة في العفو العام على الخاص والعام بقوله : إذهبوا فأنتم الطلقاء .

وهذا الإسلام ومن دخله جب ما قبله ، وأصبحوا ولمحض ما أعلنوه لساناً بكلمة الإسلام متساوون أمام الله ، وكان حقاً يوماً مشهوداً ، وحقاً كانت الآية الشريفة : ﴿ ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ ، وساد الفتح والنصر بيد هناك الفئة المنافقة والنفوس الرجسة رغم العفو والرحمة ، كانت تتغلغل في قلوبهم أصول الشرك والخصام والأحقاد حتى ظهرت بعد السنين الطوال ، وكانت علة العلل في ضعف الإسلام ، ولا ينسب هذا أبداً ضعفاً للإسلام وتساهله إذ الشدة كانت تخلف أشد من ذلك كما خلفت لما أبداه أعداء الإسلام المنافقون عند استلامهم مقاليد الأمور بعد رسول الله تلك التي خلقت الفتن ومزقت الإسلام إلى طوائف ومذاهب متناحرة ، ولو استمروا على العطف والرحمة

التي أرادها رسول الله (ص) والتساهل الذي أمر به وأرادها لأهل بيته لما بلغ الضعف بالأمة الإسلامية مما هي عليه اليوم ، ولم يجد الإسلام رفقا بعد رسول الله (ص) إلا في حادث واحد ، وحرب واحدة ، هي حرب الجمل التي قامت على يد الناكثين الذين بايعوا خليفة رسول الله وأثاروها حرباً شعواء عليه بيد يوم تغلبه في حرب الجمل ، أعاد عهد رسول الله ومنع تعقيب الفارين وأعلن العفو العام في البصرة على خلاف ما فعله معاوية وبنو أمية في فتوحهم للبلاد الإسلامية كإباحة المدينة وضرب بيت الله والفتك بالصحابة المقربين بيد معاوية بن أبي سفيان .

ولا ننسى رسول الله (ص) ومعاملته مع كثير من الأسرى تلك المعاملة الحسنة منها إعادة ما سلب من ابنة حاتم الطائي باعتبار أن أباهما المشرك كان كريماً يحب مكارم الأخلاق ، فكان هذا العفو والبر من أقوى الدواعي لإخلاص آل طي للإسلام ومثله علي ومعاملته مع أهل اليمن بعد أن عجز غيرد من ذلك . ولا ننسى معاملة خالد ابن الوليد يوم أرسله رسول الله إلى القبائل وقتله الذريع وسلبه حتى استعاذ رسول الله من فعله ، وطلب غفران الله وأرسل علياً عليه السلام لإرجاع ما سلب وإعطاء الفدية عمن قتل ظلماً بيد خالد .

هذه هي السيرة الصالحة التي سار عليها رسول الله (ص) وعلي عليه السلام ، وعلى خلفه سار أغلب الخلفاء الذين شغلوا منصب الخلافة ظلماً وزوراً ، فكان سبباً لقيام الظلم والضعائن والفرق والمذاهب ، وأدناه نذكر كثير من الأحاديث النبوية المأثورة في التساهل من نهج الفصاحة قوله (ص) والكلام صفة المتكلم ، وأشهر ما جاء في الحدود الفقهية :

٨٥ - أحب الله تعالى عبداً سمحاً إذا باع ، وسمحاً إذا اشترى ، وسمحاً إذا قضى ، وسمحاً إذا اقتضى .

٤٥٩ - ألا أخبركم بمن يحرم عليه النار غداً ، على كل حين لين ، قريب ، سهل .

- ٧٤٨ — إن الله تعالى يحب السهل الطليق (الحر) .
- ١٣٦٣ — حرم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس .
- ١٩٥٧ — علموا ويسّروا ولا تعسّروا ، وبشّروا ولا تنفّروا ، وإذا غضب أحدكم فليسكت .
- ١٤٩٨ — لا سهل إلا ما جعلت سهلاً .
- ٢٩١١ — من كان سهلاً هيناً ليناً حرمه الله على النار .
- ٣٢١٣ — يسّروا ولا تعسّروا .
- ٢٢٧ — إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكراً للقدرة عليه .
- ٣٠٧ — أشرف الإيمان أن يأمنك الناس وأشرف الإسلام أن يسلم الناس من لسانك ويدك .
- ١١٥٥ — تعافوا تسقط الضغائن بينكم .
- ٢٠٠٩ — العفو أحق ما عمل به .
- ١٨ — أبغض الرجال إلى الله الألدّ الخصم (أي اللجوج المخاصم العنود) .
- ٤٨ — اتّقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنها ليس دونها حجاب .
- ٢٨٩٤ — من نفّس عن غريمه أو محى عنه كان في ظل العرش يوم القيامة .
- ٥٩٦ — من أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف كربته فليفرج عن معسر .
- ٩٩٨ — من زنى خرج منه الإيمان فإن تاب تاب الله عليه .
- ٧٥٠ — أحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً وأحسن مجاورة جارك تكن مسلماً .
- ٣٠٤٩ — من خاف الناس لسانه فهو من أهل النار .
- ٢٧٨٨ — من انظر معسراً ووضع عنه أظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله .
- ٣٠٥٧ — من حرم الرفق فقد حرم الخير كله .
- ٢٨٨٥ — من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له .

- ٣٠٦١ - من لا أدب له لا عقل له .
- ٢٨٨٣ - من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة .
- ٢٨٤٩ - مدارات الناس صدقة .
- ٢٧٥٧ - من لا يقبل العذر من متصل صادقاً كان أو كاذباً لم ينل شفاعتي .
- ١٥١٣ - خير دينكم أيسره .
- ٢٨٦٠ - من أقال نادماً بيعة أقاله الله عثرته .
- ٢٧٦٣ - من قتل عصفوراً عبثاً جاء يوم القيامة وله صراخ عند العرش ربي سل هذا فيم قتلني من غير منفعة .
- ٢٧٧٨ - من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفعه ملأه الله أمناً وإيماناً .
- ١٧٦ - إذا استشاط السلطان تسلط الشيطان .
- ١٨٦ - إذا أم أحدكم فليخفف... الخ . (يعني إذا كان إماماً في الصلاة فليخفف في صلاته ليسهل على المصلين ذوي الحاجة قضاء حوائجهم وله ان صلى منفرداً أن يطيل ما شاء) .
- ٢٥٠٨ - لا كبيرة مع استغفار ، ولا صغيرة مع إصرار .
- ١١٩ - ادروا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن الإمام لئن يخطيء في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة .
- ١٢٠ - ادروا الحدود بالشبهات ، واقبلوا الكرام عثراتهم إلا في حد من حدود الله .
- وتكاد تكون في الكلمة (١١٩ و ١٢٠) ميلاً فقهياً اجتماعياً قائماً بنفسه ، وهذا الأصل واسع الأرجاء في كافة الموارد الاجتماعية الأدبية والتربوية والمجاملات العائلية والسلوك والمعاملات وحتى في القوانين الجزائية والسياسية ، وعليها تقوم أسس كثير من التساهل في الحياة ، ورفع كثير من المشاكل العسرة والخرج .
- ومن التساهل : هناك أقوال أئمة الإسلام ، وأقوال الحكماء والخبراء .

قال الإمام أمير المؤمنين علي في عهد مالك الأشتر : والناس إما أخ لك في الدين أو شبيه لك في الخلق ، هنا يقصد تساوي الرعية في الحكم والعفو والبر والإحسان وفَضْل الصلح إن طلب خصمه الصلح هذا على أن لا يفارقه الحذر والحنكة .

وغاية ما يؤخذ على التساهل أن لا يؤخذ الحد الأقصى ان سبب ذلك ضرراً لذا يشار إلى ذلك بالحد الوسط الذي سوف يشير إليه هنا بعد ذكر بعض الموارد التي يلزم فيه التساهل والأخذ باللين عندما تخوننا القوة .

لذا قال الحكيم : ما يؤخذ باللين لا يؤخذ بالقوة ، ليس من الحنكة أن تستعمل القوة إذا كنت وإمكانك إنهاء الأمر باللين دون أن تسبب ضرراً على النفس وعلى الغير ، وهذا من نوع العلاج إذا حسن العلاج ما أفاد دون أن يسبب ضرراً ، وهذا أمر تربوي ان يحاول الفرد والجماعة أمام الخصم فرداً كان أو جماعة أن يفضي الخصام والنزاع وكل مشكلة ما أمكن بالهدوء والتوثئة واللين ، أخص إذا كانت بسيطة وتحتاج إلى تروي بسيط وتفكير وتدبير ، وربما كانت القوة والتهور وعدم التعقل بها خلق مشاكل كبيرة قد لا يمكن إصلاحها ، وأبسط الأمور إذا التف خيط متجمعاً على نفسه فليس من المنطق أن تسحب رأس الخيط دون تدبير ، إذ قد تشكل في الخيط على هذه الشاكلة عدة عقد قد يعسر عليك أو يطول الوقت لحلها بينما لو بحثت عن المداخل مثل حصول العقد لفككتها دون مشكلة ، والأحوال الاجتماعية قد يحصل منها مشاكل أهم وأهم ولطالما وجدنا الحروب الطاحنة سببها تهور من فر أو بضعة أفراد فادت إلى مجازر وأهوال ، وعليه حسب قول الأطباء ألكي لا يكون إلا كعلاج آخر لذا جاء في المثل (آخر الدواء ألكي) ، والرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول ولها المكان الثاني ، وعلى هذا الأساس جاء المثل ، يلعب الجاهل بنفسه كما يلعب العدو بعدوه ، فالذي لا يتقي النار والأخطار والضواري والأوباء والعادات السيئة من قمار ومسكرات ومخدرات وما تسبب له ولغيره شتى

الأضرار دون أن يدبر الأمر ويحسب لعاقبته حساباً ، وقد وجد أن سكوتاً واعراضاً بسيطاً أو كلمة طيبة أو تحية وابتسامة كم غيرت من العداء صداقة ووقفت عارضاً دون وقوع مصائب وبالعكس .

كم تسببت من الويلات والمجازر لسبب تافه وتهور أو تعصب جاهل أو نعمة وعزة بالاثم .

والحقيقة إن في كل الأمور يلزم التروي والسلوك الوسط في جميع الأمور، كما قال الإمام محمد الباقر لولده جعفر الصادق سليل خاتم المرسلين، وسيد الوصيين، حين قال: خذ الحسنة من بين السيئتين، فمن زاد كانت سيئة ومن انقص كانت سيئة، وقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾. وقال في محكم كتابه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ إِلَىٰ عَنقِكَ وَلَا تُبْسِطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ ، مع العلم أن الكرم من مكارم الأخلاق بل للكرم حد والأقربون أولى بالمعروف ، والمرء نفسه أقرب لنفسه وويله أبويه وأولاده وأخوته وزوجه وهلم جرا وليس من الحكمة أن يبذل المرء بما يملك حتى يقعد محسوراً معدماً ، بيد هناك أمور كلها خير كالعفو بعد المقدرة والبذل دون ضرر ، وما أجمل كلمة رسول الله حين يقول :

إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم والأخلاق منبع السعادة والمسرة والهناء والالفة ، فالابتسامة والكلام العذب والمساعدة والإصلاح بين متخاصمين ، وإغاثة المنكوب والنصيحة والإرشاد والسعي لعمل الخير الذي هو كفاعله ، وجميع طرق البر والمساعدة والتساهل واللين في المعاملة والمعاشرة كل هذه تقي المرء من الأشرار وتخلق له جواً من المودة والاحترام والالفة والانسجام ما لا يساويه مال ولا ثراء لخلق روح البهجة ، والطمأنينة والسلام والسكينة والقضاء على الحزازات الدقيقة .

الأصل الخامس عشر :
﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾
كما جاء في الآية ١٩٥ من سورة البقرة

قال الله تعالى : ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾ .

وقوله تعالى في سورة البقرة الآية : ﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ إنا هديناه النجدين ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ .

والغاية من : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ :

وهذا الأصل من الأصول المهمة المتشعبة المؤثرة في صحة الجسم للفرد والمجتمع من الناحية المادية والمعنوية ، يدخل في أصول الوقاية وأصول الصحة وأصول العلاج .

فهناك كثير من العاهات والأمراض والمصائب يتعرض له الفرد والجماعة من أمراض : (١) بدنية ، و (٢) وأمراض عقلية ، (٣) وأمراض نفسية ، (٤) وأمراض اجتماعية ، ولكل منها منابع ومصادر ، ولكل منها أخطار وعوارض قريبة وبعيدة ، خفيفة وشديدة ، كما لكل منها طرقاً للوقاية وطرقاً للعلاج ، ولا شك أن الوقاية خير من العلاج ، إذ في كثير منها بوقاية بسيطة وعناية خفيفة يمكن تجنب أعظم الكوارث والويلات ، سيان منها الفردية والجماعية دون أن تكلفنا تكاليف باهظة أو تحملنا آلام وآثام ،

وهي مضمونة بينما العلاج بعد الإصابة ليست مضمونة دائماً ، فقد يأتي ذلك بعد فوات الأوان وفوات الفرصة ، وبعد تكبد أشد الآلام وأعظم الخسائر ، وقد تخلف الموت أو الدمار الكلي أو الجزئي أو التشويه أو النقص .

(١) فالأمراض كما مرّ أعلاه إما بدنية ولها علماءها المتخصصون في الوقاية ، وأصولها ورعاية الزمان والمكان ، والأفراد ، والعدة والعدد لها ، كما لها علماءها المتخصصون بأصول حفظ الصحة وتنمية البدن وحفظه صحيحاً قوياً سليماً منذ النشأة الأولى وقبلها وبعدها ، وقولنا قبلها لما للوراثة من الأثر الفعال ، وهذا يشمل كل الأحياء من النباتات والأحياء جميعاً ، وأخص الإنسان المقصود هنا بالذات ، وأخيراً العلاج بعد الإصابة ، وكم هناك من متخصصين في كل جزء من البدن ، وكل عاهة ومرض وما يحتاجه من علاج عملي أو عقاري أو غيره .

٢ - وهناك أمراض عقلية وراثية أو مرضية أو منشأها إصابات عضوية مادية وهذه العضوية إما صدمات مادية أو منشأها عادات عقارية أو غير عقارية كالمخدرات ، وكلما يشوش على سيطرة العقل السليم وسلامته وكماله .

٣ - أو نفسية تلك التي يبحث عنها علم النفس أمثال الهستيريا والتورستينيا والقلق التي منشؤها امساك أو افراط في الأمور الجنسية أو الخوف والهلع والصدمات النفسية المزعجة وربما المفرحة أيضاً الخارجة عن نطاق الاعتدال .

(٤) أو أمراض اجتماعية من التربية والمحيط من عقائدية تشمل مجموعة المعتقدات الدينية والمذهبية والفلسفية والحزبية وكلما يشمل الحياة الاجتماعية الأخلاقية والأدبية والعلمية والاقتصادية والسياسية والتربوية وكلما يؤثر على سلوك الفرد تجاه نفسه وغيره ، ومنها العادات والاستمتاع المشينة في الأكل والشرب والاعتيادات ، من الاعتياد على

المشروبات الكحولية والمواد المخدرة ، وشبه المخدرة ، والقمار والانخراط في الجمعيات الهدامة لتهريب المواد المخدرة الممنوعة ، والجمعيات السرية المخربة والسهرات المضرة بالصحة والسلوك كل تلك هي أمراض والكل يجب اتخاذ وقايتها والقيام بكل يلزم لتهيئة الجو الصحي للفرد والمجتمع لتقويته المادية والمعنوية تجاه طردها وبالتالي معالجتها بكل الوسائل والاختصاصيين لانقاذ الأبدان والجماعات من ويلاتها أخص ما تنطبق عليها الآية القرآنية المارة الذكر: ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ وهي تعني الوقاية كما تعني العلاج قبل استفحال الأمراض الماضية .

كما نجد في الكتاب والسنة أن الظلم ممنوع بالنسبة للنفس والغير ، للفرد وأشد منه للمجتمع وحتى يصل الظلم للمجتمع ما تنطبق عليه الآيات القرآنية الثلاثة . ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وأخرى هم الفاسقون ، والثالثة هم الظالمون . كما يشمل بث الفساد ومحادة الله التي في الآية جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب أليم ﴾ سورة المائدة ٣٧ منه ، فمحاربة الله هو مخالفته في بث الفساد والأضرار الجماعي المادي والمعنوي .

وإذ قلنا المادي والمعنوي فهو يجمع طية كلما يسبب الدمار والمصائب للأحياء أخص منها بني البشر ، وكل مضر فهو يلزم وقايته أولاً ومعالجته بسرعة وبكل الوسائل الممكنة بعد الإصابة به ، وسنذكر على ما شرحناه سابقاً بعض الأدوية أدناه .

العلاج :

١ - منع مجموع المواد الكحولية على اختلاف أنواعها تلك التي يسكر كثيرها تمتع قليلها حتى على أي سبيل من حفلات وأعياد وغيرها منعاً باتاً لما لها من الاغراء والاعتیاد وما تسببه من الاضرار الوراثية في النسل والآثار المقيتة المشينة على الجهاز العصبي والقلب والجهاز الهضمي والكبد وغيرها ، وما تجره من التبلل والفحشاء والجرائم وقد أجمع علماء الطب والاجتماع على ضررها الأكيد . ومثلها المواد المخدرة التي تسبب الاعتیاد وعمق أثرها على الأجهزة الرئيسية ونتائجها الوخيمة وعواقبها المؤلمة على صحة الإنسان وتسببها مختلف العلل المادية والمعنوية ، وقطع دابر أولئك الأفراد والجماعات التي تسعى لنشرها لمقاصد اقتصادية أو اجتماعية وغيرها واعتبارها واعتبارهم ممن تنطبق عليهم الآيات لمنعها وأن يطبق على متعاطيها ونشرها الآية ٣٧ من سورة المائدة ، عقاباً صارماً ذلك وقاية وعلاجاً طبياً ونفسياً بصورة جدية واقعية وبصرامة ، تحت نظر أخصائيين في الطب والعلوم النفسية وعلوم الاجتماع .

٢ - قطع دابر الأسلحة الكيماوية والفيزيائية والميكانيكية والحيوية أخص المكرورية والذرية والاشعاعات المختلفة وكلما يوجب تدميراً للفرد والجماعة وحصرها في قبضة أيادي حديدية تقاصص الأفراد الحاملين لها والجماعات الذين يتخذوها أداة لبسط القدرة والنفوذ واخضاع الآخرين بالقهر والغلبة ومعاقبة الجماعات والشركات الناشرة والمنتجة لها باسم بث الفساد في الأرض ومحاربة الله ورسله الداعين للسلام والأمان وقطع دابرهم طبق الآيات المتصرمة أخص ٤٤ مائدة والآيات الثلاثة : (١) ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ . (٢) الفاسقون . (٣) الظالمون . وقوله تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ .

٣ - الحد من نشر العقائد الفاسدة من أي طريق ومهما كانت تلك التي تخلق التشتت والنفاق والضعف ويثّ التفرقة والبغضاء بين الأفراد والجماعات وتخلق من النوع البشري دون جدوى أعداء متناحرين متخاصمين بغية أغراض وعصبيات تسبب الفساد والتخريب .

٤ - رعاية الأوضاع الاجتماعية بما فيها السياسية والاقتصادية والمنع من السيطرة على الثروات والأسواق بشتى الوسائل سبيل منها القهر والغلبة أو الحيلة والمكر وتسخير العقول والنفوس والسير خلاف العدالة الإنسانية وخلق الفتن والقلاقل وإيجاد أدواء وضغوط على نواحي من هذا الجسم للمجتمع الإنساني دون حساب أنه إذا أصيب عضو منه أنت مجموع أعضائه الأخرى ولا تقرر إلا بقراره .

٥ - قطع دابر الفقر كحد أدنى والتضخم كحد أعلى واتخاذ الجاده الوسطى وأن يشمل ذلك جميع أجزاء الجسم للمجتمع الإنساني بحد سواء .

٦ - قطع دابر الجهل بنشر المعارف والتربية الصحيحة والعلوم الموسعة للعقول البشرية ومعلوماته مقرونة بالفضيلة وسمو الأخلاق وقطع دابر العلوم والدعايات والباعة على بلبله الأفكار والحوار والمخاصمات والمشاحنات والعصبيات المؤدية للتفرقة وبالتالي للضعف والهوان وتعويضها بالمجالات الثقافية والأعمال الرياضية الباعثة على الاستجمام والتمتع ومبادلة المشاعر ونشر المحبة والوداد والالفة .

٧ - الاهتمام بالصحة الفردية والجماعية والوقاية من مختلف الأمراض المار ذكرها ، وأما المصابين فالقيام بمعالجتهم المعالجة الفعالة بالسرعة الممكنة والدقة الفائقة تحت نظر الاختصاصيين بتلك الأدوية .

٨ - نشر الحقائق وتطبيق الحقائق ونشر العدالة وتطبيقها وفرض المساواة وتطبيقها على كل نواحي الحياة والأفراد والمجتمعات هذا إلى

نشر الفضيلة وبدء التربية الصالحة للأجيال القادمة وراثياً في آباء وأمهات المستقبل بالسلوك الحسن والاجتناب مما يسبب لهم أمراض عقلية أو بدنية تناسلية أو نفسية أو عادات وأي شيء آخر ينتقل وراثياً للأبناء ، ودور الحمل التغذية والتربية الصالحة أخص للأم لما لها من الأثر المباشر على حياة الطفل وبعد الولادة التغذية والتربية الصالحة ويليها دور الحضانة والمحيط الصالح للتربية والاختلاط ويليها المدرسة والاجتماع والاختلاط الصالح كل ذلك لتنشئة جيل صالح سعيد بعيد عن الفقر والجهل والأوباء المادية والمعنوية وحياة سعيدة صالحة تحت إدارة حكومة صالحة واحدة ساهرة يقضه مدبره حكيمه تحس بالمسؤولية الذاتية كمسؤولية الفرد المثقف العاقل العالم على مصالحة الفردية .

الأصل السادس عشر : رعاية الآداب والمعاشرة^(١) :

وتهذيب النفس ذاتها ثم صلتها مع ربّها والمقدسين طبق الأصول الخمسة للدين الإسلامي (التوحيد والنبوة والإمامة والعدل ويوم القيامة) ، وتهذيبها وإشادتها بالفروض الثمانية : (الصلاة والصيام والحج والزكاة والخمس والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ، وتهذيب النفس وصلتها بربها والقديسين باعتراف آية الولاية : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ .

أدائها الواجبات والآداب العائلية والإنسانية بالسلوك السويّ بين الآباء والأبناء وبين الزوجين ، بين الأخوة والأخوات بين الأقرباء والأرحام الأقرب فالأقرب وبين الأصدقاء والجيران ، وبين الأقوياء والضعفاء ومنهم المرأة واليتيم والأقليات المنكوبين والجهلاء الضالين والفقراء المعوزين والمعلولين العاجزين .

والتهذيب هذا له جانبان مادي ومعنوي ، وفي المادي يدخل التهذيب المادي وفي المعنوي التهذيب الأخلاقي على حد قوله (ص) : « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم » .

فخير أنواع التربية والتهذيب هو التلقين والتفكير الذاتي في المثل والإنسانية العليا ومكارم الأخلاق وحث النفس على الفضيلة والاصغاء للضمير الحي والوجدان الناصح الأمين والمنطق السليم .

(١) والحق يمكن ادخال هذا الباب في الأصل الأول أي الأخلاق .

ولقد مرّ وذكرنا الأصول الدينية والفروض الثمانية وأثرها على تهذيب النفس وتربية الذات وتلقينها بأرفع مكارم الأخلاق والتقوى وتركيز الروح وآدابها بالنسبة لخالقها والتقرب إليه بالطاعة والامثال بالتواضع ونكران الذات المتكبرة ، وكفها عن الانصياع لشهواتها والاعتداء على حقوق الآخرين والتقرب للمبدأ الأعلى بنهج السلوك السوي .

وقد ذكرنا مواضيع منها في الكتاب والسنة ، وسنذكر نبذاً منها فيما يخص آداب الزوجين والآباء والأمهات مع أولادهم وبالعكس ، والآداب بين الأخوة والأرحام والأصدقاء ، وسائر الناس والآداب بين المعلم والمتعلم ، وآداب المعاشرة بين الأقوياء والضعفاء ومنهم الأطفال والنساء والمعلولين والمساكين والجهلاء أي ضعفاء العقل والتجربة ، والمنبوذين والمحرومين وأولئك الذين أصبحوا أسارى لغيرهم وأرقاء لعاداتهم المستهجنة كمدمني الخمر والمخدرات والقمار والأعمال الشريرة المستقبحة ، تارة مساعدتهم بالمال وأخرى بالنصيحة وثالثة بتوجيههم عملياً ، والقيام بالخدمات الخاصة والعامة ليتب الإصلاح بالقول والعمل والخطابة والكتابة والنشر والوعظ والإرشاد .

الأبوين : قال الله تعالى في سورة الإسراء/ ٢٣ ؛ ودعاء السجادة الخاص بالأب تجاه الأولاد والآخر الخاص بالأولاد تجاه الأب كما ورد في الصحيفة السجادية .

قال تعالى : ﴿ وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه ﴾ وبإلوالدين إحساناً * أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ﴾ ، و٢٤ منه : ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴾ ، انظر إلى هذه الرقة في الوصية بالأبوين وانظر إلى هذه الآداب الإنسانية الدقيقة للأولاد وكيفية معاملتهم لأبويهم مع ذكر العلة الموجبة لهذه المعاملة .

أما ما ورد في السنة النبوية بالأبوين فهو مفصل شأن السنة دوماً
تفصل المجل في الكتاب ويضع الأم في المرتبة الأولى قبل الأب ، ثم
يجل مقام الأب وتراه يجلهما ويوصي بهما بعد إطاعة الله والتودد إليه
فيقول في الأم :

- ١٣٢٨ - الجنة تحت أقدام الأمهات .
- ١٩٥٥ - إذا دعاك أبواك فأجب أمك .
- ٢٩١٧ - من قبل بين عيني أمه كان له سترًا من النار .
- ٥٤٦ - أمك ثم أمك ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب .
- ٧٧٨ - يوصي الله بالأم ثلاثاً وبالأب مرتين ثم يوصي بالأقرب فالأقرب .
- ١٦٦٥ - رضا الرب في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما .
- ٢٥٤ - أربع لا يرون الجنة ونعيمها ، مدمن الخمر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم بغير حق ، والعاق لوالديه .
- ١٠٨٦ - بر الوالدين يجزىء عن الجهاد .
- ٧٠ - أحب الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها ثم بر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله .
- ١٠٢ - احفظ در أبيك لا تقطعه فيطفئ الله نورك .
- ١٨٩٥ - طاعة الله طاعة الوالد ومعصية الله معصية الوالد .
- ١٢٥٩ - دعاء الوالد لولده كدعاء النبي لأمه .
- ٥٥٨ - أنت ومالك لأبيك .
- ٤٢٣ - إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول أنا لي هذا؟ فيقال باستغفار والديك لك .
- ٧٥٥ - إن الله يزيد في عمر الرجل ببره لوالديه .
- ١٦٦٦ - رغم أنفه (ثلاثاً) من أدرك أبويه عند الكبر ثم لم يدخل الجنة .
- ٢٠٠٤ - العبد المطيع لوالديه ولربه في أعلى عليين .
- ٢٦٢٥ - ما برّ أباه من شد إليه الطرف بغضب . و ٢٦٧٦ .

الأصل السابع عشر

وأخيراً طالع بدقة أدعية السجادة عليه السلام ، فهي أعظم الدروس الأخلاقية السامية والحاوية أصول وفروع الإسلام .

فهرس المحتويات

المقدمة	٥
الباب الأول	
١ - القانون الأساسي	٧
القانون	٩
تمهيد	١٥
القانون الأساسي البشري الموضوع	١٧
القصد من القانون الأساسي	١٩
في انكلترا	٢١
فرنسا	٢٤
القانون الأساسي الفرنسي	٢٨
أمريكا (الولايات المتحدة)	٣٠
نواة القانون الأساسي الأمريكي	٣١
القانون الأساسي وتطوره	٣٤
السلطة المجربة	٣٤
السلطة المقننة	٣٥
الحريات	٣٦
روسيا قبل الحكم الشيوعي	٣٧

٣٨ في الحكم الشيوعي
٤٢ القانون الأساسي في الحكومات الإسلامية
٥٠ روسيا وانكلترا وأمريكا في إيران
٥٢ في مصر
٥٤ الانقلاب المعنوي
٥٩ القانون الأساسي المعنوي
٦١	٢ - الصراع الصليبي مع المسلمين
٦٤	٣ - تطور الاستعمار
	٤ - الحكومات الأولى
٦٥ الحقوق - الحرية
٧١ العدالة المضاعة
	الباب الثاني
٧٣ القانون الأساسي للدولة
٧٥ ما هو القانون الأساسي الطبيعي
٧٧ ما تمتاز به الحياة الفطرية لحجرات وأجهزة البدن
	فوارق الحياة البشري عن حياة الحجرات
٧٩ وطرق معالجتها
٨٠ المراحل اللازمة للقانون الأساسي في البدن
٨١ المراحل اللازمة رعايتها في قانون أساسي للمجتمع الإنساني
٨٣ دولة البدن
	تنظيم وتصميم ما سارت عليه أجهزة البدن
٨٤ الإنساني للمجتمع البشري
٩٠ الأيمان
٩٣ القانون الأساسي الإسلامي
٩٤ منابع القانون
٩٥ الأصول في الشريعة الإسلامية

٩٨	أصول القانون الأساسي الإسلامي
٩٨	التوحيد
١٠٠	العدل
١٠٦	يوم القيامة
١٠٨	النبوة
١١١	الخلافة
١٢١	أولي الأمر
١٢٥	الأصول الاجتماعية
١٢٥	الأصل الأول - مكارم الأخلاق في الكتاب
١٤٨	مكارم الأخلاق في السنة
١٥٠	في البر
١٥٢	في الإحسان والتقوى
١٥٣	في الصدقة
١٥٥	الحياء
١٥٩	مقتطفات
١٦١	في الضعفاء
١٦٢	في الأولاد
١٦٣	دعاء مكارم الأخلاق
١٦٦	في الزوجين
١٦٨	مكارم الأخلاق في السنة العملية
١٧١	مكارم الأخلاق من نهج البلاغة
١٨٠	مكارم الأخلاق عملاً
١٨٨	الأصل الثاني: فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون
١٨٩	الأصل الثالث: المسؤولية الفردية
١٩١	الأصل الرابع: المساواة بين الناس
١٩٣	الأصل الخامس: المشورة

١٩٤	أمرهم شورى بينهم
٢٠٩	الأصل السادس: الحريات وتشمل حقوق البشر
٢١٣	الأصل السابع: العلم والعلماء
٢٢٢	الأصل الثامن: السعي والعمل
٢٣١	الأصل التاسع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٢٣٨	الأصل العاشر: الجهاد
٢٤٣	الأصل الحادي عشر: حسن الانتخاب
٢٤٥	الأصل الثاني عشر: الاعتدال
٢٤٨	الأصل الثالث عشر: اغتنام الفرصة
٢٥٥	الأصل الرابع عشر: التساهل
٢٦٤	الأصل الخامس عشر: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة
٢٧٠	الأصل السادس عشر: رعاية الآداب والمعاشرة
٢٧١	مع الأبوين
	الأصل السابع عشر: مطالعة أدعية الإمام السجاد لما فيها
٢٧٣	من الآداب والأصول الاجتماعية الرفيعة

صدر حديثاً

الحداثق الناضرة الجزء ٢٥ :

وهو يكمل المجموعة البالغة ٢٤ جزءاً لمؤلفها الفقيه المحدث الشيخ يوسف البحراني، مطبوع طبعة جديدة منقحة ومصححة ومجلدة تجليد فاخر، قياس الكتاب ١٠٠ x ٧٠ الكتاب يبلغ ٦٩٦ صفحة.

مفاتيح الجنان:

صدرت طبعة جديدة مزيدة ومنقحة من مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي، والمجلد يحوي إضافة إلى مفاتيح الجنان كتاب الباقيات الصالحات المجلد يقع في ٨٦٢ صفحة طباعة ممتازة ومجلدة تجليد فاخر قياس ١٠٠ x ٧٠.

الحكومة العالمية المثلى جزء ٢:

الجزء الثاني من موسوعة الدكتور جواد جعفر الخليلي «المصلح المنتظر» الكتاب يقع في ٢٢٤ صفحة من الورق الممتاز مجلدة تجليد فني فاخر. القياس ١٠٠ x ٧٠.

مفاتيح الجنان:

طبعة جديدة من كتاب مفاتيح الجنان والباقيات الصالحات
للشيخ عباس القمي، منقحة ومصححة وقياس ٨٢ × ٥٧ في
٨٦٢ صفحة من ورق الشاموا الفاخر والتجليد الممتاز.

نظرية التطور الدارونية خرافة باسم العلم؛

كتاب قيم يبحث في نقض نظرية دارون والتي حيكت باسم
العلم، كتاب يقع في ٣٢٠ صفحة، قياس ١٠٠ × ٧٠ مغلفة
تغليف فني بالسلفون.

حقوق النساء في الإسلام:

كتاب يبحث في أحوال المرأة وحقوقها وواجباتها في
الإسلام، كتاب قيم يهم كل أنسة وسيدة في مجتمعنا الحاضر
الكتاب يقع في ٢٢٤ صفحة، قياس ١٠٠ × ٧٠، غلاف فني.

القرآن ومعرفة الطبيعة:

بحث في التصور القرآني الأصيل عن الطبيعة والكون،
ويظهر آثار عظمة الخالق، الكتاب في ١٦٨ صفحة قياس
١٠٠ × ٧٠، غلاف فني.

ديوان المعاني:

طبعة جديدة مزينة ومنقحة من «ديوان المعاني» لأبي هلال
العسكري في مجلدين تجليد فني فاخر قياس ١٠٠ × ٧٠.

u

u

